تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

المحجة

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com

نصف شهرية جامعة

● المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج ● 20 جمادى الثانية 1436هـ – 10 أبريل 2015م ● العدد : 437 — 10 دراهم

عدد خاص عن الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى

الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى
جوانب من شخصيته الفكرية والدعوية والاجتماعية

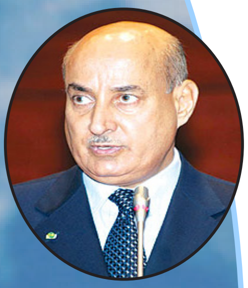

مات الأديب ولم تمت آدابُه ... فهي التي نحيا بها في الناس
مات اللبيب ولم تمت كلماتُه ... فدَبيبُها يسري مع الأنفاس
فإلى اللقاء حكيمنا وأديبنا ... ولبيبنا يا خيرة الأكياس
في جنة الفردوس موعدنا غداً ... فاهنأ برمسك جذوة الأرماس

أيها الإخوة الأفاضل قراء جريدة المحجة الغراء محجة الإيمان والعلم والعمل التي تنشر الصلاح والفلاح لجميع أفراد الأمة الإسلامية ولجميع من ينشرح صدره للكلمة الطيبة فيعيها بقلبه وفكره وتصبح تجري على لسانه تشع بها أضواء الإيمان وأنوار الإسلام وأعمال البر والتقوى بين الناس ينقادون إلى ربهم طائعين محبين لدينهم القويم ولرسوله الكريم ﷺ.

أيها الإخوة لا يخفى على مسامعكم أن علما من أعلام المغرب الحديث شهما في إيمانه وتقواه وفضله قد انتقل في غضون شهر جمادى الأولى 1436هـ فبراير 2015م إلى عفو ربه ورحمته، الدكتور عبد السلام الهراس. وإننا نتوجه إلى القراء والأهل والأصدقاء بخالص العزاء في وفاة أخينا المشمول برحمة الله وعفوه.

تميزت شخصيته بالتعمق والتوسع والتنوع في عديد من المجالات الدينية والفكرية والأدبية والإبداعية. ويسرنا أن وضعنا هذا العدد من جريدتنا رهن إشارة أصدقائه من الأساتذة الباحثين ومحبيه وطلبته ليتفضلوا بتعريف أبناء وطننا العزيز وغيره من البلاد العربية الإسلامية بشخصية المرحوم الفذة وبجهوده العلمية وبعطاءاته الفكرية والإبداعية وبمكانته المرموقة.

ومعلوم لديكم قراءنا الأعزاء أن الأستاذ المرحوم كانت الجريدة تنشر له في الصفحة الأخيرة عمودا قارا تحت عنوان بارقة.

ونقول لأستاذنا المرحوم كنت بارعا ورائق الأسلوب في بارقتك التي جرت عادة جريدة المحجة أن تنشرها في الصفحة الأخيرة، وكانت تلفت نظر القراء بجودة أسلوبها وعمق محتواها، فكان أغلب القراء يبدأون قراءتهم للجريدة من الصفحة الأخيرة، ومنها ينتقلون إلى سائر الصفحات. ولعلك أوتيت هذا الفضل بخدمتك للغة العربية والدين الذي تعتبر هذه اللغة خدمة له وستبقى بإذن الله محفوظة بحفظه. وكذلك بخدمتك للتراث العربي والحفاظ على ذخائره الغنية بالعطاء والثراء، وذلك بالعمل على نشرها ووضعها في أيدي الباحثين لتظهر قيمتها الفكرية والأدبية والعلمية، وتحيا بحياة هذه الأمة.

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾

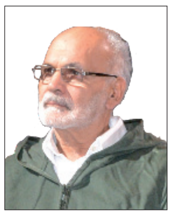

أ د. عبد العلي حجيج

أيها الأستاذ الجليل حليت باسم التدبر فيه يقود إلى استنباط عجيب وهو أن الاسم الشخصي الذي اختير لك هو عبد السلام وافق حقا فيك صفة عزيزة وهو أنك من أنصار السلم والسلامة والبراءة وتغييب الآفات والأسقام والمضار فأنت في علاقاتك وخطاباتك يغلب عليك الاستمساك بالسلم حتى مع الذين تحس منهم أنهم يخفون في أنفسهم مالا يبدون من الرغبة في الخصام تغلبهم بهدوءك وبسمتك فسلامك كالماء يشرب ويطفئ النار فأنت تستحضر في قلبك باستمرار قول الله سبحانه وتعالى ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وأما اسمك الهراس فهو يرمز إلى تكسير ما ينبغي محاربته مما يفسد حياة الإنسان في دينه وأخلاقه وتعليمه وصحته فأنت تجمع بين الوقوف مع الحق والعدل والخير والجمال وبين الوقوف في وجه الضلال والظلم والشر والفساد.

لقد عرفتك لأول مرة عقب الهجوم الغادر للعدو الصهيوني على مصر سنة 1967 فنزلت جموع الطلبة من الكليات بفاس في مظاهرة ساخنة وانضاف إليهم جمهور كبير من سكان فاس على امتداد شارع محمد الخامس والساحة المجاورة لبنك المغرب وأقيمت منصة توارد على الكلام فيها بعض الشخصيات والأساتذة وكنت واحدا منهم تحركت مشاعرك الصادقة المتدفقة بعبارات مجلجلة تدين بقوة غدر الصهاينة الذي يكشف عن نواياهم السيئة وعن خبثهم وظلمهم وتجبرهم وغطرستهم وعن كراهيتهم للعرب والإسلام وأنهم يريدون أن يمنعوا بأي وسيلة ظهور أي قوة في الدول العربية يمكن أن تهدد كيانهم في ذلك اليوم لمست فيك الشهامة والشجاعة والصدق من نبرات صوتك وقسمات وجهك كنت فذا تغمرك مشاعر البطولة والحرية صادقا في إيمانك ووطنيتك وعواطفك نحو البلاد العربية في المشرق وعرفتك عن قرب عندما صرتُ أحد أساتذة شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بفاس وكنتَ آنذاك رئيس الشعبة فكان مما كلفت به خدمة لأساتذة الشعبة أن أقوم في بداية السنة الجامعية بعد أن تقدم لي لائحة بأسماء أساتذة كل مادة أن أقوم بتحديد ساعات العمل لكل أستاذ والمدرجات المخصصة لهم مراعيا جهد الإمكان رغبات الأساتذة في ذلك وأذكر أنه كانت تأتيني منك توصيات ببذل الجهد لإرضاء الأساتذة جميعا دون تمييز بينهم ودون مراعاة أي انتماء أو فوارق وكنت تراجعني في ذلك إذا عبر بعضهم عن عدم رضاه عن الأوقات التي عين له العمل فيها لقد كنت حقا تقدر المسؤولية وكنت ميسرا لا معسرا تجمع القلوب ولا تنفر وكنت ترى في مثل هذه المواقف أن الأساتذة ينبغي أن تتاح لهم الفرص التي تيسر عليهم عملهم على أحسن وجه فيؤدوا ما على عاتقهم من مسؤوليات وواجبات فالجامعات ينتظر منها أن تمد الوطن بأطر وطنية عالية المستوى صالحة للنهوض بمؤسسات الدولة في مختلف الميادين.

إنا نفرح لفرحك ونألم لألمك نفرح عندما تعبر عن فخرك واعتزازك بالحضارة التي بناها العرب في البلاد التي نعتوها بالفردوس وبجنة الخلد

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم
ولو تخيرت هذي كنت أختار

وتحزن وتتألم لأنهم لم يؤدوا حق شكر النعمة فأتت عليهم أيام أخلوا فيها بواجب الحفاظ والدفاع والحماية للنعم التي فرطوا فيها فسقطت البلاد في يد من كانوا ينتظرون منهم الغفلة والاشتغال بالدنيا ونسيان الهدف الكبير الذي دفع أجدادهم ليبذلوا أرواحهم في سبيل نشر المبادئ السامية والقيم النبيلة التي جاء بها الإسلام. عبرت عن هذا السقوط الذي حز في نفسك وآلمك في كتابك (الأندلس بين الاختيار والاعتبار : قصة سقوط الأندلس من الفتوح إلى النزوح)، كنت شديد الفرح والاعتزاز بالفتوح شديد الحزن بسبب السقوط والنزوح وأنت تسترجع ذلك في ذاكرتك فيزداد ألمك في السنوات الأخيرة حين ترى وتسمع ما يجري من مظاهر التفرقة والخصومات والنزاعات والقتال في البلاد العربية التي هي حبيبة إليك فطالما أقمت بها طالبا للعلم وزائرا لنشر العلم. ومن عاش تاريخ العرب بالأندلس بقلب حاضر لابد وأن يهتم بأمر المسلمين في العصر الحاضر:

ونحن في الشرق والغرب والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام إخوان.

أيها الأستاذ الأمجد والمجد يأتيك من جهات متعددة :

- من سمو أخلاقك وطهارة قلبك وسلامة صدرك وسماحتك وبسمتك ومن صبرك وعفوك
- من علمك وأدبك وحسن بيانك وصدق مشاعرك
- من علو همتك وشهامتك وذكائك وفطنتك
- من محبتك لدينك ووطنك وأمتك وإنسانيتك
- من منهج حياتك في التلقي والتواصل مع الأهل والأصحاب وسائر الناس

ابتليت فصبرت صبر الرجال وصدمت فعفوت عفو الأبطال، وكل ذلك من شيم الأطهار الأخيار.

صبر بليت به وصار سجية
أيوب قد سابقته بحصان
عفو عفوت به فكنت مبرزا
في الحلم والإكرام والإحسان
وجواهر الآداب والأخلاق والـ
حسنات قد بينتها ببيان

أي فضل لك على الناس يتسع ليسع قلبك الكبير الطافح بمحبة الخير. شخصيات كثيرة من الباحثين تعترف وتقر لك بأنك يسرت لهم صعابا كثيرة أثناء تحضيرهم لأبحاثهم ورسالاتهم تنفعهم بالإرشاد إلى المصادر والمراجع الأساسية أو تربطهم بأساتذة كبار متخصصين وأحيانا ترافقهم إليهم فهذا عين المعروف وزكاة منك على الجاه الذي أكرمك الله به. وكلما واتت الفرصة بعض الأساتذة الذين أكملوا أبحاثهم للقاءك كنت تزودهم بدرر من النصائح المتعلقة بمواصلة البحث والدراسة وإصدار كتب ولو كانت صغيرة الحجم، شهد بذلك مجموعة منهم

قلوب العابدين لها انشراح
ويوم تموت تتسع الجراح

كم كان صدرك رحبا منشرحا مقبلا على الحياة بنشاط وهمة وحيوية مما جعلك تشد الرحال إلى المدن والمناطق المعروفة بالعلم وبتوفر العلماء فيها داخل الوطن وخارجه. انتقلت إلى مدينة العلم بالمغرب مدينة فاس العامرة بعلمائها وبعدها ذهبت إلى بلاد المشرق إلى مصر والشام ولبنان وربطت اتصالات مع أقطاب العلم بها واستفدت منهم علما غزيرا منهم مالك بن نبي الجزائري وشخصيات لها وزنها في تأسيس الحركات الوطنية والجمعيات الفكرية والأدبية،

رحلت وقد كان الرحيل مباركا
أثمرت ثمرا قل للأقران

وقد تجلى أثر كل ذلك في شخصيتك وفي نشاطاتك بعد العودة وحط الرحال في وطنك لتسهم في العمل بالحقل العلمي التعليمي واخترت أن يكون ذلك في حضن فاس حيث الأجواء والأشخاص قريبة الشبه بشفشاون:

قد كنت تختار البلاد لفضلها
فاخترت فاسا موطن العلماء
لجمالها زين وحلم يشتهى
والأهل أهل مروءة ووفاء

رحيلك وطوافك في الآفاق لم يكن طيلة حياتك لينسيك في رحيل كان حاضرا معك وله تعمل وتجد، مقيم بين جنبيك، حي في ضميرك ووجدانك، إنه الرحيل الذي ينتظره المؤمنون الصالحون المصلحون بشوق ولهفة ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ الرحيل إلى الخالق البارئ حيث النعيم المقيم وحيث اللقاء بالرسول الكريم وسائر الأنبياء والمرسلين:

وكل لاحق أبويه يوما
عناق الشوق طال له انتظار

رحمك الله رحمة واسعة وجعل نفسك من بين النفوس التي خاطبها عز وجل بندائه لها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾

رحل المشّاء... في حاجات الناس
الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس

أ.د. الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

رحم الله أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس

رحم الله شيخنا الدكتور عبد السلام الهراس

رحم الله أبانا الدكتور عبد السلام الهراس

رحم الله عبده المشّاء في حاجات الناس، مختلف الناس:

الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس

* * *

عرفته، أول ما عرفته، أستاذا للأدب الأندلسي، بكلية الآداب – ظهر المهراز، سنة 1966 1967- الدراسية.

وكان "أول ما ساق المودة بيننا"، وأنا طالب، نقاش في الدرس؛ نتج عنه تكليفي بنقل ما يتعلق بخطبة طارق بن زياد في "المقتبس"،

مخطوط بخزانة القرويين لابن حيان،

ثم كان بعدُ منه من الخير ما كان؛

من تقريب، واحتضان....

وحرص على استفادتي بداره من خِيار الزوار.

وما أكثر ما كان يطرق داره من الزوار الأخيار !!

* * *

لقد كان بيته - رحمه الله - منزلا للأخيار،

ومحطة للأخيار،

وملتقى للأخيار؛

ذلك بأنه كان يفشي السلام،

ويطعم الطعام،

ويصل الأرحام،

ويمشي في حاجات المحتاجين، وهم نيام.

أشهد بهذا ولا أتردد؛ شاهدا بما علمتُ، وخبَرت، وعاينت، وشاركت...

* * *

ما كان يزور "الكلية" زائرُ خيِّر، فلا يدخل بيته، ويطعَم طعامه.

وما كان يطرق بابه مستشفع في حاجة، فلا يسارع إلى الشفاعة.

ولكم زكى من طلبة العلم!

وواسى من اليتامى والأرامل!!

وشفع للمظلومين، والمطرودين، وطالبي الشغل!!!...

لقد كان بابا من أبواب الخير؛

دخله خلق كثير،

وانتفع به، لكثرة علاقاته في الداخل والخارج، جم غفير.

فتقبل الله تعالى منك،

وهنيئا لك بما أسلفت في الأيام الخالية،

ولتسعدك الرحلة الميمونة الغنية بالخيرات والبركات...

* * *

لقد كان - رحمه الله تعالى - مع طلبته، أستاذا حليما.

وكان مع مريديه ومستفتيه في الشجون والشؤون، شيخا حكيما.

وكان مع عائلته الصغيرة والكبيرة، أبا رحيما.

أحبه، لعلمهم به، أقوام

وأبغضه، لكرههم للخير وأهله، أقوام

وارتاب فيه، لجهلهم به، أقوام

ولم يكن له إليهم جميعا إلا إفشاء السلام وإطعام الطعام

* * *

فهنيئا لك، في الأمة كلها، إفشاؤك ما استطعت من سلام

وهنيئا لك، في الأمة كلها، وصلك ما استطعت من أرحام

وهنيئا لك ، في الأمة كلها، مشيك في حاجات أبنائها ما استطعت، وهم قيام أو نيام

واللهَ الغفورَ الرحيمَ الحليمَ الكريمَ... نسأل، كما سماك عبد السلام، أن يدخلك "دار السلام".

تلميذك: الشاهد

صبيحة الجمعة 13 جمادى الآخرة 1436هـ

سيرة وآثار

عبد السلام لك الرضى من ربنا
فاهنأ بما أعطاك ربك من كرم
كنت الأصيل الفذ في نصح الورى
والفذ من بذل النصائح والشيم
أخلصت في تدريس علمك للورى
والشهم من أعطى وأخلص للقلم

جوانب من حياة الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إعداد : أسرة الفقيد

في الحقيقة لقد كلفنا شططا ولا ندري من أين ولا من حيث نبدأ في سرد حياة رجل تعددت وتنوعت أدواره، فقد كان رحمه الله تعالى زوجا مثاليا، وأبا حنونا، ومربيا عطوفا، ومعلما لينا مرات وصارما مرات أخرى، ومرشدا عارفا، وصديقا نصوحا، وصاحبا موجها للخير ومعينا صبورا، وسندا قويا، وركنا شديدا، ومرجعا مهما، وإنسانا خدوما ومغيثا.

وسنقتصر في هذه السطور على كتابة بعض جوانب حياته، وما كان يحرص عليه، وما كان يؤرقه ويشغل باله وجهده ووقته تاركين سيرته وحياته ومذكراته إلى أن تصدر في كتاب مستقل بإذن الله تعالى.

كان رحمه الله جل وعلا يستحضر معية الله دائما وجلاله وخشيته، والخوف منه والرجاء فيه يسخر فكره وطاقته ووقته، وعلاقاته لخدمة الدين والوطن، وكان أشد حرصا على الوقت، فكان رحمه الله تعالى دائما يضع نصب عينيه حديث رسول الله ﷺ : «اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الذي يبين حقيقة المغنم.

وكان حريصا على العمل بالفرص المتاحة، حريصا على وقته ينفقه كما ينفق ماله أو أكثر، وكان يكره أن يرى أحدا من المسلمين يهدر وقته و يضيعه سدى.

كما كان حريصا رحمه الله على إقامة الصلوات بالمساجد ويستحضر حديث رسول الله ﷺ : «أول ما يحاسب عليه المرء الصلاة...»، وأثناء الأعياد يحب أن يصلي الأعياد في مساجد مختلفة ليلتقي بأكبر عدد ممكن من إخوانه وأحبابه وأصدقائه.

وكان كثير الزيارة والسؤال عن أحوال العلماء وأقربائه وإخوانه في الدعوة وأعمال الخير وأصدقائه.

أما بيته فكان ملاذا ومحجا للطلبة وأصحاب الحاجات، فكان رحمه الله لا يردهم بل ويمشي معهم لقضاء حوائجهم، فكم من طالب قضى معنا سنوات حتى تخرج وحصل على عمل، وبالبيت أقيمت حلقات الذكر والعلم، وتأسست اللبنات الأولى لجمعيات ومجلات إسلامية ولأعمال الخير والبر، ولمؤتمرات وندوات محلية ووطنية وعالمية.

وفي البيت أسلم أناس، وأصلحت ذات بينهم، وكان يستثمر علاقاته أحسن استثمار لخدمة الدين والوطن.

كان رحمه الله جل وعلا يستحضر معية الله دائما وجلاله وخشيته، والخوف منه والرجاء فيه يسخر فكره وطاقته ووقته، وعلاقاته لخدمة الدين والوطن

فكم توسط لطلاب عرب وغير عرب اضطروا لترك أوطانهم وأتموا دراستهم داخل المغرب، ودرس على يديه طلاب مشارقة ومغاربة وآسيويون وأوربيون، تخرجوا وصنعوا على عينيه وتقلدوا مراكز مهمة في بلدانهم.

ورغم كبر سنه رحمه الله فقد كان شغوفا بالعلم وتعلم الجديد، وإن زاره أحد يسأله عن الجديد وعن الفائدة.

كان رحمه الله يركز دائما على إعداد الفرد، وإعداد القدرات، وبناء المسلم الذي يتقن عمله ويخلص فيه، ويطوره مع ما يتناسب مع العصر. فكان رحمه الله يحث كل واحد على أن يتقن عمله وعلمه وحرفته ومهنته وفنه.

وكان رحمه الله عندما يتعرف على أحد يسأله عن دقائق الأمور في أصوله وعمله واختصاصه ومهاراته.

فقد افتقدناه رحمه الله وفقدناه، ولسنا الوحيدين الذين فقدناه، بل كل العائلة، وجميع طلابه وإخوانه وأصدقائه ومعارفه خاصة، وبلده المغرب والعالم العربي والإسلامي عامة، حيث لم يكل من دعوة الناس إلى الوسطية والاعتدال واحترام الآخر، وخدمة الوطن والعالم بنشر تعاليم الإسلام السمحة، ونبذ العنف والخلاف، كان رحمه الله وسيظل نبراسا وقدوة لنا ولكل العالم الإسلامي في مجال الدعوة والعمل الثقافي والاجتماعي.

لقد علمنا دائما الاعتماد على الله والثقة به، وحسن الظن فيه، وحسن الظن في الناس والإحسان إليهم، واستثمار ما فيهم من خير.

كان رحمه الله يردد دائما : لقد سخرنا الله لخدمة الأمة فلا تحزنوا إن لاقيتم أذى أو سوء كلام في خدمة الناس، فالأجر مضمون عند الله تعالى، وهذه هي التجارة الرابحة ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...﴾.

لقد يسر الله لنا أن نلتقي كبار الدعاة والشخصيات الذين كانوا يزورونا في البيت، وكان من عادته أن ينادي علينا للجلوس معهم للاستفادة منهم مباشرة في أمور الدين والدنيا، وكان يحدثنا عن قادة ومفكرين عايشهم في لبنان وسوريا ومصر والشرق عموما كأمير الجهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي، والمفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي وغيرهم من كبار المفكرين والدعاة.

وكان خوفه الأكبر أن تنتقل عدوى الانشقاقات في جسم الدعوة إلى المغرب، لأنه رأى بأم عينيه الويلات التي أصابت الدول الإسلامية بالشرق.

كلما تكلم لنا عن الأندلس إلا وتكلم بحرقة عن ضياعها وكان يردد أن أسباب ضياعها موجودة الآن في جل دول العالم الإسلامي، وسوف تضيع دول إن بقيت تسير في نفس الاتجاه.

طبت حيا وطبت ميتا يا أبانا الغالي، فإنا والله أحببناك في الله، ونحبك لله، فأنت خالد في قلوبنا وقلوب أحبائك، ودعواتنا لك بالفردوس الأعلى، ومرافقة سيد الخلق محمد عليه الصلاة وأزكى السلام.

الدكتور عبد السلام الهراس في أحد اجتماعات جمعية العمل الاجتماعي والثقافي

شكر على التعزية والمواساة

الحمد لله الذي أعطانا فشكرنا، ثم أخذ منا فصبرنا.
باسم أسرة المرحوم الدكتور عبد السلام الهراس نتقدم بالشكر الجزيل لكل من واسانا في فقيدنا الغالي من داخل المغرب وخارجه سواء كان حضوريا أو عن طريق الرسائل أو الهاتف أو عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي.
ونسأل الله العلي القدير أن لا يريكم مكروها، وأن يثيبكم على ما قدمتموه لنا من خالص العزاء والمواساة.
أعاننا الله وإياكم على الصبر عند المصائب. وجنبنا وإياكم شرور الفتن وجميع النوائب.
ولا نقول إلا ما أمرنا به ربنا الكريم الغفور الرحيم.

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

أسرة المرحوم الدكتور عبد السلام الهراس

محطات من سيرة الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس رحمه الله

ذ. محمد حماني

● اسمه، ومولده :

ولد عبد السلام الهرّاس بمدينة شفشاون يوم 25 دجنبر1930م، وتوفي رحمه الله يوم الجمعة 20 فبراير 2015م، بمدينة فاس المحروسة عن عمر يناهز خمسا وثمانين سنة حافل بالعطاءات العلمية، وبالجهاد في سبيل نشر الدعوة، وأعمال الخير..

● من أسرته :

عائلة Arras/ Alaras غادرت مقرها بمقاطعة البسيط Albacete في الهجرة الأندلسية الثالثة، واستقرت بالشمال سنة 1502م، بمدينة شفشاون بحي "حومة الأندلس".

● من سيرته، ومؤهلاته:

نشأ عبد السلام الهرّاس بمدينة شفشاون، ودرس بها المرحلة الابتدائية، ثم تابع دراسته بـ: "جامع القرويين"، حتى حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1946/1947م، ونال منها السنة التحضيرية، كما درس بها أربع سنوات في المستوى الثانوي، إلى أن ذهب بعد ذلك إلى لبنان حيث حصل على الباكلوريا هناك سنة 1954م، ثم إلى جانب ذلك درس بثانوية "فاروق الشرعية"، بمصر سنتين، التي سُميت فيما بعد بثانوية "الأزهر"، إذ كان يقبل عليها وقتئذ كثيرٌ من اللبنانيين، إلى أن حصل على الإجازة من "دار العلوم"، بالقاهرة في يونيو من سنة 1958م في اللغة العربية، والعلوم الإسلامية بتقدير "جيد". أما في سنة 1961م نال الإجازة في الحقوق والقانون الخاص، بكلية "دار العلوم القانونية والاجتماعية"، جامعة الرباط، بميزة "جيد".

وأثناء رحلتة في الشرق العربي شاء الله أن يعيش الأستاذ الهرّاس (رحمه الله) نكبات فلسطين ابتداء من "نكبة 1948" إلى اليوم، وقد عاش النكبة العربية عيانا وعلى الأرض، كما خبر الانقلابات السورية، والمصرية، والسودانية، واللبنانية، وآخرها الانقلاب العراقي في صيف 1958، وغيرها من الانقلابات..

وفي سنة 1958م عندما حصل على الإجازة من "أرض الكنانة"، عاد إلى المغرب فصرف جهده إلى استئناف تعلم اللغة الإسبانية، وإلى قراءة ما يتصل بالأندلس، حيث ساعدته إقامته بتطوان أستاذا بثانوية "القاضي عياض"، وأستاذا بكلية "أصول الدين"، وخطيبا بمسجد "الباشا" بنفس المدينة، في تحقيق رغبته حيث كان يعيش بين التراث الإسباني الأدبي، التاريخي، والتراث الأندلسي الإسلامي، ثم وفقه الله بالذهاب إلى إسبانيا فحضّر بها رسالته العليا، إلى أن حصل على شهادة الدكتوراه الدولية من كلية الفلسفة، والآداب بمدريد في 16 يونيو1966م، تحت إشراف المستشرق الإسباني "إلياس تيرس صادبا"، أمام لجنة علمية تتكون من خمسة أساتذة مستشرقين يمثلون ثلاث جامعات، وهي: مدريد، غرناطة، وسرقسطة.

● من وظائفه:

شغل الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله):

– مدرسا في ثانوية "المشيشي"، بشفشاون من سنة 1958م، إلى سنة 1960م.

– مدرسا في ثانوية "القاضي عياض"، بتطوان من سنة 1960م، إلى سنة1966م.

– عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة 1992م.

– عضو اتحاد كتاب المغرب سنة 1968م.

– مؤسس كُرسي الأدب الأندلسي في ستينيات القرن الماضي، بكلية الآداب، ظهر المهراز – فاس.

– رئيس قسم اللغة العربية بكلية آداب فاس، من سنة 1975م، إلى سنة 1991م.

– أستاذا جامعيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس إلى غاية 1997م.

– عضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

– عضو الهيئة الاستشارية لمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت.

– عضو بهيئة علماء العالم الإسلامي، بقطر.

– عضوا مؤسّسا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

– عضو جماعة "عباد الرحمن" سنة 1954، التي أسسها المهندس: محمد أبو عمر الداعوق، ببيروت.

– عضو مجلة "بونة للبحوث والدراسات"، عنابة – الجزائر.

– أستاذا زائرا بجامعة البحرين، ومحاضرا بها.

– أستاذا زائرا بالقسم الإسباني، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

– أستاذا زائرا بكلية اللغة، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.

– أستاذا زائرا بقسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة مدريد، إسبانيا.

– مستشار جامعة ماليزيا في الدراسات الإسلامية، والشرعية.

– عضوا مؤسّسا للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

– رئيسا، ومؤسّسا لجمعية العمل الاجتماعي، والثقافي في فاس، والمغرب.

– عضو المجلس الأعلى للمساجد السعودية.

– من مؤسّسي شعبة اللغة العربية، بجامعة قرقيزيا، بشكيك (جامعة كويتية مستقلة).

– مؤسس جمعية "جماعة الدعوة الإسلامية"، بفاس.

– من مؤسّسي مجلة "الهدى"، فاس، المغرب.

– من مؤسسي جريدة "المحجة"، فاس، المغرب.

● من فضائله:

من فضائل الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) "الانتقال من سكب العبرة إلى كسب العبرة"، كان يحدث هذا سواء في خُطب الجمعة التي كان يلقيها بمسجد "الباشا" بالمشور بمدينة تطوان في سنوات الستين، أو في نصوص الأدب الأندلسي، وهو يعرف طلبته بدرر السّمط في خبر السّبط، ثم من فضائله الجمع بين العلم، والغيرة على الدين، والخلق القويم، وكثيرا ما كان ينتقي من نصوص الأدب الأندلسي عندما كان يدرّس طلبته ما يحاكي واقع المسلمين، وكلما وقف على شاهد اتخذه منطلقا للدعوة..

● من عمله الدعوي:

جاء الأستاذ الهرّاس إلى المغرب بعد أن درس في القاهرة، فعين أستاذا بمدينة شفشاون سنة 1957م، فكان يحمل معه تجربة مصر، وتجربة لبنان، وتجربة دمشق، وتجربة "الإخوان المسلمين"، وتجربة "عباد الرحمن"، وأفكار مالك بن نبي، والفكر الإصلاحي، والحركة النهضوية بمصر، والتطلع إلى الحركة الإصلاحية بالمشرق، فكان إلى جانب الأستاذ عبد السلام بن حيون، والأديب الشاعر عبد السلام الحضري يربون الناشئة في مدينة شفشاون على الإسلام في جانبه العلمي، وجانبه العملي التطبيقي. فكان للأستاذ الهرّاس فضل كبير في توجيه "جمعية أنصار السنة" بشفشاون التي أسسها الأستاذ علي الريسوني، ولما توفي الجنرال فرانكو، وأبيحت في إسبانيا حرية "الأديان"، تحولت الجمعية إلى الضفة الأخرى، فصار تخصصها هو مسلمي الأندلس ودعوة الإسبان إلى الإسلام، إلى أن أصبحت تحمل اسم "جمعية الدعوة إلى الله".

وفي سنة 1969م، بعد إحراق المسجد الأقصى بدأ الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس يفكر في تأسيس عمل إسلامي يمكن أن يكون نواة للدفاع عن الإسلام. فقد قادته الظروف إلى أن يحضر بعض الدروس التي كان يقيمها الشيخ أبو بكر الجزائري، حيث كان يتحدث عن أحوال الأمة الإسلامية والتحديات التي تواجهها، وكان يقول الشيخ أبو بكر الجزائري آنذاك: "إن الظروف مواتية جدا في المغرب لتأسيس عمل إسلامي، كما هو الشأن في باقي بلدان العالم الإسلامي"، كما استفاد الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) من شيخه محمد تقي الدين الهلالي استفادة مهمة، حيث كان الشيخ الهلالي يزور مدينة فاس في سبعينيات القرن الماضي، وكان مستقرا حينئذ بمكناس (وكان قد درس على يده بشفشاون في طفولته)، فكان يلقي دروسا علمية في مسجد "تونس"، بفاس فتحمس الدكتور الهرّاس من أجل إقامة عمل إسلامي راشد. وهكذا استطاع الدكتور عبد السلام الهرّاس مع ثلة من الغيورين على الإسلام أن يفكروا في بناء عمل حقيقي للدفاع عن الإسلام، وفي تأسيس جمعية قانونية معترف بها يمارسون من خلالها العمل الإسلامي، وتمكنوا سنة 1974م من تأسيس جمعية "جماعة الدعوة الإسلامية"، ووطنوها بفاس، بعد أن هيؤوا لها الأسباب وكان تركيزهم الأول والأخير على قضية "التصور"، و "المنهج"، واستطاعوا – والحمد لله – أن يقوموا بتنزيل العمل الإسلامي إلى الواقع، وقدموا عملا جليلا.

● من شيوخه:

أ – من شيوخه بشفشاون:

– الفقيه بن خجو.

– الفقيه عبد القادر الخزاني.

ب – من شيوخه بفاس:

–الشيخ علال الجامعي.

– الشيخ محمد مكوار.

– الشيخ عبد الكريم العراقي.

– الشيخ أحمد الحبابي.

– الشيخ عبد الكريم الداودي.

– الشيخ الشرفي.

– الشيخ بوزيان.

ج – من شيوخه بلبنان:

– الشيخ فهيم أبو عُبيّة.

– الشيخ أبو عمر الداعوق.

● من معاصريه:

كانت للأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) صحبة قوية مع عدد كبير من العلماء، وذوي الهمم العالية، فداخل المغرب تعرف إلى شيخ من شيوخ القراءات القرآنية سعيد أعراب (رحمه الله)، كما تعرف إلى صاحب "سوس العالمة"، وعندما كان الأستاذ الهرّاس أستاذا بتطوان كان العلامة المختار السوسي (رحمه الله) يزور تطوان وكان له بها مجلس علمي يحضره العلماء، فطلب المختار(رحمه الله) من أقربائه أن يبحثوا عن "العالم الدقاق" ولو كان في بروج مشيدة؛ كي يحضر مجلسه الذي كان يديره، فبدأ الناس يبحثون عن هذا العالم الذي أعجب به المختار، وأخيرا اهتدوا إليه إنه العالم الشاب عبد السلام الهرّاس الذي تخرج من "أرض الكنانة".

كما تعرف إلى العلامة السوداني عبد الله الطيّب (رحمه الله)، الذي جاء للتدريس بكلية فاس، فدرّس بها ثماني سنوات حيث قال في حقه رحمه الله: "للدكتور عبد الله الطيب جوانب كثيرة فهو أديب كبير، وباحث عظيم، وناقد بصير، ومفكر عميق، ولغوي قدير، ونحوي متبحر ومقرئ ومفسر ومؤرخ ومتضلع من الأدب الغربي المكتوب بالأنجليزية"..وفي المشرق العربي كانت له علاقة متينة بالعلامة محمود شاكر، وأستاذه في الأدب الأندلسي أحمد هيكل، والأستاذ محمد سعيد العريان، وأثناء رحلته العلمية في مصر، ولبنان تعرف إلى المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله)، وفي الكويت كان له حضور وازن وكان هو وعبد الرحمن السميط(رحمهما الله) يمشيان في أعمال الخير..

● من خرّيجيه:

تخرج على يد الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) جيلٌ صلبٌ متينٌ من الأساتذة الذين انتهى إليهم علمُه فرعوه حق رعايته، فكانوا حراسا حقيقيين لحياض العربية وسدنة لقلاعها، وقد أنفق ما أنفق لرعاية طلاب العلم حتى صاروا نجوما مضيئة في سماء الثقافة العربية، وأصبحوا شيوخا يؤخذ العلم الصحيح من حلقات دروسهم، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، والأستاذ الدكتور مصطفى بنحمزة، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن بودراع، والأستاذ الدكتور عبد الله المرابط التّرغي، الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، الأستاذ الدكتور عبد الرحيم الرحموني...

فكان الأستاذ الهرّاس (رحمه الله) مدرسة في التحقيق،فقال أحدُ خريجيه: " تعلمت منه الدقة والتثبت في التحقيق، واستفدت كثيرا من مكتبته العامرة بنوادر الأدب الأندلسي ".

● من ذكرياته مع مالك بن نبي:

الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) من رجالات الفكر الذين قدر الله لهم أن يعيشوا مع مالك بن نبي في القاهرة، وبيروت، ودمشق، بل كان ممن ساهم في طبع، ونشر بعض كتبه التي لاقت رواجا واسعا في العالم الإسلامي، خاصة (شروط النهضة)، يقول الأستاذ الهرّاس (رحمه): "أنا خالطته سنتين كأني عشت معه أربعين سنة، وحياتي معه حقيقة أحسن أيام حياتي"، ومما اعتز به رحمه الله هو أن مالك بن نبي أبى أن يودّعه في القاهرة عندما أتمم دراسته (ليسانس) وعزم على العودة إلى المغرب، يقول: "مالك بن نبي ما بيني وبينه من المحبة يفوق التصور لأننا كنا زاهدين في الدنيا وما زلنا والحمد لله، أما لو أردنا أن نستثمر ما عندنا من مواهب وعلم حتى مع الحكام لبلغنا شأوا كبيرا في مجال الدنيويات..".

د. عمر كامل مسقاوي

ذكريات مع عبد السلام الهراس

تلقيت بحزن بالغ نبأ وفاة الصديق والأخ الوفي الدكتور عبد السلام الهراس في الأول من جمادي الأول 1436 من الهجرة والعشرين من شهر شباط 2015.

سارعت في الاتصال بالدكتور بلال ابن الفقيد لتقديم واجب العزاء له ولإخوته والعائلة. و ما هُم في فَقده بأبلغ مني حزنا على أخوة رعتها الخمسينات من القرن الماضي، ثم تتابعت سقيا مودة واتصال مسافة عقود لا يفتر فيها الوفاء والتشاور والتواصل ما بين المغرب والمشرق.

كانت البداية حين أدخل ناظر المدرسة الى الصف الثالث الثانوي الطالب المغربي الجديد، وقد جاء من المغرب ليلحق بالدراسة في صف المرحلة الدراسية من العام 1951–1952، في معهد "الكلية الشرعية " في بيروت وهو معهد داخلي الإقامة والدراسة.

مع دخول الطالب الجديد قطع معلِّم اللغة الفرنسية استرسال الدرس وهو يشرح على سبورة الصف غرق الباخرة شنبليون الفرنسية على شاطئ مدينة بيروت.

وهكذا استولى الحدث على الصف وفضائه والمدينة في ليل عاصف من خريف عام 1951. وإذ خرجنا في المساء، طلاب تلك المرحلة، إلى شاطئ الأوزاعي القريب من المدينة لنشهد الباخرة المنقلبة على حرفه، كان الطالب المغربي المحدث الأوفى بيننا تفصيلاً اذ صادف وهو متوجه إلى الشرق أن أقلته الباخرة إلى بيروت وعبرها قاصداً دمشق.

كانت هذه فاتحة تعارف استدرجتنا سُقياً تواصل أخوى يحدث بنعمتها كل منا على بعد الشقة عقودا من السنين إلى يومنا صفاء اتصال يفي بأخوة من الله.

لقد كانت صحبة أخينا عبد السلام أفقاً جدَّد لي و له في صفحة الحياة الطلابية حماسا حول خيارات الوحدة الإسلامية العربية. وكان نبأ المغرب وما يجري فيه من أحداث راهنة يفتح له الأبواب مشرَّعة وهو يقصُّ من أخباره على ثلة من مؤسسي حركة القوميين العرب من طلاب الجامعة الأميركية. وكان ذلك يسلكنا في عالم جديد حين تصلنا نشرة من جمعهم تحت عنوان " الثأر " وتعني الثأر من اليهود في جرح ينزف مع سيل النازحين من فلسطين الذين فُتحت لهم أبواب الأمكنة العامة والمساجد مأوى لوعد قريب.

كانت مقالات نشرة الثأر تطرح المشكلة من زاوية فيها شيء من نقد تخلف عالمنا العربي كما تعبر عنها الأبيات من الشعر التي قرأتها في إحدى نشراتهم

لستُ أشكو الغربي و هو غريبٌ
إن رمى شعبنا بما لا يحلُّ
إنما أشتكي يداً هي منِّي
و عليها دمي الزكي يُطلُّ
أيما عقدة تحال إلينا
نسأل الأجنبي كيف تحلُّ

كانت هذه الأفكار تفتح أمامنا، عبد السلام وأنا، شعوراً من النقد الذاتي لمشكلات تخلفنا ونحن ما نزال في مرحلة الدراسة في بيروت قبل الانتقال إلى الدارسة في القاهرة. وكانت تلك مقدمات سارعت الى إدراكنا فيما بعد مرامي القابلية للاستعمار كما سوف يحدّث بها المفكر الجزائري مالك بن نبي في مرحلة القاهرة الجامعية.

هكذا بتنا نتابع أنباء المغرب سويَّة مع تطورها، وكان أن انتهت إلى عزل الملك محمد الخامس عام 1953 ونفيه إلى جزيرة ليلروس. وكان من اشتداد الثورة على الاستعمار الفرنسي أن حاول الفدائي المغربي علال بن عبد الله قتل الملك محمد عرفة الذي نصَّبه الاستعمار. وهكذا كان الصدى في حماسنا وما يحدِّث به الهراس أصدقاءه الذين تعرفنا عليهم من طلاب الجامعة الأميركية فورة انفعال قومي في أبيات من الشعر في رثاء ذلك الفدائي المغربي :

"أسألوا التاريخ عن حرٍّ أبي
كره الذل بأرض المغـرب
عشق الموت فاغراه بـه
ورمى بالحبِّ سهم الغضب "

لقد استولى الحدث على أذهاننا ونحن نردِّد حماس المغربي وشعره في الكلية الشرعية في بيروت. واذ كان الفقيد الهراس القادم من المنطقة الخليفية الإسبانية يراسل صحيفة تصدر في تطوان اسمها "المعرفة ". وكانت تواكب الحدث تفصيلاً يسلكني في أجواء صديقي الشاعر ونحن على مقعد دراسي واحد وبتشجيع منه كتبت مقالاً سطرته لأول مرة في ناشئتي الفكرية والكتابية أدعم فيه الثورة وما ارتكب الاستعمار بحق الملك محمد الخامس في نفيه، وكان ذلك في السنة الأخيرة من دراستنا سوية في الكلية عام 53–54 قبل الانتقال إلى الدراسة الجامعية في القاهرة.

كانت القاهرة تضمنَّا سكناً وتداول فكر وحياة حين اتخذ كل منا طريقا في متابعة تحصيله. هو في كلية دار العلوم وأنا في كلية الشريعة في الأزهر الشريف ثم في كلية الحقوق جامعة القاهرة حتى عام 1958، وما إن أنهى عبد السلام دراسته في كلية دار العلوم حتى ودعناه بكل شوق إلى لقاء، كانت الرسائل تتوالى صلة مشاركة في رحلة الحياة. ولأربعين عاماً من التواصل مضت بنا حديث ذكريات وفكر تطلعات، تَتَابع تواصلنا وكان ما يطبع في ذاكرة كل منا الحدث الأول يذكر به أحدنا الآخر حين يغيب عنه في سعي السنين.

هكذا بتُّ أقلِّب رسائل عبد السلام الغَنية بكل ما ارتسم له في جولاته العربية والإسلامية، مفكراً ومحدثاً حتى غدا في سائر المرابع العلمية والفكرية علماً شاهداً على العصر. وكان حظي في شهادته دائماً زاوية في كلمة لها مكانها عند سائر من التقى بهم في المحافل الإسلامية والفكرية في القاهرة والكويت والرياض وباكستان. وإذ بالسنين في تكاثرها ينسى بعضه بعضاً، فقد بقيت ذاكرة عبد السلام وفية لأول لقاء لي به وقد زار مدينة طرابلس في أول عهده في الدراسة في الكلية الشرعية عام 1952.

ففي رسالة بعثها إليَّ في 1983/3/12 يرويها أخونا رحمه الله جوابا على رسالتين أرسلتهما إليه في ذلك العام مليئة بعبق الروح وصلابة الذاكرة مما يجعلها جزء من سيرته الشخصية. ارفقها ربطاً نسخة عنها بخط يده رحمه الله.

ومع ذلك فقد كانت الكلية الشرعية في بيروت كمدرسة داخلية تبني عرى الأخوة وفي الوقت نفسه مدرسة خارجية في مساحة اتساع بيروت وتحولت عقب الحرب العالمية الثانية في آفاق الطلاب. لذا كانت هذه الكلية مستقر التأسيس لكل ما كان بعدها. وكما كانت بيروت كانت القاهرة ودمشق منطلقا للطلاب ولزعماء

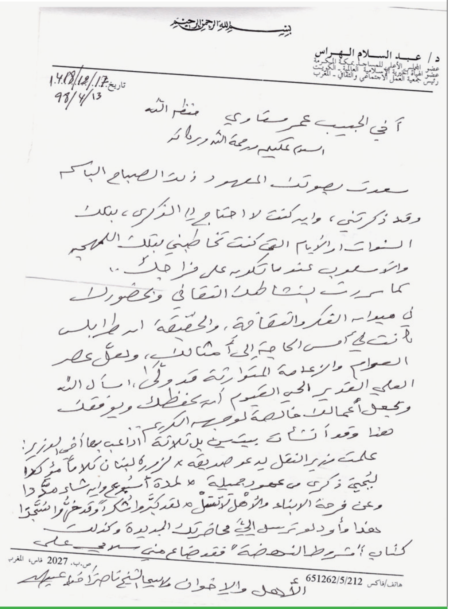
بسم الله الرحمن الرحيم
د/ عبد السلام الهراس
عضو المجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة
عضو الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الكويت
رئيس جمعية العمل الاجتماعي والثقافي - المغرب
تاريخ: 1418/12/17
98/4/13
حفظه الله
أخي الحبيب عمر مسقاوي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
سعدت بصوتك المعهود ذلك الصباح الباكر
وقد ذكرتني، وإن كنت لا احتاج إلى الذكرى، بتلك
السنوات والأيام التي كنت تخاطبني بتلك الملاحم
...
كما سررت بنشاطك الثقافي وبحضورك
في ميدان الفكر والثقافة، والحقيقة أن طرابلس
كانت في أمس الحاجة إلى أمثالك، ...
... أسأل الله
العلي القدير الحي القيوم أن يحفظك ويوفقك
ويجعل أعمالك خالصة لوجهه الكريم
...
ص.ب. 2027 فاس - المغرب
هاتف/فاكس 651262/5/212

رسالة من الأستاذ عبد السلام الهراس للدكتور مسقاوي لما كان وزيرا

المغاربة المنابر.

هكذا كانت القاهرة ودمشق المنطلق الأساسي للزعماء المغاربة إذ يفدون إليها أو يمرون عبرها الى سوريا. ثم إن لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة قد أحيا عنفوان ذاكرة الجيل في العالم العربي والإسلامي في حرب الريف عام 1925. وكان لجوؤه الى القاهرة قد فتح الباب لإنشاء مكتب للمغرب العربي يتولى توجيه المسار السياسي لزعماء المغرب كما للطلاب القادمين إلى القاهرة أو بلاد الشام.

كان من زعماء المغرب رئيس حزب الاستقلال علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني رئيس حزب الشورى. وكان لكل من البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني قادة جمعية العلماء الجزائريين كلمتهما في ثورة الجزائر. وكان عبدالسلام الهراس، في حديثه عن زعماء المغرب، ينحاز لحزب الشورى باعتباره حزب شمالي المغرب ويفضله على حزب الاستقلال وذلك قبل أن نلتقي بمحمد الحسن الوزاني في القاهرة. لكنَّ دمشق كانت حديث عبد السلام الدائم ونحن نتابع دراستنا في بيروت يحدثنا عن الشيخ الكتاني وعن الطلاب المغاربة واخبارهم كلما خرجت معه الى سهل البقاع وبلدة جب جنين في رحلة صيفية، في قافلة رئيس جماعة عباد الرحمن محمد عمر الداعوق، حيث نلتقي زميلنا المرحوم نجيب رحال والطالب في الجامعة السورية في دمشق محمد الخطيب الذي تحدثنا عن زملائه المغاربة في الجامعة السورية.

وفي نيسان من عام 1953، وفي عطلة الربيع في الكلية الشرعية اتفقت والهراس على السفر من بيروت الى دمشق للسلام على الشيخ محمد مكي الكتاني، الذي كان قد هاجر الى دمشق مع والده الكتاني الكبير عام 1912 حين احتلت فرنسا المغرب فآثر بلاد الشام في ظل الخلافة العثمانية ذلك الزمن حتى لا يكون في ظل حكم فرنسا.

هكذا اتخذ الكتاني الأب ثم الأبن موقعه من دمشق وأهلها وأضحى منزله في حي الميدان في دمشق مضافة لكل طارق. ثم كان له من الولاء الشعبي تأثير في الانتخابات السياسية التي جرت بعد الانقلاب الشيشكلي والعودة الى النظام الديمقراطي. وكان الحديث في الميدان الدمشقي شائعاً يتردد في مجلس الشيخ الكتاني بأن قائمة صبري العسيلي النيابية رئيس الوزراء السوري قد نجحت ببسبحة الشيخ الكتاني.

كان ذلك فيض حماس المريدين، لكن عبد السلام الهراس كان يحمل في زيارته للشيخ ولأسرته وأولاده فاتح وعمرو جميل ما رعاه لأول وصوله من المغرب وسعيه مع الإدارة لمتابعة دراسته في الكلية الشرعية في بيروت

هكذا جلست مع عبدالسلام في مجلس الشيخ الكتاني وضيافته يخامرنا شعور واحد بمدى اتساع الشيخ الكتاني مجلسا ونصرة لمن يأتيه من أبناء المغرب. وإذا كانت الجامعة السورية قد استقبلت العديد من الطلاب المغاربة، فقد كنا نقضي نهارنا مع أولئك الطلاب الذين أصبحوا هم رجال الإدارة والسياسة في بلادهم. وقد اورث في نفسي كل انفتاح على عالم جديد كنا سوية مع عبد السلام نرسم له آفاقه، وتحفظه حقيبة رحلتنا الجديدة نحو

من اليمين الأستاذ عبد السلام الهراس وبجانبه الأستاذ مالك بن نبي، حيث أصر ابن نبي على وداع الهراس، ومعهما مجموعة من الطلبة

الدكتور عبد السلام الهراس
بسم الله الرحمن الرحيم
أخي عمر
وعليكم السلام ورحمة الله

رسالة بخط يد الأستاذ عبد السلام الهراس إلى صديقه عمر مسقاوي

القاهرة لمتابعة الدراسة الجامعية في زمالة سكن وصحبة وتشاور ومتابعة لجو القاهرة الثقافي على اختلاف منابعه.

كانت القاهرة، عاصمة الثقافة العربية من الأعوام الدراسية 54-55-56-57-58 من القرن الماضي، المدى الأرحب لنشاطنا في القاهرة. وإذ كنا نتابع الصحافة اليومية في منزلنا الطلابي المشترك، كان مقال صادف ان نشر في مجلة " روز اليوسف" يتحدث عن مفكر جزائري هو مالك بن نبي. وكان زميلنا عبد السلام يتأهب للحاق بي الى لبنان صيف عام 1956 حين تعرف على المفكر بن نبي شخصياً. فما إن لحق بي كعادته الى طرابلس لبنان وجاء يقصُّ ظروف اللقاء بمالك بن نبي ويحدث به الشيخ الشهيد صبحي الصالح (الذي يعرفه في باريس)، و بات رحمه الله يبشر بفكره الطلاب من الشبان القادم من لبنان وليبيا والمغرب ويعقدون معه جلسات يرتبها رحمه الله أحيانا في منزلنا الطلابي.

وهكذا تعلق وعينا، كما هو شأن الطلاب القادمين من المشرق والمغرب، بهالة من الشخصيات والقادة الذين أتوا الى القاهرة. وكان محمد بن عبد الكريم الخطابي في المقدمة يسكب من حوض عنفواننا التاريخي ما يعوض فينا مسارب الإحباط. لذا كان ارتباط زميلنا الهراس بالشؤون المغربية قد أتاح لنا جمعاً طلابيا من متنوع البلاد نزور معهم محمد بن عبد الكريم الخطابي في كل مناسبة، وعلى الخصوص في مناسبة العيد. وكان المفكر الجزائري مالك بن نبي يصاحبنا او نصاحبه في هذه الزيارة. وهكذا بدأ الشأن المغربي ثقافة وثورة واتصالاً بالرجال الكبار يخاطب قلق ما خالط مشاعر جيلنا منذ بداية الخمسينات.

وهكذا وجدنا في محمد بن عبد الكريم الخطابي محطة أمان، وفي مالك بن نبي أفق إدراك لغد واعد.

كانت الذكريات لدى كل من الشخصيتين يفضي بعضها إلى بعض تواصلا ينقلنا الى تفاصيلها في زيارتنا الطلابية الجماعية حين اندمج المفكر بن نبي في جونا وكان يصاحبنا في زياراتنا للأمير الخطابي يستعيد معه ما كان من وقع ثورة الريف عام 1925 على الشعب الجزائري حين كان بن نبي طالباً. وكان يحدثنا ويشرح مشروعه لجمع طلابي من مختلف الجنسيات تقاطرت الى حلقات ينظمها له زميلنا المرحوم عبد السلام الهراس.

كان ابن نبي في رحلاتنا الترفيهية معه يسترسل حديثا او شرحاً من كتابه شروط النهضة. وكان من اثر ذلك كله ان اقترحنا عليه إصدار كتاب شروط النهضة باللغة العربية حين أتاح لنا العدوان الثلاثي في خريف القاهرة، وقد توقفت الدروس في الجامعة، متسعاً من الوقت لنساهم في هذا المشروع. لذا كان كتاب شروط النهضة اول كتاب بالعربية يصدر بإشراف بن نبي حصاد ما غرس في حلقات نظمها له عبد السلام الهراس.

وإذ كان فكر ابن نبي ذلك الزمن يحتاج الى تعريف بأهميته للقارئ العربي ولدار النشر، كان لا بد من البداية ان نطبع الكتاب وندفع التكاليف. فكان رحمه الله المبادر يضحي بقليل ماله وكبير معروفه لينجز فكرة إصدار كتاب شروط النهضة الى القارئ بالعربية

كانت تكاليف الطبعة الأولى من كتاب "شروط النهضة" تبلغ حوالي مائة وعشرين جنيها مصرياً. و كان الهراس قد وفر فائضاً خمسين جنيهاً من مصروفه الشخصي دفعها من حساب تمويل الطبعة الأولى، ودفع مالك من جيبه أربعين جنيهاً واستوفت المطبعة من حساب بيع الكتاب الثلاثين الباقية.

لقد كان كتاب "شروط النهضة يمثل ذلك الجهد المشترك الذي قاده عبد السلام الهراس رحمه الله زمنا من الدراسة في القاهرة عامي 56-57 وأدخل فكر بن نبي الى القارئ العربي.

لقد كان الفقيد حركة دائمة في توثيق صلاته مع الطلاب الذين واثقهم بعهد من الأخوة والتواصل. و قد بقي يتواصل مع أكثرهم ويبني في المؤتمرات الفكرية التي يدعى إليها روابط فاعلة بين الشعوب الإسلامية.

فهو، بعد ان أنهى دراسته في دار العلوم وتخرج منها العام الدراسي 57-58 وحجز على باخرة تمرُّ بقناة السويس، قرَّر مالك بن نبي تعبيراً عن تقديره في كل ما قدم أن يودعه في مرفأ بور سعيد. وهكذا ذهبنا معه مودعين في آب 1958 وكان الوداع مؤثراً فينا جميعاً.

كان عبد السلام الهراس قد اسَّس لطموحه مساراً غرس له في المغرب في كل موقع صلة تزكو بالإنفاق روحاً وعلماً . ومن فيض هذا النبع الصافي جعل منه الدكتور والاستاذ الجامعي في الأدب ألأندلسي في جامعة فاس واستاذا موجها بصدق الكلمة وحرارة التآخي الروحي في كثير ممن التقى بهم وتسلموا مراكز قيادية في اوطانهم . والأب لعائلة انتجت ذرية صالحة في مختلف الاختصاصات، ومنارة حضور في أرجاء العالم الإسلامي .

هكذا مرت الأيام حتى التقينا بالفقيد وعائلته وهو عائد من الحج في سبعينات القرن الماضي وكانت المحطة في بيروت وطرابلس. ثم في نهاية عام 1979 زرت المغرب وحللت في ضيافته في فاس وتعرفت على عائلته، ثم وفَّر لي في جامعة فاس محاضرة حول فكر مالك بن نبي.

وفي عام 2003 وفي ندوة عقدت في الجزائر حول فكر بن نبي القينا

وكان عبد السلام الهراس له المقام الأرفع في حضوره بين المشاركين.

ولقد كان لي في قوله وفي ذاكرته عقوداً

كان عبد السلام الهراس قد اسَّس لطموحه مساراً غرس له في المغرب في كل موقع صلة تزكو بالإنفاق روحاً وعلماً . ومن فيض هذا النبع الصافي جعل منه الدكتور والاستاذ الجامعي في الأدب الأندلسي في جامعة فاس واستاذا موجها بصدق الكلمة وحرارة التآخي الروحي في كثير ممن التقى بهم وتسلموا مراكز قيادية في اوطانهم

من العمر لا ينقطع وفاؤها في كل لقاء توفر لي معه كما هي رسائله تسكب في ذاكرتي كل شأنه، زواجا وأسرة عشت معها في رسائله التي لم تنقطع كما هو قد عاش في تفصيل ما الأيام

وإذ قيض الله لي من سبل الحياة الاجتماعية والسياسية وزيراً في وزارات الرئيس رفيق الحريري رحمه الله وأجزل ثوابه بعد اتفاق الطائف وكان عبد السلام يتابعني في رسائله كمسؤول في الدولة فكتب لي رسالة مؤرخة في 1998/4/13 هذا نصُّها :

أخي الحبيب عمر مسقاوي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعدت بصوتك المعهود ذلك الصباح الباسم في تصريح تلفزيوني وقد ذكرتني وإن كنت لا أحتاج الى الذكرى بتلك السنوات والأيام التي كنت تخاطبني بتلك اللهجة والأسلوب عندما تكون على مزاجك.

كما سررت لنشاطك الثقافي ولحضورك في ميدان الفكر والثقافة، والحقيقة ان طرابلس كانت في أمس الحاجة الى أمثالك لعل عصر العوام والزعامة المتوارثة قد ولى.

أسأل الله العلي القدير ان يوفقك ويجعل أعمالك خالصة لوجهه الكريم. هكذا وقد أنشأت بيتين او ثلاثة أداعب بها اخي الوزير

"علمت وزير النقل يدعو صديقه
لزورة لبنان كلاماً مؤكَّدا
ليحي ذكرى من عهود قديمة
لمدة أسبوع و إن شاء مدَّدا"

وكان جوابي على رسالته بأبيات أختم بها:

رأيتك تزجي الود شوقاً مجدداً
وتبعث فينا الذكريات تودداً
وتسكب من فيض الزمان قرائحاً
تفيض بنا دمعاً وتذكي توجداً
وما أنت من أمس بغائب حاضري
وقد بات سمعي من شجيك منشدا
فأقبل إلينا نستعيد صفو أمسنا
ونستنبيء الايام ما كان موعدا
ونستعرض الأحداث في ودٍّ سعينا
عسانا نجد رؤيا تضيء لنا المدى

رحم الله عبد السلام الهراس وأجزل ثوابه.

الآستاذ عبد السلام الهراس مع زملائه الطلبة، ومالك بن نبي في زيارة للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي

لمحات من سيرة الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه

أ.د. عبد الرحيم الرحموني

مَنْ عرف الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله حَق المعرفة أدرك أنه كان بحق رجلا متميزا ذكيا ألمعيا في كل أموره، كان أباً للجميع دون تمييز أو تصنيف للآخر على أساس الفكر أو التوجّه، يُخاطب كل من تجْمعه به الأقدار حتى وإن لم يكن يعرفه من قبل، ويُشركه معه في الموضوع الذي هو فيه، ويبادره بالسؤال عن أحواله وظروفه. كان رحمه الله عفويا في كل شيء، فطريا (من الفطرة) في جُل تصرفاته، يحاول أن يتعلم من كل مَن يلتقي، ويستفيد مما يرى، كما كان هَمُّه أن يتعلم الجميع، وأن يتربى الجميع، وفق ما يمليه عليه ديننا الحنيف وحضارتنا السامية، وكان لا يدّخر جهدا في الإسهام في ذلك، يوجه نحو ما يراه الأفضل، دون تردد أو بخل بالمعلومة، ودون ترفع أو تكبّر، يجود بما يعرف في الموضوع، ولا يألو جهدا في النصح والتوجيه، وكل ذلك بأسلوبه التربوي المتميز الذي حَبَاه الله تعالى به، والذي يجمع بين الجد والهزل، بين المعلومة والطرفة، بين الإفادة والابتسامة، لكن كل ذلك كان في قالب تربوي رفيع.

وفي جميع ذلك كان رحمه الله سريع الجواب بما يناسب المقام، حاضر النكتة، دائم الابتسامة، بعيدا كل البعد عن التهجم والغضب والتعصب، يألفه من يعرفه، ويأنس به من لا يعرفه، لقد كان رحمه الله مُعلّما مربّيا، وكفى بالمرء أن يُشهد له بالتعليم والتربية، وهل قيام المجتمعات والدول إلا على التعليم والتربية؟ بل ألم تكن دعوة الأنبياء عليهم السلام للناس مهمة تربوية تعليمية؟

● كانت أول معرفتي بالفقيد رحمه الله بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس، حينما كنت طالبا هناك ودرّست عليه مادة الأدب الأندلسي، ويمكن أن أقول إن ما عرفته عن الأندلس وأدبها وحضارتها ثم مأساتها بعد فقدانها، عرفته على يده؛ وما زلت أذكر القصائد التي كانت مقررة خلال تلك السنة، وكان على رأسها:

قصيدة ابن الأبار التي مطلعها:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أَنْدَلُسَا...
إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا.

وقصيدة أبي البقاء الرّندي:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ...
فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

وقصيدة ابن اللبانة التي مطلعها:

تَبْكِي السَّمَاءُ بِدَمْعٍ رَائِحٍ غَادِي...
عَلَى الْبَهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادِ

وانطلاقا مما تحمله هذه القصائد من دلالات وإيحاءات، وما تُبرزه عن مأساة الأندلس ومأساة أهاليها – تلك المأساة التي لا يكاد يقاربها إلا ما تعيشه أمتنا من مآسي متتالية في العصر الحاضر – أقول: انطلاقا من هذه القصائد كان أستاذنا الفقيد رحمه الله يبرز لنا جمال الأندلس من خلال جمالية القصيدة الأندلسية، ويحدثنا عن حضارة الأندلس من خلال الإبداع الذي تحتضنه القصيدة الأندلسية، ولئن كان الفقيد رحمه الله قد قصَر تدريسه – أو كاد – على الشعر الذي يتحدث عن مأساة سقوط الأندلس، فلأنّ الشعر الذي ينبع من رحم المأساة أكثر صدقا وأدق تعبيرا عن الواقع؛ واقع فقدان الأندلس. وقديما سأل الأصمعي شاعرا قائلا: "ما بالُ مراثيكم أجود أشعاركم؟"، فأجاب: "لأنا نقول وأكبادنا تحترق". لقد احترقت أكباد شعراء مأساة الأندلس فعبروا عنها أحسن تعبير، وعبّر عنها أستاذنا أدقّ تعبير أيضا من خلال إبرازه لدلالات هذه القصائد التاريخية، ثم ما كان يضفي على هذه القصائد من إيحاءات ترتبط بزمان الأندلس ومكانها من خلال الحديث عن أدباء الأندلس وعلمائها وأعلامها. وبحكم إجادته رحمه الله للغة الإسبانية فلقد كان يُقرّب لنا الكثير مما يتعلق بالأندلس لغة، وحضارة، وعلما وأدبا وأعلاما وأمكنة.

الدكتور الهراس في ندوة الإعجاز العلمي بفاس

● ثم ازدادت معرفتي به رحمه الله بعد أن التحقت أستاذا بشعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ظهر المهراز فاس، حيث كان آنذاك رئيسا للشعبة. وأهم ما يمكن أن أسجله عن هذه المرحلة أمور منها:

أ – أنه رحمه الله كان يحاول إمساك العصا من الوسط – كما يقال – في تسيير أمور الشعبة، ذلك أنه رغم التعارضات والتناقضات السياسية وأحيانا الذاتية ولا أقول "المصلحية" التي كانت تطفو في كثير من الأحيان، فإن هذه الشعبة كانت رائدة على المستوى العلمي مقارنة مع كثير من الشعب في مختلف الجامعات في ذلك الوقت، وذلك من خلال ما أنجزه أساتذة الشعبة من أبحاث في مجال الدراسات الأدبية واللغوية وتحقيق التراث، وخاصة على مستوى أبحاثهم الأكاديمية للحصول على شواهد دبلوم الدراسات العليا أو دكتوراه الدولة. ومما يُذكر في هذا المقام أن الفقيد رحمه الله قد أشرف على العديد من الأبحاث من هذا المستوى، سواء لأساتذة من شعبة اللغة العربية وآدابها، أو من شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب ظهر المهراز فاس، وكذلك في كليات مختلفة من الجامعة المغربية وعدد من الجامعات العربية.

ولعل مما ساعد على هذا الإنجاز أن أستاذنا الفقيد رحمه الله كان يشجع على هذا النهج ويدفع إليه دفعا، ويُنبّه من كان يشتغل بسفاسف الأمور، حتى ولو كانت أمورا علمية أو تدريسية؛ مثل الحرص على تدريس مواد بعينها دون غيرها، أقول إنه كان ينبه من يشتغل بهذه الأمور إلى ضرورة إكمال ما يتعلق بالحصول على الشهادة أولا؛ تلك الشهادة التي كان لا يحصل عليها صاحبها في ذلك الوقت – كما كان يقول أستاذنا الدكتور علي حمودان حفظه الله – حتى يكون هو بالذات صالحا ومجالا تطبيقيا لإنجاز شواهد دكتوراه في مجال الطب والأحياء وربما في علوم أخرى، لما يصاب به صاحب الشهادة من مخلفات وتوابع مجهوده الفكري والعصبي والعضلي والمادي أثناء إنجاز تلك الشهادة.

ومما يُسجل في هذا الباب، وخاصة من جانب رئاسة الفقيد رحمه الله للشعبة، أنه كان له مبدأ تربوي منهجي تعليمي، حيث كان يرى أن الأستاذ، أي أستاذ، عليه أن يُدَرِّس المواد التي لا ترتبط بتخصصه، حتى يتمكن من إتقانها، لأنه بتدريسه له سيتقنها بشكل دقيق، حتى وإن كانت بعيدة عن تخصصه، أو غريبة عن مجال بحثه. ومن المعلوم أن هذا المبدأ أصبح الآن مبدأ تعليميا أثبت نجاعته وأهميته في كل المستويات.

ومما يُسجل في هذا الباب، وخاصة من جانب رئاسة الفقيد رحمه الله للشعبة، أنه كان له مبدأ تربوي منهجي تعليمي، حيث كان يرى أن الأستاذ، أي أستاذ، عليه أن يُدَرِّس المواد التي لا ترتبط بتخصصه، حتى يتمكن من إتقانها، لأنه بتدريسه له سيتقنها بشكل دقيق، حتى وإن كانت بعيدة عن تخصصه، أو غريبة عن مجال بحثه. ومن المعلوم أن هذا المبدأ أصبح الآن مبدأً تعليميا أثبت نجاعته وأهميته في كل المستويات.

بل وأكثر من هذا كان للفقيد رحمه الله مبدآن آخران هما:

ب – أنه كان يرى أن الأساتذة الكبار ينبغي أن يُدَرِّسوا في المستويات الأولى من سنوات الإجازة، أو على الأقل ألا تخلو هذه المستويات من وجود هؤلاء الأساتذة، وذلك حتى يقدموا "الجرعات اللازمة" (شكلا ومضمونا، منهجا وتحصيلا) للطالب الوافد الجديد على الجامعة، ويُشعره ذلك فعلا بأنه في الجامعة، وأنه لم يعد في مؤسسة ثانوية. ولعلّه لهذا السبب درَّس، في عهده، في السنة الأولى، أساتذة كبار من المغرب والمشرق، أذكر منهم الأساتذة الدكاترة: محمد الخمار الكنوني، محمد المعداوي، عز الدين إسماعيل، صالح الأشتر، عبد الحميد يونس، فخر الدين قباوة، وغيرهم..

أن تُدَرَّس النصوص الأدبية وقضاياها التي يُظن أنها صعبة في المراحل الأولى أيضا، لأنه إذا استوعبها الطلبة –ولو في خطوطها العريضة – سهل عليهم ما سيأتي.

● ثم عرفته رحمه الله بعد ذلك من خلال رفقته في بعض الأسفار خارج الوطن للمشاركة في بعض الندوات والأنشطة العلمية، فكان نِعم الرفيق والعُدّة، وكأنّ المرء برفقته في صُحبة أربعة(1): **رفيق، فقيه، معلم، مرب؛ إن استفتيته في الدين أفتاك، وإن تجاذبت معه أطراف الحديث عن الواقع والتاريخ أسمعك كل طارف وتليد، وإن سألته عن قضايا علمية أو أدبية أفاض في الشرح والتوضيح، وإن أحببت البسط والفكاهة وجدته يفيض بكل ما يُفرح ويُضحك.**

وفي ختام هذه الكلمة البسيطة المتواضعة، أود أن أسجل أمورا منها:

1 – أنه رحمه الله، بقدر مكانته وجاهه عند الكثيرين، كان زاهدا في الدنيا راغبا عنها، فلقد رأيت أكثر من مرة كيف كان كبار القوم وعلية الملأ يستقبلونه في أكثر من مكان، ويعرضون عليه الخدمات، إلا أنه في كل ذلك كان قنوعا راضيا بعيشه مطمئنا.

2 – أنه رحمه الله، على علمه وفقهه، كان يتوخى البركة والفضل ويترجى الدعاء والنصح ممن يلتمس منهم ذلك، حتى ولو كانوا من طلبته الذين هم في سن صغار أبنائه، فيأتم بهم في الصلاة، ويسألهم الدعاء.

3 – أنه، رحمه الله وجعل الجنة مثواه، كان صافي السريرة، كانت سريرته كعلانيته، ولذلك كان منفتحا على جميع الأشخاص حتى الذين كانوا يعادونه بسبب اتجاهه أو فكره أو طبعه، فلم يكن يحقد على أحد ولم يكن يعادي أحدا، بل على العكس من ذلك كان يخالط الجميع، ويسأل عن الجميع، ويذكرهم بخير. وكفى بهذا مكرمة وفضلا.

4 – أنه رحمه الله، في كل ذلك، لم يكن يفتأ عن التوجيه، ولا يتردد في النصح، بالأسلوب الذي يراه أحسن ومناسبا. وبحكم أن عشرتي له كانت علمية، فلقد أفدت منه الكثير من خلال ما كنت أسمعه منه من توجيهات وتصويبات في مجال اللغة والأدب سواء أكانت موجهة إليّ، أم إلى غيري من زملائي في الشعبة.

رحم الله أستاذنا الفقيد وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به مسلمين مؤمنين ثابتين غير مقصرين ولا مبدلين.

---

1 – ورد في الحديث النبوي الذي رواه ابن عباس رضي الله عنها: "خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ"...

من آثار الأستاذ عبد السلام الهرّاس العلمية

أولا: من محققاته، ومؤلفاته:

أ - من محققاته :

- درر السِّمط في أخبار السِّبط، تأليف: البلنسي ابن الأبار، تحقيق: الهرّاس عبد السلام/ سعيد أحمد أعراب، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972.(بالاشتراك).
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف: المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد، تحقيق: عبد السلام محمد الهرّاس، سعيد أحمد أعراب، صندوق إحياء التراث الإسلامي - الرباط (1999 - 1978)،(تح. ج: الخامس من الكتاب بالاشتراك).
- ديوان ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد القضاعي البلنسي، قراءة وتعليق عبد السلام الهرّاس، الدار التونسية - تونس 1985م، (جزء من الأطروحة التي تقدم بها إلى جامعة مدريد، وللديوان طبعة ثانية أشرفت عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميةبالمغرب).
- مأساة الحسين رضي الله عنه في الأدب الأندلسي، المسمى درر السِّمط في خبر السِّبط، تح أ.د.عبد السلام الهرّاس، الشيخ/ سعيد أعراب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.(بالاشتراك).
- من محققاته كذلك صلة الصلة لابن الزُبير الغرناطي، والتكملة من كتاب الصلة لابن الأبّار البلنسي التي نُشرت منذ سنوات بالقاهرة.

ب - من مؤلفاته:

- الثقة بالله أولا، عبد السلام الهرّاس، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإدارة الأزمات، أ.د.عبد السلام الهرّاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.(للكُتَيِّب طبعتان).
- سعادة المرأة في ظل الإسلام، أ.د.عبد السلام الهرّاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- من ذكرياتي مع مالك بن نبي محاورة فكرية مع الدكتور عبد السلام الهرّاس، حوار: محمد البنعيادي، تقديم: د. حسن الأمراني، كتاب النّبراس، العدد: 2، السنة: 2005.(طبع الكتابُ مرة ثانية في كتاب "المجلة العربية").
- الأدب الأندلسي: قضايا وشخصيات/أ.عبد السلام الهرّاس، طبعة تجريبية، 1988م.
- الأندلس بين الاختبار والاعتبار(قصة سقوط الأندلس.. من الفتوح إلى النزوح)،د. عبد السلام الهرّاس، دار الأندلس الخضراء.

ثانيا : من مقالاته في المجلات والجرائد:

أ- من مقالاته في المجلات:

في الأدب الأندلسي:

- ابن الأبّار وقصائد ثلاث، دعوة الحق، ع: 3، س: 7.
- ابن الأبار البلنسي: الشاعر الوفي لوطنه، الفيصل، ع: 278.
- إنتاج ابن الأبار، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، س: 1983.
- من أعلام البربر في الأندلس، دعوة الحق، ع: 1، س: 2.
- حسّانة/ التميمية هل هي بنت أبي المخشي؟، دعوة الحق، ع: 2، س: 12.
- خطبة طارق بن زياد من جديد، دعوة الحق، ع: 11، س: 5.
- شخصية المرأة الأندلسية من خلال وثيقة صداق منظومة، الفيصل، ع: 156.
- مأساة الأندلس في رأي ابن حيّان، المناهل، ع: 29.
- عبد الرحمن الأديب، المناهل، ع: 23.
- موقف آخر من زرياب المغني، المناهل، ع: 24.
- فجر الأدب الأندلسي، المناهل، ع: 4.
- مأساة الحسين في الأدب الأندلسي، المناهل، ع: 11.
- مأساة الحسين في الأدب الأندلسي - 2 -،المناهل، ع: 12.
- مأساة الحسين في الأدب الأندلسي - 3 -، المناهل، ع: 14.
- مأساة الحسين في الأدب الأندلسي - 4 -، المناهل، ع: 18.
- الشاعر عاصم بن زيد التميمي، المناهل، ع: 5.
- رسالة التوابع والزوابع وعلاقتها برسالة الغفران، المناهل، ع: 25.

من شعره (قصائد، وليس للشاعر ديوان مطبوع):

- من واقع المسلمين، دعوة الحق، ع: 6/7، س: 9.
- أشواق أحزان، دعوة الحق، ع: 9/10، س: 11.
- هكذا الشعر، المشكاة، ع: 43/44.
- القرويين يُحتضر، المحجة، ع: 278.

في الترجمة عن الإسبانية:

- العيون الخضر للشاعر الإسباني غوستاف أدو لفويكر، دعوة الحق، ع: 3، س: 7.
- الحجز للشاعر غبريل أي غالمان، دعوة الحق، ع: 5، س: 7.

في المرأة:

- كيف عالج الإسلام مشكلة المرأة، دعوة الحق، ع: 3، س: 3.
- كيف عالج الإسلام مشكلة المرأة - 2 -، دعوة الحق، ع: 4، س: 3.
- كيف عالج الإسلام مشكلة المرأة - 3 -، دعوة الحق، ع: 5، س: 3.
- المرأة الجديدة وعقيدتنا، دعوة الحق، ع: 2، س: 7.
- شهادة المرأة بين الإسلام وعلم النفس، دعوة الحق، ع: 2، س: 4.

في الإصلاح ورجالاته:

- حول فكرة الإصلاح الإسلامي، دعوة الحق، ع: 3، س: 4.
- منهج محمد عبدو في الإصلاح، دعوة الحق، ع: 4، س: 4.
- منهج محمد عبدو في الإصلاح - 2 -، دعوة الحق، ع: 7، س: 4.
- الفيلسوف الإنسان، دعوة الحق، ع: 2، س: 2.
- أبو الحسن الندوي المصلح الحكيم، المحجة، ع: 123.
- مالك بن نبي وكتابه مستقبل الإسلام، دعوة الحق، ع: 2، س: 3.
- مالك بن نبي في كتابه: شروط النهضة ومشكلات الحضارة، دعوة الحق، ع: 5، س: 2.
- فلسفة الحركة، دعوة الحق، ع: 4، س: 2.
- نحو تربية إسلامية، دعوة الحق، ع: 7، س: 3.
- نحو انطلاقة مستقيمة، دعوة الحق، ع: 5، س: 8.
- نحو ثقافة إسلامية، دعوة الحق،ع: 1، س: 5.

في الدعوة الإسلامية:

- المغرب في حاجة إلى دعوة إسلامية ولكن..،دعوة الحق، ع: 8، س: 3.
- كلمة حول الدعوة والإرشاد، دعوة الحق، ع: 5، س: 7.
- الدعوة الخالدة، دعوة الحق، ع: 9/10، س: 3.
- توحيد الدعوة الإسلامية، دعوة الحق، ع: 10، س: 3.
- الدعوة الإسلامية في لبنان، دعوة الحق، ع: 10، س: 3.
- الدعوة والدعوى، دعوة الحق، ع: 5، س: 12.

في الفكر الإسلامي:

- الاختلاط بين الإسلام وواقع الحياة، دعوة الحق، ع: 6، س: 3.
- الفكرة الإسلامية بحاجة إلى ثورة، دعوة الحق، ع: 4، س: 7.
- المسلمون في خطر الفراغ، دعوة الحق، ع: 2، س: 8.
- لماذا نريد الإسلام؟، دعوة الحق، ع: 6/7، س: 9.
- لماذا نريد الإسلام- 2 -، دعوة الحق، ع: 6/7، س: 10.
- مستقبل الإسلام في المغرب، دعوة الحق، ع: 5، س: 5.
- الإسلام من جديد، دعوة الحق، ع: 8/9، س: 5.
- لو عاد العرب إلى الإسلام، دعوة الحق، ع: 6، س: 18.
- قصة الإفك، الوعي الإسلامي، ع:202.
- طلائع الاستنبات الحضاري الإسلامي بديار الغرب، المحجة، ع: 112.
- المشروع أمانة الأجيال ومستقبل أمة: أساسات ومحاذير، المحجة، ع: 124.

في التأريخ:

- المرابطون..دولة البطولات، الفيصل، ع: 21.
- الحركة الوطنية والظهير البربري 1368/1935م (صور من صور الصراع الحضاري بين المغرب وفرنسا)، الفيصل، ع: 65.
- أهمية فتح مكة، دعوة الحق، ع: 7، س: 3.
- المغرب مسؤولية حضارية، دعوة الحق، ع: 4، س: 23.
- المغرب مسؤولية حضارية، دعوة الحق، ع: 6، س: 23.

كما نشر أبحاثه في كثير من المجلات الأخرى: "البحث العلمي"، و"الثقافة المغربية"، و"الهدى"، و"المجتمع" و"النور"، و"العروة الوثقى" بمصر، ثم "بونة للدراسات والأبحاث"...

ب- من مقالاته في الجرائد:

أما في الجرائد فقد فقدت جريدةُ "المحجة" علما بارزا من أعلامها حيث كتب بها ما يقرب من أربعمائة "بارقة" أغلبها تصب في فقه الواقع، من سنة 1994م إلى سنة2011م. من هذه " البارقات " ما يلي:

- (بارقة ليس لها عنوان)، المحجة، ع: 1.
- الإنجاز العظيم، المحجة، ع: 2.
- المهمة النموذجية في السوء، المحجة، ع: 3.
- عبقرية فرنسا، المحجة، ع: 4.
- بين التفتح والتفسخ، المحجة، ع: 5.
- اللهم إليك نشكو ضعفنا، المحجة، ع: 6.
- هبوا يا علماء...فإن أسيادهم في خطر تركيا العلمانية تتهاوى، المحجة، ع: 7.
- هم يقدسون لغتهم أما نحن... فإلى الله المشتكى، المحجة، ع: 8.
- التنمية القذرة، المحجة، ع: 9.
- التنمية القذرة(2)، المحجة، ع: 10.
- وفي الطارة كفاية، المحجة، ع: 11.
- وفيك الخصم والحكم، المحجة، ع: 12.
- في درك نحن من الخطر؟، المحجة، ع: 13.
- فرنسا تريد والله يريد ولا يكون إلا ما يريد، المحجة، ع: 14.
- يخربون أمتهم بأيديهم أيدي شياطينهم، المحجة، ع: 15.
- من المدرسة يبدأ التقدم ومنها ينشأ الانهيار، المحجة، ع: 16.
- يا أولي الأبصار: المسلمون بين الإجهاز والإجهاض والاستنزاف، المحجة، ع: 17.
- وأسأله تعالى أن يكتب لي غزوة فس سبيل الله..،المحجة، ع: 18.
- طلائع الخير وفوارس الرحمة والخير، المحجة، ع: 19.
- بقوتك يقتنع العدو بحقك، المحجة، ع: 20.
- أفغانستان: خلل هناك، المحجة، ع: 21.
- إن شابا مثلك خير لدولته من جيش، المحجة، ع: 22.
- أفق أيها السكّير إنها كروني وليس براغ، المحجة، ع: 23.
- 4÷3 = 4÷2، المحجة، ع: 24.
- خريطة الإرهاب، المحجة، ع: 25.
- اجذر أن تشتت وحدة المسلمين، المحجة، ع: 26.
- رسالتنا الإسلامية في إفريقيا هل سمعتم يا مغاربة؟، المحجة، ع: 27.
- عواصم المآسي - المصورة وغير المصورة، المحجة، ع: 28.
- دروس يجب الاستفادة منها، المحجة، ع: 29.
- إعلان لتوظيف عملاء المخابرات (الشكامة)، المحجة، ع: 30.
- الركائز العظيمة، المحجة ع: 31.
- دخل مجرما وخرج مسلما، المحجة، ع: 32.
- اشتم الإسلام تحظ بجائزة...أو تراقص ابنة وزير، المحجة، ع: 33.
- النظام العالمي الجديد هو نفسه النظام العالمي القديم، المحجة، ع: 34.
- هل من وقفة تأمل ومراجعة؟، المحجة، ع: 35.
- هل بدأ المغرب يتحرر من الفرنسية، المحجة، ع: 36.
- مأساة البوسنة: اختبار الغرب للمسلمين، المحجة، ع: 37.
- الفرانكو إرهابية، أو "أجهز عليه"، المحجة، ع: 38.
- عدو الإسلام في قفص الاتهام، المحجة، ع: 39.
- العملة الصعبة والعنصر الأندر، المحجة، 40.
- العرب يدخلون القرن الواحد والعشرين كشر أمة أخرجت للناس، المحجة، ع: 41.
- فرنسا تتلاعب بمصير البوسنة والهرسك، المحجة، ع: 42.
- البعبوع الذي يخيف الغرب، المحجة، ع: 43.

– من علامات التخلف، المحجة، ع: 44.
– مرحى...بدأ اتحادنا مع أوربا، المحجة، ع: 45.
– الإسلام نعمة نحس بها نحن لا المسلمون ولادة، المحجة، ع: 47.
– من زرع الريح حصد العاصفة، المحجة، ع: 48.
– ليت للمسلمين حقوقا في بلادهم كحقوق الحيوان في بلاد النصارى، المحجة، ع: 49.
– بدأنا نقطف ثمار السّلام، المحجة، ع: 50.
– كارثة وأي كارثة، المحجة، ع: 51.
– جمع التكسير، وتكسير الجمع، المحجة، ع: 52.
– أولاد السوق، المحجة، ع: 53.
– الريحية، المحجة، ع: 54.
– الشيوخ الشباب والشباب الشيوخ، المحجة، ع: 55.
– ملكة جمال الكرموس (التين)، المحجة، ع: 56.
– مدير جامعة يقدم استقالته خوفا من الأمية، المحجة، ع: 57.
– اليابان متخلفة في العلوم والتكنولوجية، المحجة، ع: 58.
– استرني إني مسلم، المحجة، ع: 59.
– مصاب جسيم فاللهم اجعل أجره أعظم، المحجة، ع: 60.
– ألف دولار لكل داعية للإسلام ولكن...في السجون الأمريكية، المحجة، ع: 61.
– نصيحة الشياطين، المحجة، ع: 62.
– شهر البركة والغفران وسلسلة الشياطين ألا فسلسلوا شياطينكم، المحجة، ع: 63.
– إنجاز عظيم: ملكة جمال السلطة الفليسطينية، المحجة، ع: 64.
– أما أن للتلفزة المغربية أن تكون في مستوى رمضان، المحجة، ع: 65.
– جرب ألا تغتاب مسلما في رمضان، المحجة، ع: 66.
– وإن جندنا لهم الغالبون رغم تحالف قوى الشر على السودان، المحجة، ع: 67.
– لا للشريعة، المحجة، ع: 68.
– كلمة افتتاح مجالس تدارس القرآن الكريم، المحجة، ع: 69.
– المسلم متهم حتى يلفقوا إدانته، المحجة، ع: 69.
– من فضائل بلادنا ذكر السلف بخير دائما، المحجة، ع: 70.
– موبوتو عبرة لمن يعتبر، المحجة، ع: 71.
– العرب والرين، المحجة، ع: 72.
– ترقص بالسليمة وتصلي بالمصابة، المحجة، ع: 73.
– سياسة فرنسا البليدة وتابع البليد بليد، المحجة، ع: 74.
– القدس لن يحررها إلا الإيمان والعمل الصالح، المحجة، ع: 75.
– إفريقيا...بدأوا تقويضها من الوسط، المحجة، ع: 76.
– ما لجرح بميت إيلام، المحجة، ع: 77.
– وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ماذا يعدون لأندونيسيا؟، المحجة، 78.
– من غرائب ما رأيت وشاهدت بوطننا الحبيب، المحجة، ع: 79.
– الموت خير لي من البطالة، المحجة، ع: 80.
– مساكين أهل الجمعة، المحجة، ع: 81.
– بدع وتقليد أعمى، المحجة، ع: 82.
– فرنسا تقرر الأخلاق في مناهج الدراسة بمدارسها، المحجة، ع: 83.
– وشهد شاهد من أهلها، المحجة، ع: 84.
– الفنانات التائبات يجرحن شعور الفنانات الممارسات، المحجة، ع: 85.
– على الراجلين أن يطيروا، المحجة، ع: 86.
– الإسلام ينتشر بفرنسا أكثر مما يُتوقع، المحجة، ع: 87.
– لماذا لا نعلن حالة الطوارئ؟، المحجة، ع: 88.
– قباني وشمس الدين "رفضان" المشروع، المحجة، ع: 89.
– نصائح ابن رجب الحنبلي، المحجة، ع: 90.
– الرجال يطالبون بحقوقهم، أو تمرد الرجال في كندا، المحجة، ع: 91.
– هناك يتنافسون على اجتذاب العقول والأدمغة، وهنا يتنافسون على طردها ووأدها، المحجة، ع: 92.
– ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور، المحجة، ع: 93.
– هل يتمنى إنسان العالم الثالث أن يصبح حمارا ألمانيا أو كلبا غربيا؟، المحجة، ع: 94.
– "فما أفلح عقل الثورة إلا في حرق نفسه"، المحجة، ع: 95.
– ديمقراطية الطغاة والمتخلفين، المحجة، ع: 96.
– الإسلام عالج الفقر بالطاعات لا بالمعاصي، ع: 97.
– الصحافة الإسلامية..والإعراض من ذوي القربى، المحجة، ع: 98.
– هنا مكان الخلل، المحجة، ع: 99.
– متى تختفي السذاجة والبساطة في الوسط السياسي الإسلامي؟، المحجة، ع: 100.
– أدركونا قبل أن تفقدون، المحجة، ع: 101.
– طفل يفزع فرنسا، المحجة، ع: 102.
– أنت في مقام السؤال لا في مقام المناقشة، المحجة، ع: 103.
– نحن الأوائل، المحجة، ع: 104.
– الفتنة قائمة لعن الله من أيقظها، المحجة، ع: 105.
– العلماء ورثة الأنبياء، المحجة، ع: 106.
– ومن يتولهم منكم فإنه منهم، المحجة، ع: 107.
– هكذا التيه وإلا فلا، المحجة، ع: 108.
– بمثل هذا يحيى العلماء بعد وفاتهم، المحجة، ع: 109.
– الأمة بخير ما أكرمت علماءها العاملين، المحجة، 110.
– الآن يا عمر، المحجة، ع: 111.
– وطننا الممتد بالخارج مهدد بالضياع، المحجة، ع: 112.

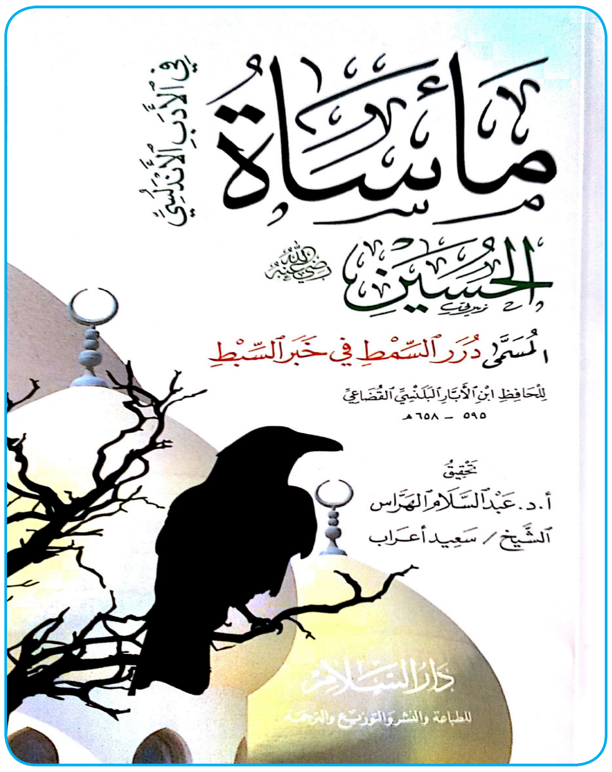

– المعاملات المالية الإسلامية تزحف على البنوك المغربية: ما رأي الدول الإسلامية على منع ذلك في بلادها ؟، المحجة، ع: 113.
– "المرأة بين أحوال الفقه والدعوة إلى التغيير" للمؤلف: الأستاذ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغيري، المحجة، ع: 114.
– لا تلعبوا بالنار...ولا تعينوا الظهير البربري، المحجة، ع: 115.
– إيمان الشياطين، المحجة، ع: 117.
– الشراكة مع الأقوياء أشراك للضعفاء، المحجة، ع: 118.
– التهديم الداخلي، والتناحر الذاتي، المحجة، ع: 120.
– ليتهم اقتدوا بملكة الإنجليز، المحجة، ع: 121.
– أخشى أن يأتي الذبان الجائح، المحجة، ع: 122.
– المرأة المغربية المسلمة بين خطة الارتقاء وخبطة الأشقاء، المحجة، ع: 126.
– إن شانئك هو الأبتر، المحجة، ع: 127.
– كذبة إبريل، المحجة، ع: 128.
– من آفاق الدعوة إلى الله التفريط والإفراط، المحجة، ع: 129.
– الذبابة المتلونة، المحجة، ع: 130.
– نحن ندعو إلى الله بدون خوف، المحجة، ع: 131.
– حيث أن (الصواب إن)، المحجة، ع: 132.
– السناكحة، المحجة، ع: 133.
– رحمك الله أخي أحمد، المحجة، ع: 134.
– الله يرحم النباشين السابقين، المحجة، ع: 135.
– الأنظمة الدهرية في طريق الانتحار النموذج التركي، المحجة، ع: 136.
– لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة...، المحجة، ع: 137.
– تركيا: استئصال الأصوليين ثم استئصال تركيا، المحجة، ع: 138.
– كلينتون القذر وحكام أوغاد، المحجة، 139.
– ماذا أعددنا لرمضان، المحجة، 140.
– ألفاظ جوفاء تناسب تلونات الحرباء، المحجة، ع: 141.
– أخي الفقيه الحمداوي في جوار ربه، المحجة، ع: 142.
– صفعة قضائية في وجه البرلمان، المحجة، ع: 142.

كما نشر في جريدة "الشرق الأوسط"، وجريدة "التجديد"، و"الشهاب"...

كما له بعض المقالات التي نُشرت في بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية، كمقالته: "مسؤولية القلم"، بموقع :"منتدى السادة الأشراف"..

كما وضع مقدمة لبعض الكتب من مثل :"وضعية المرأة في السينما العربية" للأستاذ محمد البنعيادي، وغير ذلك من الكتب..

كما حضر مؤتمرات عديدة بالمغرب، وخارجه، شارك في:

– المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة، وإعداد الدعاة، بالسعودية، بموضوع: "المشكلات والصعوبات التي تعترض سبيل الدعوة والدعاة".

– الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي، الذكرى الأربعينية لوفاته 2005م، بموضوع: "من أسس النهضة عند محمد البشير الإبراهيمي".

– مؤتمر" موقف الإسلام من الإرهاب"، بجامعة الإمام محمد بن سعود، 2004، شارك فيه بموضوع: " الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة ".(طبع البحث).

وأقيمت معه جملة من الحوارات الفكرية نُشرت في مختلف المنابر الإعلامية..

– حوار معه حول الإعلام الإسلامي، وحول جريدة المحجة (حاوره: محمد بريش).

– حوار معه في مجلة "الفيصل" ع: 145، (حاوره: علي الغزيوي (رحمه الله).

من الرسائل والأطاريح التي أشرف عليها (رحمه الله):

لقد أشرف على العديد من الرسائل، والأطروحات في اللغة العربية، والدراسات الإسلامية بكلية، ظهر المهراز – فاس، كما أشرف على بعض الرسائل في "دار الحديث الحسنية"، بالرباط. وناقش العديد من الرسائل والأطاريح في مختلف الجامعات المغربية، وعلى رأسها جامعة " محمد الأول، بوجدة. نذكر على سبيل المثال بعض الرسائل، والأطاريح التي أشرف عليها بكلية فاس:

– من الرسائل:

– أدب السياسة والحرب في الأندلس: منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع، علي الغزيوي (رحمه الله)، 1981،(طُبعت الرسالة).

– رحلة ابن رُشيد السّبتي أبي عبد الله بن عمر 657هـ/721هـ)، دراسة وتحليل، أحمد حدادي (رحمه الله)، 1982،(طبعت الرسالة

في جزأين، سهرت عليها وزارة الأوقاف المغربية)..وغيرها من الرسائل التي يصعب حصرُها.

– إعجاز القرآن في منهج القاضي عبد الجبار، عرض مقارن، عبد النبي فاضل، 1984.

– المقاصد الشرعية في التصرفات المالية، عبد الرحيم بن جلون، 1963.

– ابن حزم مفسرا، الحسن رغيبي، 1992.

من الأطروحات:

–الوصايا والتنزيل في الفقه الإسلامي، محمد التاويل، 1998.

– دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد المالكي، 1993.

– ظاهرة التقديم والتأخير في شعر المتنبي، دراسة أسلوبية، محمد بوحمدي، 1993.

– النسق العقدي في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، حسن حنفي نموذجا، شاكير السحمودي، 2001.

– الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول، المفضل كنوني، 2007.

كانت هذه بعض من جوانب حياة الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله)، وبعض من اهتماماته الفكرية، وأعماله الأدبية، حيث بارك الله له في علمه، وفي وقته، وفي صحته، فكان يشتغل في صمت بعيدا عن أضواء الشهرة، فكان نعم الأستاذ، ونعم الباحث، ونعم المحقق، ونعم المربي، ونعم المصلح، ونعم الموجه، ونعم العالم، حيث كان رحمه الله عالما موسوعيا خلّف وراءه عطاء علميا غزيرا، فرحيله رحمه الله رزءٌ فادحٌ، وثغرة يعسرُ سدُّها..فاللهم امطر شآبيب الرحمة على هذا العالم الجليل، واجعل ما عنده خيرا له..آمين.

● إعداد : ذ. محمد حماني

عبد السلام الهراس
في عيون محبيه

شهادات ومشاهد من جنازة الفقيد رحمه الله تعالى

ذ. عبد الإله ابن كيران :
رئيس الحكومة

هو واحد من أساتذتنا ومن أعلام الوطن ومن الرواد الأوائل في الحركة الإسلامية ومن الناس الذين صبروا وثبتوا على العهد فجاءهم موعود الله فهنيئا له ورحمة الله عليه، ونفع به.

ذ. مصطفى الرميد :
وزير العدل والحريات

تعرفت على أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس منذ أكثر من ثلاثين سنة، كان لي شرف أن أكون إلى جانبه في التأسيس لجمعية العمل الاجتماعي والثقافي ومن خلال العمل المشرك تحت رئاسته استطعت أن أكتشف في الرجل خصالا في العلم المتعدد الأبعاد، وصفات الداعية الصادق الغيور على دينه ووطنه. ما يمكن أن أقوله في السي عبد السلام الهراس هو أنه كان أستاذ جيل سواء على مستوى كلية الآداب بفاس أو على صعيد باقي الكليات، حيث كان يشرف على كثير من الأطروحات لمناقشتها، أو على صعيد الدعوة فهو رحمة الله عليه من جيل المؤسسين أسأل الله تعالى أن يجزيه على ما بذله في سبيل وطنه ودينه خير الجزاء.

عبد الله بوانو
(رئيس فريق العدالة والتنمية بمجلس النواب)

عبد السلام الهراس من رواد الفكر الإسلامي المعتدل

بسم الله الرحمان الرحيم، بالرغم من أنني ربما أنتمي للجيل الثالث أو الرابع لكن تعلمت على يد الشيخ الذي أعتبره من مؤسسي الحركة الإسلامية في المغرب.
أسس الاعتدال وهو في مرحلة من مراحل التسعينات التي تعرفت عليه فيها، كان دائما من رواد الفكر الإسلامي المعتدل، من رواد الإسلام المنفتح المتسامح. كان رحمه الله دائم الدفاع عن المغرب بثوابته، وفي الستينات والسبعينات عرفت حركات كثيرة إسلامية ذات طابع مندفع وثوري إن لم نقل حتى الطابع العنفي. فكان رحمه الله من بين الناس الذين حاربوا هذه الظاهرة في مهدها منذ تلك المرحلة المبكرة فإليه يرجع انتشار هذا الإسلام بهذا التوجه المعتدل، فرحمة الله عليه.

د. مصطفى العزوزي

الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله عليه بمثابة والد بالنسبة إلي، لأنني تعرفت عليه منذ أكثر من 35 سنة، وكانت له كلمات كنت أخذتها نبراسا في حياتي، كان دائما يرشدنا ويحثنا. فالحمد لله أن قيمنا في القرآن والسيرة النبوية الشريفة. هو في الحقيقة فقدان كبير للإسلام والمسلمين ليس في المغرب بل في العالم الإسلامي لأن شخصيته والحمد لله وعمله في الحقل الإسلامي تعدى المغرب بل وصل للعالم الإسلامي، وكان ما يعجبني فيه كثيرا رحمة الله عليه هو تواضعه وقربه من الفقير، وكان دائما يقول لي اجعل طبك للفقراء وهذه الكلمة لن أنساها، وقد تتبع خطواتي حتى بعد عودتي من أمريكا، وكان دائما يقول لي أن هذا الشباب لكم رسالة ما أحلاها من رسالة، رسالة الطب هي رسالة الإيمان، والطب محراب الإيمان. هذه الكلمات أتذكرها الآن ونحن نقف في جنازته، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في جنات الفردوس مع سيدنا محمد ﷺ، ونسأل الله المغفرة والثواب. ولعائلته الرضى والسلوان وعزاؤنا واحد.

د. أحمد الريسوني

الفقيد هو مدرسة في العلم والأدب والدعوة، من عشرات السنين أسميه أستاذ الأساتذة، فتلاميذه أساتذة وتلاميذ تلاميذه أساتذة، أستاذا ليس فقط في الكلية بل في منزله وفي سيرته. فنسأل الله تعالى أن يخلفنا في هذه المصيبة ويعوضنا خيرا منها.

محمد التمسماني
عميد كلية أصول الدين ـ تطوان

عبد السلام الهراس بنى جيلا من الدعاة والمفكرين في شتى بقاع العالم كله

مما لا شك فيه أن فقدان الشيخ عبد السلام الهراس مصيبة وحدث جلل، بالنسبة لأهل فاس، وبالنسبة للمغاربة قاطبة وبالنسبة للدول الإسلامية، سيدي عبد السلام الهراس جمع من الخصال والمحبة الشيء الكبير، جمع الله تعالى له من الفضائل والمعارف والدعوة والنصح والإرشاد الشيء الكثير مما تفرق عند غيره. بنى جيلا من الدعاة والمفكرين في شتى بقاع العالم كله، بالنسبة لآخر زيارة لي ببيته كانت حوالي شهر ونصف قبل وفاته، زرته في بيته ـ بشهر ونصف قبل وفاته ـ مع مجموعة من الإخوة وهو على فراش المرض يتحدث عن حاضر أمته ومستقبلها بحرقة وغيرة ونصح، ويوصي الشباب بمزيد من التحصيل والتعلم، فقد عاش للأمة بقلبه وقالبه ، بفكره ولسانه وحاله، ووهب حياته للأمة الإسلامية. نسأل الله سبحانه وتعالى له الرحمة والمغفرة وأن يبارك في علماء المغرب، وأن يجزيه الله تعالى عنا خير الجزاء. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

د. مولاي عمر بن حماد

عبد السلام الهراس : عنوان المغرب إذا ذكرت الدعوة الإسلامية في المغرب

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم الفقيد وأن يجزل مثوبته وأن يكرم مثواه، الأستاذ شيخنا وشيخ مشايخنا، الأستاذ العلامة الداعية الكبير الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى.

هو أحد مؤسسي الصحوة الإسلامية في المغرب عموما، وكان عنوان المغرب إذا ذكرت الدعوة وذكر العمل الإسلامي في المغرب، فعنوانه كان الأستاذ عبد السلام الهراس بلا منازع رحمه الله تعالى. وقد كانت له أياد بيضاء في مختلف المسارات التي سارتها الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي في المغرب، وانتفع الناس به في الجامعة وفي الجامع وفي العمل الاجتماعي والعمل الثقافي، جمع الخير من أبواب شتى نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله له أبوابا لدخول الجنة بإذن الله تعالى، هو في من يصدق فيه ما قال أبو بكر الصديق ﷺ: «يا رسول الله هل يدعى أحد من الأبواب كلها»، فعسى الله أن يكرمه فيدعى من تلك الأبواب كلها، التي نشر بها الخير وعمم بها الخير، ونفع الله به وأجزل مثوبته ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه رحمة واسعة.

محمد السيسي
(رئيس المجلس العلمي المحلي لمدينة مكناس)

عبد السلام الهراس الأستاذ الموجه والناقد البصير، والمعلم المربي

بسم الله الرحمان الرحيم. سيدي عبد السلام الهراس رحمة الله عليه ومتعه برضوانه. رجل عرفناه في أواخر الستينات وبداية السبعينات، وهو ذلك الرجل الذي عهدناه يجتهد كل الاجتهاد لأن يوصل لهذه الأجيال نقلا عن الأجيال قبله، ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية قاطبة وعلى الأمة المغربية خاصة، في مرحلة عصيبة من مراحل تاريخ هذه الأمة، وهي تستل من الغزو الاستعماري لفرنسا من حيث الأرض جغرافيا ومن حيث الفكر. رجل تعرفنا عليه في هذه المرحلة وهو يحضر كثيرا من المؤتمرات، كثيرا من الندوات، وأذكر أن أول معرفة لي به، وأنا طالب في الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قد ابتعث لحضور مؤتمر عالمي على مستوى العالم الإسلامي. وأذكر مما أذكر أن رجلا حاول أن يستنهض همم الحاضرين باعتبارهم يمثلون نخبة في العالم الإسلامي، هذه العبارة أنقلها عنه : «أن الذئب إذا أراد الحرارة وأراد الطاقة يولدها من ذاته بالجهد والحركة». بعد ذلك جلسنا إليه جلسات متعددة، ومما أذكره له ونحن في جامعة الصحوة في الدار البيضاء أن أحد علماء الشيعة كان يتحدث وقد عاب على بعض المتدخلين لفظة الصناعة، صناعة الدعاة... وأنا ذكرت للأستاذ أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن موسى في قوله عز وجل: لتصنع على عيني، فقال لي لو قلت هذه الكلمة وحدها فقط لكان لها في ميزان حسناتك وزن كبير، بالنظر للرجل الذي كان يتكلم وهو من علماء الشيعة. ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن أعرفه وهو ذلك الأستاذ الموجه الناقد البصير المعلم المربي في رسالة الدكتوراه، وقد سررت بإشرافه على رسالتي، وكنت أجد فيه نعم الموجه، نعم الناصح، نعم المربي بقدر ما كنت آتيه كانت العطايا الربانية تاتي على لسانه توجيها في خدمة العلم، وخدمة الأمة، إلى أن استصحبناه في جلسات متعددة في بيته وكثيرا ما كان لا يسكت، يستبد ومن حقه أن يستبد بالكلمة محاولة منه أن ننهض بما يجب أن ننهض به انطلاقا من مجموعة تجارب طويلة عريضة كان يحكيها لنا رحمة الله عليه في لقاءاته الدولية في باكستان والسعودية والكويت وفي مجموعة من الدول الإسلامية، وكثيرا ما كان يرجع بنا الحديث إلى العالم المهندس الجزائري الأستاذ مالك بن نبي في نظراته ونظرياته أيضا في العمل الإسلامي في تلك المرحلة وما تلاها من مراحل. على كل حال الحديث عن الرجل حديث طويل عريض، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يسدل عليه شآبيب الرحمة، والرضوان والمغفرة والتوبة، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

محمد السرار
(رئيس مركز ابن القطان بالعرائش)

عبد السلام الهراس: كان أمة وحده، وكان مفتاحا لكل أبواب العلم

الأستاذ الدكتور سيدي عبد السلام الهراس، كان أمة وحده، وكان مفتاحا لكل باب. مفتاحا لباب العلم، مفتاحا لباب الخير، يحمل هم الصغير والكبير ويستوي في مجلسه الكبير والصغير. عرفناه ونحن طلبة، وعرفناه ونحن أساتذة في الجامعة، وكان لنا بمثابة الأب.

وأنا دائما أشبه سيدي عبد السلام الهراس، بأبي العباس السبتي باعتباره مفتاحا لكل خير، وأعتقد أن جيلنا والجيل الذي قبلنا والجيل الذي بعدنا، ما من واحد إلا ولسيدي عبد السلام الهراس عليه منة في عنقه، إما مباشرة أو بالتوسط.

كان رجلا عالما أديبا محققا مدققا تشهد على ذلك مؤلفاته وتحقيقاته الكثيرة، كان رجلا حاملا لهم الأمة، داعيا إلى ربه بالتي هي أحسن، في السر والعلن، بالقال والحال، فرحمه الله عز وجل، لذا فوفاته هاته خسارة، لأن الناس من معدن الأستاذ عبد السلام الهراس قليل؛ بحيث أعتقد أنه ندر في المغرب أن يوجد رجل في مثل سيدي عبد السلام الهراس، في تجربة سيدي عبد السلام الهراس، في العلاقات الواسعة لسيدي عبد السلام الهراس، بحيث إنه كان يستطيع أن يصل إلى كل أحد مؤثرا، ومبلغا لكلمة الحق بالتي هي أحسن.

ذ. محمد الدكالي

رحمة الله عليه وتقبله شهيدا، هو علم كبير من أعلام الأمة، أب دون شك، كثيرا ما ننسى السياقات التاريخية التي ظهر فيها مثل هذه الأعلام، هؤلاء ظهروا في الوقت الذي كانت فيه الأمة مستعمرة، ذليلة في حضيض التخلف والاستبداد، كل العوامل كانت ضد النهضة الإسلامية وضد الفكرة الإسلامية. في هذه السياقات بالذات قام هؤلاء الأعلام برفع راية الإسلام وراية الدعوة، حتى بعد الاستقلال، أيضا كانت هناك سياقات غير مواتية نهائيا. مع ذلك صبروا وكملوا وصمدوا وأذكر الأستاذ عبد السلام الهراس فضلا عن خلفيته العلمية، علاقاته على أعلى مستويات الأمة في الشام وفي مصر، وفي المغرب والجزائر، كان صديقا لمالك بن نبي، عاشر محمدا بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله وعددا من رموز الدعوة الإسلامية. رحمه الله كرس علمه وفكره لتربية جيل. تحمل مسؤولية الدعوة الإسلامية في المغرب بشكل متميز جزاه الله عن الأمة والملة.

الدكتور عبد السلام الهراس كما عرفته

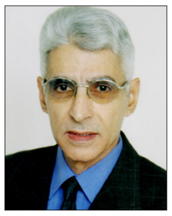

د. عباس الجراري
مستشار بالديوان الملكي

إنه لموقف أليم ولحظة حزينة أن نستحضر جميعاً رجلاً من طينة الشيخ عبد السلام الهراس الذي غادرنا قبل بضعة أسابيع(1)، بعد أن جاهد في عدة واجهات وطنية وعربية وإسلامية وعالمية، بدءاً من التربية والتعليم والبحث العلمي وتكوين الأطر الجامعية، إلى الدعوة الدينية وتبليغ مقومات الهوية الإسلامية، وما يتطلب كل ذلك من جهود وتضحيات بذلها طوال ستة عقود، بكفاية واقتدار والتزام، وبصدق وإخلاص ومسؤولية.

إن إحساسنا جميعاً بفداحة هذا المصاب الذي نرجو الله أن يرزقنا مزيداً من الصبر والاحتساب فيه، ليقوي شعورنا بالإكبار والإجلال، لما كان يحظى به رحمه الله من أخلاق نبيلة وروح سامية وعلم غزير وعقل متنور وفكر مستقيم وحجة صادقة ونفس كريمة. فعزاء مني وزوجتي وأولادي لحرمه الفاضلة التي واكبت جهاده بإخلاص وثبات، ولأبنائه البررة الذين كانوا إلى جانبه يقتبسون من معارفه وسلوكه ما جعلهم يسيرون على نهجه ويتبعون خطاه.

وإن اللسان ليعجز عن التعبير عما يخامرني –شخصياً– من حسرة وأسى لفقدان هذا الزميل الكريم والصديق الحميم الذي أعاني لفراقه أشد الآلام، والذي يعد رحيله مصاباً جللا حل بأهله وأحبائه وسائر رفقائه وزملائه، مثلما حل بالجامعة المغربية والدراسات الأندلسية الجادة، وبالقيم الإسلامية والدعوة إلى الله.

لقد فقدت في الراحل العزيز أخاً حميماً وزميلا كريما، له في قلبي وفي مخيلتي ذكريات حلوة راسخة لا تفارقني عن الفترة القصيرة التي لقيته فيها بالقاهرة، ولا سيما عن السنوات الطويلة التي قضيناها في الرباط وفاس، باتصال وثيق وصداقة متينة وروابط صوفية، سواء على مستوى العمل بالجامعة وما كان يلازم هذا العمل من همٍّ ونضال للتقويم والتصحيح، أو على مستوى العلاقات الأسرية التي قوتها بيننا أواصر المصاهرة، في وقت قل الوفاء وضاعت العهود.

وفي إطار هذه العشرة الطيبة، كان رحمه الله دائم الذكر لطفولته التي عاشها في مدينة شفشاون، هذه المدينة الجميلة التي دوَّن عنها وعن أعلامها شهادات وانطباعات كان يعرضها بكثير من الافتخار والاعتزاز. وفي سياقها كان يستحضر بعض الذين أخذ عنهم في فترة تكوينه الأساسي، كالفقيهين المرحومين محمد الحداد ومحمد بن عياد، وكبعض رجال الزاوية الريسونية الذين كان على رأسهم الشريف المنعم أحمد الريسوني والد صديق الجميع مولاي علي حفظه الله.

ومن شفشاون انتقل إلى فاس، لمواصلة تعليمه في جامع القرويين الذي التقى فيه مع زميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد الكتاني، وصديقنا العزيز الفقيه المرحوم محمد السفياني. وبعد ذلك، وبهدف استكمال دراسته، رحل إلى مصر حيث تسنى لي أن ألقاه في منتصف سنوات الخمسين بالقاهرة التي كان أنهى فيها مرحلة الإجازة بكلية دار العلوم. وعلى الرغم من أنه ما كان ليطيل إقامته في بلاد الكنانة بعد نيل هذه الشهادة، فقد أتيح لنا أن نجتمع فيها مرتين أو ثلاثة، كانت أولاها في بيت المجاهد المرحوم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان كثير الاتصال به.

وإذا كان مقامه في هذه المرحلة لم يطل في مصر، فلأنه كان راغباً في زيارة بعض البلدان المشرقية الأخرى، كدمشق وبيروت التي التحق لفترة بكليتها الشرعية. إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى المغرب الذي كان أحرز استقلاله، ليستقر في مدينة تطوان. وفيها اشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد وبالخطابة الجمعية كذلك؛ قبل أن يسافر إلى إسبانيا التي قدم في جامعتها بمدريد أطروحة لدكتوراه الدولة عن ابن الأبار. وهو ما أهله للالتحاق بجامعة محمد الخامس لتدريس الأدب الأندلسي وتأطير الباحثين فيه بفرعها الذي كان في فاس يضم شعبة اللغة العربية وآدابها.

وهنا سعدت بمعاشرته، إذ كنت قد التحقت بهذه الشعبة أستاذاً للأدب العربي الإسلامي والترجمة والدراسات المغربية. وهي معاشرة بدأت في منتصف الستين، ولم تنته إلا بوفاته طيب الله ثراه؛ وكنا بها في طليعة قلة من الأساتذة المغاربة والمشارقة الذين ساهموا بحظ وافر في بناء الجامعة المغربية التي ستشهد بجهاد مرير عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف إحداث شعبة للغة العربية وآدابها بكلية آداب الرباط حيث مقر جامعة محمد الخامس، كما ستشهد توسيع فرع فاس ليصبح كلية تابعة للرباط، قبل أن تتسع وتصبح مستقلة باسم جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

كان واحة محبة يلتقي في ربوعها كل الناس، علماء وطلابا وأصحاب الحاجة وعموم المواطنين الذين كانوا يقصدون داره التي كانت منتدى مفتوحاً باستمرار للوافدين. لقد أدى أمانة العلم والدين خير أداء، وكان بذلك من الذين أكرمهم الله بحمل مشعل رسالة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ونشر هديه بين الناس بإيمان قوي وعلم غزير وعمل دؤوب وقلب صاف وسريرة طاهرة ونفس عزيزة، وما إليها من الخصال التي تجعل كل من عرفه يحبه ويطمئن إليه.

وإذا كان المرحوم الهراس قد استطاع بعصاميته أن يحقق لنفسه تكوينا علميا عاليا جمع فيه بين ما هو أصيل ومعاصر، فإنه تمكن من تطعيم هذا التكوين بمن تسنى له أن يتصل بهم من علماء وباحثين ودعاة –رحمهم الله جميعاً– لازمهم وأفاد من معرفتهم وخبرتهم. وفيهم من المغرب أمثال محمد المختار السوسي، ومحمد التطواني، وعلال الفاسي، وإدريس بن الماحي الإدريسي، والمهدي بن عبود، وسعيد أعراب، ومحمد الحمداوي، وعبد الله كنون، ومحمد داوود، ووالدي الذي كان يقدر علمه وجهوده ويعجب بميله إلى النكتة والدعابة؛ ومنهم من الجزائر مالك بن نبي؛ ومن المشارقة محمود شاكر، وأنور الجندي، وصلاح أبو رقيق، ومحمود علي مكي، وعبد الصبور شاهين؛ ومن المستشرقين كارسياكومث وإلياس طيريس.

ولقد كان أكثرهم تأثيراً عليه مالك بن نبي الذي كان مهتما بواقع الأمة العربية والنظر في إمكان نهوضها، انطلاقا من معرفة أسباب تأخرها، ومن رؤية واضحة للعلاقة بين الاستعمار وقابلية الشعوب إليه. وكان المرحوم الهراس قد عاشره مدة طويلة في القاهرة وبيروت، وتشرب آراءه الإصلاحية الواردة عنده في بعض أعماله المنشورة، ولا سيما: الظاهرة القرآنية، ومشكلة الثقافة، وشروط النهضة، وروايته لبيك. وهو الذي عرَّفه بعبد الصبور شاهين وشجع هذا الأخير على ترجمة بعض كتبه من الفرنسية إلى العربية.

وقد كان طبيعياً وفقيدنا العزيز يتخصص في التراث الأندلسي أن يصدر بعض إنتاجه فيه، وخاصة في مجال تحقيقه، إذ نشر "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار و"ديوانه"، وكذا كتابه "درر السِّمط في خبر السِّبط" بالاشتراك مع سعيد أعراب الذي سيحقق معه كذلك "صلة الصلة" لابن الزبير، والجزء الخامس من "أزهار الرياض في أخبار عياض" للمقري ؛ من غير أن ننسى بعض ما نقل من الإسبانية إلى العربية، على حد ترجمته قصة "العيون الخضر" للشاعر الإيبيري غوستاف أدولفوبيكير، وكان قد نشرها في أحد أعداد مجلة "دعوة الحق".

والجدير بالذكر أنه أصدر الكثير من المقالات والبحوث في هذه المجلة وغيرها، كالبحث العلمي، والميثاق، والمناهل، والتجديد، والمحجة. وفيها –جميعاً– كان يبرز عنايته بالتراث الأندلسي، كما كان يدعو إلى تنوير الفكرة الإسلامية وتثويرها، ونشر الوعي بالدين والأخلاق على مستوى الجماهير، في سعي إلى ترشيد الدعوة والحرص على طابعها المغربي المعتدل، مما جعله لا ينساق مع بعض ما أصاب جماعة الإخوان المسلمين، على الرغم من أنه كان متصلاً بهم ومنضما إليهم في أول الأمر. وفي هذا الاتجاه يعتبر أحد المؤسسين للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضواً شرفياً في رابطة الأدب الإسلامي، والمؤسِّس في فاس لجمعية "جماعة الدعوة الإسلامية". ولا عجب أن يبرز في هذا المجال الديني الدعوي، وهو صاحب معرفة واسعة ودقيقة بما يجري في الساحة الإسلامية بأقطار المغرب والمشرق.

بهذه الأعمال وغيرها مما تشهد به مدرجات الجامعات ورحاب المساجد وقاعات الندوات والمؤتمرات في الداخل والخارج، أدى الفقيد الغالي رسالته، في وقت كانت معظم السوح التي يفترض فيها توعية الشباب وتوجيههم، تعاني من الأفكار الدخيلة المسمومة التي كانت تقاوم كل ما فيه صالح الوطن والدين. ولقد كان قلبه عامراً بالإيمان واليقين، وبروح الثقافة الإسلامية الحقة، وبنظرة متكاملة للحياة وما ينبغي القيام به للنهوض بها وتصحيح مسارها. وكان إلى جانب ذلك مثالاً للشيم الكريمة والفضائل الحميدة التي كانت تزين إرشاده وتقوي دعوته ؛ إذ كان يعمل بتواضع وسماحة واعتدال، وباستماتة تجعله يتقدم الساحة بصدق وإخلاص وشجاعة، ولكن كذلك بروح مرحة خفيفة.

وذلكم ما جعله واحة محبة يلتقي في ربوعها كل الناس، علماء وطلابا وأصحاب الحاجة وعموم المواطنين الذين كانوا يقصدون داره التي كانت منتدى مفتوحا باستمرار للوافدين. لقد أدى أمانة العلم والدين خير أداء، وكان بذلك من الذين أكرمهم الله بحمل مشعل رسالة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ونشر هديه بين الناس بإيمان قوي وعلم غزير وعمل دؤوب وقلب صاف وسريرة طاهرة ونفس عزيزة، وما إليها من الخصال التي تجعل كل من عرفه يحبه ويطمئن إليه.

بهذه الصفات النبيلة والأعمال الجليلة التي كان يقوم بها لصالح دينه ووطنه، سيبقى قبساً منيراً للأجيال، ورمزاً مشعاً للقيم التي جاهد كي لا تموت بموته

إنه بهذه الصفات النبيلة والأعمال الجليلة التي كان يقوم بها لصالح دينه ووطنه، سيبقى قبساً منيراً للأجيال، ورمزاً مشعاً للقيم التي جاهد كي لا تموت بموته. وإننا إذ نعزي أهله وأبناءه، نعزي أنفسنا في فقده، فإننا سنظل فخورين بمعاشرتنا له، ومعتزين بالميراث الغني الذي خلفه لأمته، متمثلاً في فكره وعلمه ودعوته وإرشاده وسلوكه، ومتمثلاً كذلك في المومنين الذين وجههم لطريق الخير والإحسان، وفي جيل من العلماء والباحثين الذي تكونوا في مدرسته. لقد كان في حياته المعلم المرشد والنبراس المضيء لمدلهمات ضغوط العصر واضطراباته وصراعاته ونزاعاته. وكذلك سيظل حتى بعد مماته.

وكأني به وبما عانى من متاعب في أداء رسالته، وما قاسى في فترة مرضه بصبر واحتساب، كان يتهيأ لدار البقاء والجزاء، مصداقاً لقوله عز وجل في سورة الإنسان: و﴿جزاهم بما صبروا جنة وحريرا... ﴾.

ولعل في هذا ما يخفف لوعة الفراق الذي لا نواجهه إلا بالدعاء لفقيدنا العزيز، بأن يتغمده الحق سبحانه بواسع رحمته وجزيل مغفرته، وبأن يجعله في أعلى عليين مع السابقين المقربين، وبأن يرزق أهله وذويه وأحباءه جميل الصبر والعزاء.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباس الجراري

الأربعاء 27 جمادى الأولى 1436هـ

الموافق 18 مارس 2015م

---

1 – توفي رحمه الله بإحدى مصحات فاس صباح الجمعة فاتح جمادى الأولى1436هـ الموافق 20 فبراير 2015م، وصلي عليه بعد صلاة ظهر السبت بمسجد القدس، ودفن بمقبرة ظهر المهراز.

رحم الله الأستاذ عبد السلام الهراس الصديق الحميم

ذ. رفيق الحداوي

الأستاذ عبد السلام الهراس من الأبناء الأفذاذ لهذا الوطن ومن رجالات العلم والدعوة والإرشاد، عاصر ورافق كبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي واهتم أيما اهتمام بتربية الأجيال الصاعدة. ويفتقد فيه مغرب اليوم أحد رجاله المخلصين الذين ما فتئوا يبرزون بالعمل الجاد ما يجب أن نقوم به من أجل إصلاح أحوال الأمة. لقد تعرفت عليه رحمه الله سنة 1960 بمدينة شفشاون مسقط رأسه والتي بقي دائماً يكن لها عطفاً خاصاً. ومنذ ذلك التاريخ ونحن معه على اتصال في كل ما من شأنه أن يقربنا إلى العمل الخالص لصالح خدمة الوطن. وقد ساعدني كثيراً بكل جدية وحيوية في عدة مناسبات عند ما كنت في الإدارة العامة للتعاون الدولي بوزارة الخارجية أو في الوزارة المكلفة بالجالية المغربية بالخارج أو في وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية حيث كان يقيم لي لقاءات نظراً لاتصالاته الواسعة وطنياً وإسلامياً مع جمعيات علمية وإسلامية وخيرية وشخصيات يرى أن لها من الإمكانيات ما يؤهلها ويمكنها من تقديم الرأي السائد أو المساعدة المعنوية لتحقيق أهداف المصالح العامة. ولم نجد منه لا مللا ولا تقاعسا ولا تكاسلا كلما ارتبط الأمر بمصالح البلاد والعباد. وكان دائماً يسعى بابتسامته العريضة السخية إلى إيجاد أقرب السبل وأنجعها لتوافق وجهات النظر استناداً إلى فهم عميق وميسر لمقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، كما أنه كان دائماً يسعى بكل أريحية وإخلاص إلى تسهيل اللقاء بين من يرى فيهم الحرص على تحقيق مصالح الأمة. ومما كان يميزه غيرته الشديدة ولكن بحكمة وتبصر وتأن على قضايا الإسلام والمسلمين في محيطها الكوني الراهن غيرة تضع مصالح القضايا المصيرية للأمة في سياقها الصحيح دون ميل إلى تطرف أو غلو أو تهور. رحمه الله وجزاه عن أمتنا ووطننا أحسن الجزاء وأسكنه فسيح جناته.

كلمة إقرار واعتراف

ذ. محمد العبودي

في اعتقادي أن المرحوم الدكتور عبد السلام الهراس كان رجالات عصره، له أثر رائع في النفوس، وتأثيره البليغ في الحياة الدينية والروحية يتسم بالوجه والجسم الجميل والقوام الجميل والهندام. النظيف، كلها عناصر توحي بالخلال الجميلة، وتنم عن العواطف النبيلة وتدل على ذكاء وقاد وذوق سليم، واستعداد كامل للحياة الدينية، فهو يمتاز في جميع أدوار حياته باحترام الناس له وهو احترام الذات والسمو عن أن يكون شخصه محل آراء متباينة وأحكام متنافية، ثروة الرجل العلمية التي جمعها بمقدرة ونزاهة، وترفعه عن التافه من القول در عليه الربح الوفير في واجبه الديني والإنساني، فجنى من حياته الطويلة النتائج المثمرة التي لم تتوفر لأحد مثله، فهو من أبرز الأسماء في عالم الاستقامة، وهو من أبرز الرجال في عالم التبليغ والتوحيد.

• الحياة الدينية عند الدكتور عبد السلام الهراس:

بنى المرحوم الدكتور عبد السلام الهراس حياته الدينية على أساس متين وإيمان قوي أثبت له حقيقة وجوده، فسخر نفسه اتجاه المساكين والفقراء وساعدهم على تحسين إيمانهم قبل تحسين معيشهم، هو والدي الروحي بكل ما تحمل الكلمة من معنى، تربيت في داره أحترمه وأحبه، وكنت لا أسمع منه إلا الخير والإحسان ثمانية وثلاثون سنة من المعرفة كانت كافية بالنسبة لي للتشبث بهذا الوالد الروحي حتى ترقرق كلامه في نفسي ترقرق الماء الزلال.

وكان رحمه الله شديد الحرص على قيام الليل وقرآن الفجر، ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾، يكره القلق ويحب السكينة ويمقت كل أشكال العنف، تعهد الله بمراقبته في سره ونجواه، فإنه ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، وأن الله على كل شيء شهيد، لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، فالله سائله عن كل ما يبديه وما يخفيه، وأن الله يعصمه من الزلل.

• اجتهاد الدكتور الهراس في التحقيق:

كان المرحوم الدكتور عبد السلام الهراس يجتهد في التحقيق والتمحيص، ويبذل ما لديه من معارف وثقافات للوصول إلى النتيجة التي يريدها، ويستخدم في عمله مهارة التفكير والتركيز حتى يوافق الحقيقة التي يرجوها، قام بتحقيق عدة كتب أندلسية مثل: التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال (أربعة أجزاء)، ديوان ابن الآبار الأندلسي، ثم كتاب صلة الصلة لابن الزبير الغرناطي، ودرر السمط في خبر السبط، وكنت إلى جانبه في هذا التحقيق حتى أصبحت أحسب نفسي واحدا من أفراد هذه الأسرة الطيبة.

وبرحيله يكون المغرب قد فقد رجلا عظيما من رجالات الأدب والفكر، ترك رحمه الله ستة رجال حفظهم الله وبارك فيهم وفي أولادهم وأبقى لهم والدتهم العزيزة الكريمة صانها الله برعايته.

ذكرى الدكتور عبد السلام الهراس

عبد اللطيف ملين
- سفير سابق

هي ذكرى عزيز فقدناه، كان عندي بمثابة الأخ والصديق الصدوق، وقد فقد فيه المغرب أيضا عالما جليلا ومناضلا في سبيل الحق وإعلاء كلمة الله، جاهد في ذلك جهادا استغرق حياته كلها، وهو في الحق لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بفضل حرصه الشديد على تحصيل العلم والمعرفة، بعد أن قضى سنوات من شبابه في كسب العيش، فوفقه الله إلى الهجرة في طلب العلم إلى لبنان ثم القاهرة. فهو بهذا المعنى عصامي أعطى الأسوة الحسنة، وتدرج في مدارج التحصيل إلى أن نال درجة الدكتوراة.

وكانت هذه الهجرة في وقت واحد مع العشرات من طلبة المغرب الذين التحقوا إبان الحماية الفرنسية بالمشرق لمتابعة دراستهم الثانوية والعليا، خاصة إلى دمشق والقاهرة، وكنت من بينهم، فجاء لزيارتنا في سوريا سنة 1952، فتوطدت بيننا أواصر الصداقة والإخاء بشكل تلقائي، والأرواح جنود مجندة، واتجه بعد ذلك إلى خدمة العلم والدعوة إلى الله، وأسند إليه منصب رئيس شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة فاس، وأشرف على العديد من رسائل الدكتوراة، وأكثر من ذلك كانت له صلات قوية بالتيارات الإسلامية المعتدلة في البلاد العربية، واستطاع أن يخدم المغرب من خلالها.

وكان أن يسر الله لنا من خلال حظوته لدى تلك الدوائر، وأنا من خلال موقعي كمسؤول في وزارة الخارجية المغربية، أن تقدم خدمات جلى لبلادنا، كان له فيها النصيب الأوفى والقدح الم.. ومن ذلك على سبيل المثال، إقناعه مؤسسة إسلامية كبرى في الخليج بتقديم عون مادي مهم لمشروع تأسيس مدينة جامعية بحي العرفان بالرباط، لسكن الطلبة الأفارقة بالمغرب، وهو المشروع الذي أشرفت عليه وزارة الخارجية في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، وبفضل دعم الدولة المغربية بعد ذلك، استطاع المشروع أن يرى النور، وها هو الآن قد آتى أكله،

ومن ذلك إشرافه على بقية طلاب استقدمناهم من الدول الإسلامية الحديثة الاستقلال إذ ذاك من ربقة الاستعمار السوفييتي سنة 1992 خاصة من كازاخستان وأوزبكستان لدراسة اللغة العربية والتربية الإسلامية، على يد وزارة الخارجية المغربية. فكان أن أشرف على هذه المهمة إشرافا مباشرا في فاس، ونظمها تنظيما محكما، كان لها صدى إيجابي كبير في تلك البلاد، وأنتجت طلبة وطالبات وفقوا فيما بعد في تقلد مناصب عليا في بلادهم، واستمر الفقيد في الاتصال بهم.

ولولا تعييني في منصب آخر خارج المغرب لاستمر هذا الجهد وكانت له ثمرات أخرى.

وهناك أعمال أخرى قام بها في هذا المجال، وفي خضم ذلك كان لا يألو جهدا في متابعة أبحاثه وتحقيقاته، إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

ولا بد من الإشارة هنا، إلى ما رزق الله الفقيد من ذرية صالحة كلهم ذكور والحمد لله، وكلهم نال درجة عليا في العلم والمعرفة ويحتلون مناصب عليا مختلفة، ويقدمون لبلادهم جليل الخدمات، كل ذلك بفضل رعايته لهم وتنشئتهم التنشئة الفاضلة على يديه، وعلى يد والدتهم السيدة المحترمة زوجته، حفظها الله ورعاها، وعوضها عن مصابها خيرا.

رحم الله الفقيد، وجزاه أحسن الجزاء عما قدم لبلاده وللبلاد الإسلامية، ولدينه ولأمته، من جلائل الأعمال.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

من اليمين : عبد السلام الهراس ، مالك بن نبي، عبد الكريم الخطابي، كمال الحناوي (مدير وكالة الشرق الأوسط للأخبار)، عبد الوارث الداسوقي(مدير جريدة الشعب)

ذكريات مع الفقيد الدكتور الشيخ عبد السلام الهراس

د. العربي بن الشيخ

نحسب الفقيد أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ونظنه ممن قضى نحبه وما بدل وما غير ولا نزكي على الله أحدا. وأود أن أغتنم هذا الفضاء الذي أتاحته لي جريدة "المحجة" الغراء لأستعرض بعضا من ذكريات عايشت فيها المرحوم بالمغرب كما بالخارج، مكتفيا بما ارتبط منها بمواقف الحياة المختلفة، التي كان وقافا عندها يستخرج منها بأسلوبه الفريد السهل والممتع مكنوناتها ويبسط دررها، والتي تبين على بساطتها حصافة رأيه وبعد نظره في النهج الذي سلكه تقيا نقيا لتحصين العمل الإسلامي ببلادنا من الانحراف نحو الغلو أو التطرف.

ولست هنا في موقع الشهادة. فأصحابه وتلامذته من رجال الفكر والعلم والدعوة هم الأحق بذلك وأهل له، وإنما القصد أن أتوقف أمام بعض المحطات المعبرة التي كان لها وثلة من زملائي بالغ الأثر في النفس ونحن تلاميذ بمدينة فاس لم يشتد عودنا بعد، ثم ونحن نتلمس طريقنا في دروب الحياة المختلفة.

كان بداية اللقاء في سبعينات القرن الماضي بمسجد ثانوية مولاي سليمان حيث أدى معنا رحمه الله صلاة المغرب بعد أن فرغ من المشاركة في محاضرة بمقر المؤسسة حول "مفهوم الرزق في الإسلام"، وبعدما تعرف علينا دعانا إلى بيته في اليوم الموالي وعلى مائدة الإفطار وبين أنجاله استمتعنا بحديثه البسيط الممتع حول واقع الإسلام والمسلمين، ما زلت أذكر منها على سبيل المثال قوله : "إن الإسلام ليس حليب بودرة نلقيه في الماء فينصهر فيه ويصبح غذاء جاهزا بل إن الأمر يحتاج إلى صبر ومصابرة وجهد ومجاهدة وصدع بالحق في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة".

وكان أكثر ما يقرع أسماعنا ببيته العامر الذي توالت زياراتنا له والذي كان يرتاده عدد من المثقفين والعلماء ومن طلاب العلم مواضيع حول الإسلام المفترى عليه والمؤامرات التي تحاك ضد الأمة، والتباحث في السبل الكفيلة بإشاعة قيم الإسلام السمحة في المجتمع، غير أن هذه المواضيع المرتبطة بهموم الأمة وبمعاناتها لم تحجب لدى الدكتور الهراس دوره التربوي والروحي. فكان يوصي بالتخفيف من هموم الدنيا وعدم التنافس فيها، ويدعو إلى الانشغال أكثر بالآخرة "اجعله هما واحدا تغنم وتسلم" كما كان لسان حاله يقول، ولذلك فقد عاش حياته قريبا من الناس مشاء في قضاء حوائجهم، وكثيرا ما كان يوصينا بالتحاب والتراحم فيما بيننا وقد رأيتا ونحن نزلاء بداخلية الثانوية، وبعضنا لا يملك سوى دراهم معدودة يجود بها على من لا نقود لديه البتة ويتقاسمها معه.

ومن ذكريات مدينة فاس أيضا استضافة العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي سنة 1974 ولعلها كانت أول زيارة له للمغرب وقد ألقى بقصر البلدية محاضرة حضرها جمهور غفير وقدم لها الدكتور الهراس بالقول بأن الكثيرين يتحدثون عن الإسلام، إلا أن قلة من الناس تحسن الحديث عنه وعرضه بالطريقة التي تناسب العصر، ومن هؤلاء الدكتور يوسف القرضاوي. وكان في جلسات خاصة يثني على الرجل ويعتبره من العلماء العاملين يقضي أيامه مابين إحياء لليل وانهماك بالعلم.

انتقل جمع ممن كان معنا بثانوية مولاي سليمان إلى مدينة الرباط ولم يحل هذا الانتقال دون تبادل الزيارات، وكان رحمه الله يسأل عنا ويتفقد أحوالنا، وحدث مرة أن سمع بأحد الطلاب الوافدين من سوريا يتكلم عن الدعوة برعونة وحماس وبدون ضوابط فانتهره بشدة مذكرا إياه بأن القرآن الكريم أمرنا بمخاطبة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فكيف بأهل الملة والدين؟ لافتا إلا أن بعض هذا التهور كان السبب فيما عرفته بلاد الشام من ظلم وما ارتكب في حق الأبرياء من آثام.

وفي المقابل كان رحمه الله ينشر ما انتهى إلى علمه من مواقف شهمة ونبيلة لأحبابه، وبعدما ولجنا سوق العمل، أذكر أن بعض الأصدقاء عين في موقع حساس بمؤسسة عمومية وتعرض في بداية عمله لإغراءات بالارتشاء من قبل أجنبي كان يحظى دائما في هذه المؤسسة بمعاملات تفضيلية ويستفيد من تسبيق لأموال عمومية بغير وجه حق، **ولما وقف صاحبي في وجهه كالطود ووجد أن محاولاته المتكررة معه باءت كلها بالفشل، جاءه مرة وقال له ياهذا "إن رجلا مثلك يساوي جيشا" هذه العبارة نقلت إلى إستاذنا الجليل، فجعلها عنوانا لمقال له مستذكرا أمنية عمر ﷺ أمام أصحابه بأن لو كان معه "رجال من أمثال أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح يصلح الله بهم البلاد والعباد" فذلك في نظره أسمى مما تمناه أصحابه من قبيل أموال كثيرة تنفق في سبيل الله وطاعات أخرى يتقرب بها إليه سبحانه عز وجل.**

ولن نترك مدينة الرباط دون أن نشير إلى اليوم الذي قدم فيه الأستاذ الشاهد البوشيخي رسالته لمناقشة دكتوراه الدولة في النقد الأدبي تحت إشراف أحد أساطين الآداب في العالم العربي الدكتور "أمجد الطرابلسي" الذي قدم للرسالة بالقول بأن الأستاذ البوشيخي نفض التراث العربي نفضا وبأن كل جزء من الثلاثة أجزاء التي تضمنتها رسالته القيمة صالح لأن يكون موضوع أطروحة منفصلة وكان من تعليق الدكتور الهراس الذي كان ضمن أعضاء اللجنة المشرفة أنه لا يمكن للجنة أمام هذا البحث العلمي الرصين إلا أن تؤمن على ما جاء فيها، لأن الأستاذ البوشيخي التزم بفضيلة التقوى في طلب العلم.

وعلى صعيد علاقاته الخارجية أسوق ملامح من مواقف عشتها بحكم طبيعة عملي ببعض البلدان الأجنبية وببعض البلدان العربية. فقد زار باريس في الثمانينات للمشاركة في مناظرة حول واقع الإسلام بفرنسا، وكان من بين المواضيع التي اهتم بها وعمل على الترويج لها أثناء المناظرة، محاربة ظاهرة استشرت ببعض الأوساط المغاربية مفادها أن التملص من أداء الواجبات والاحتيال للاستفادة من بعض الامتيازات الاجتماعية هو عمل مشروع لأنه نوع من الاقتصاص من بلاد الكفار التي جارت على بلاد الإسلام، وقد فند رحمه الله هذا التصور الخاطئ وبين أن الواجب يفرض على المسلم الموجود على أرض أجنبية استقر فيها بصفة قانونية وبناء على عقد توافقي احترام القوانين المعمول بها وعدم مخالفتها. فالإسلام برئ من هذا التوهم الذي يمكن إدراجه تحت مسمى الغدر والخيانة.

وخلال الندوة تعرفت على المرحوم عبد الله الأهدل مدير المركز الإسلامي ببروكسل وهو سعودي الجنسية الذي قدم لباريس للقاء الشيخ الدكتور الهراس والسلام عليه وللاستفادة من علمه وحكمته وأسر لي بأنه يعتبر الشيخ من حكماء العرب الذين لا يستغنى عنهم وأنه شخصيا يراجعه ولا يتوانى في استشارته في القضايا المتعلقة بالجالية الإسلامية ببلجيكا.

> **انتقلت للعمل بلبنان في بداية التسعينات من القرن الماضي أي بعد أكثر من أربعين سنة على إقامة الدكتور الهراس بهذا البلد، إلا أنني وجدت آثاره الطيبة بعد باقية وألسنة من عرفوه ما تزال تلهج بالثناء عليه**

انتقلت للعمل بلبنان في بداية التسعينات من القرن الماضي أي بعد أكثر من أربعين سنة على إقامة الدكتور الهراس بهذا البلد، إلا أنني وجدت آثاره الطيبة بعد باقية وألسنة من عرفوه ما تزال تلهج بالثناء عليه، ومن الشخصيات التي تعرفت عليها وكان لها معرفة وصداقة سابقة بالمرحوم بأوساط أهل الخيروالمثقفين المفتي محمد قباني ومفتي جبل لبنان علي الجوزو والداعية فتحي يكن، والسيد عمر مسقاوي صديق المغرب والصديق الحميم للدكتور الهراس الذي شغل منصب وزير النقل بحكومة الرئيس الحريري، والذي كنت كلما التقيت به إلا تحدث عن صاحبه بشغف ومحبة واسترجع سنوات الصداقة التي جمعتهما أيام كانا طالبين بالقاهرة وترددهما على بيت المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ومن أصحابه الذين ظلوا يحفظون وده كذلك الباحث يوسف الجاروش الذي تمنى لو استطاع أن يستعين به في إصدار كتابه حول يعقوب المنصور الذهبي الذي حاول أن يثبت فيه استنادا إلى عدة مصادر منها "وفيات الأعيان" لابن خلكان بأن السلطان يعقوب هو دفين منطقة الحمارة ببقاع لبنان والتي تسمى أيضا قرية السلطان يعقوب وليس بمراكش.

وكانت القاهرة آخر محطة بالخارج ألتقي فيها بالمرحوم، وقد جاءها زائرا في إطار ندوة علمية ولمتابعة مراحل طبع أحد كتبه وحرص خلال إقامته القصيرة على زيارة بيت أستاذه الأديب والمحقق المشهور محمود شاكر بالقاهرة أيام كان طالبا فيها. وقبل يد أرملته اعترافا لما كانت تسديه من معروف له ولعدد من زملائه الطلاب الذين كانوا يترددون على بيتها، كما التقى خلال هذه الزيارة بمفتي الجمهورية علي جمعة الذي تدارس معه قضايا إسلامية وبصديقه الدكتور سيد دسوقي أحد علماء مصر الأفذاذ الذي شغل رئيس هيئة تنمية الاستشارات باتحاد المنظمات الإسلامية، ويلتقي مع الدكتور الهراس في محبة المفكر الإسلامي مالك بن نبي والتعريف به والتنويه بمنهجه.

ولم أحط باستقبال شيخنا الهراس بالسعودية خلال مقامي بها إلا أنني عثرت بمساجد الرياض على مقاله القيم بعنوان "الثقة بالله أولا" وهو ما اعتبره الدعاة هناك بوصلة العمل الإسلامي الهادف والجاد، كما اعتمده من قبل عدد من علماء المغرب في خطبهم ومواعظهم أمثال المرحوم فريد الأنصاري، واستلهم منه أحد شباب الدعوة رسالته التي خلص فيها بأن لا خلاص إلا بالإخلاص.

رحمك الله يا فقيدنا الغالي رحمة واسعة، وأجزل لك العطاء وألحق بركب الصالحين المصلحين من هذه الأمة، وجعل من أنجالك وأحبابك من يواصل الركب ويحمل المشعل من أجل تحصين الإنجازات وانتهاج سلوك الأخيار، وذلك بالثقة بالله أولا والالتزام بتقواه فذلك أفضل العدة في الدنيا والآخرة.

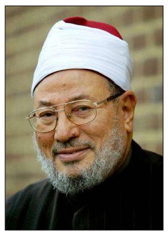

الشيخ يوسف القرضاوي

عبد السلام الهراس في ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله، صديقنا العربي المسلم عالم المغرب البحاثة الداعية الثبت المعروف الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، أحد كبار علماء المغرب المعروفين، وأدبائها المرموقين، ودعاتها المخلصين ، أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة محمد بن عبد الله بفاس، ورئيس جمعية العمل الاجتماعي والثقافي بالمغرب، وأحد الأعضاء المبرزين في عدد من الجمعيات العلمية والإسلامية والخيرية في العالم الإسلامي.

عرفته منذ ما يقارب أربعة عقود، لقيته أول ما لقيته، في المدينة المنورة، مشاركا في المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، الذي نظمته الجامعة الإسلامية، سنة 1397هـ، ودعت له كبار الدعاة والكتاب والمفكرين الإسلاميين، من مختلف بلاد العالم الإسلامي، فكان منهم الدكتور عبد السلام الهراس.

ثم لقيته في العام التالي في المغرب، في شهر رمضان1398 م، الموافق أغسطس 1978م، وقد دعيت من قِبل وزير الأوقاف المغربي الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، عن طريق سفير المملكة المغربية بالدوحة، للمشاركة في الدروس الحسنية الشهيرة، التي اعتاد ملك المغرب الحسن الثاني أن يقيمها كل رمضان، ويدعو إليها عددا من العلماء من خارج المغرب، بالإضافة إلى علماء المغرب.

وقد قدر الله سبحانه وتعالى، أن يدخل الملك المستشفى لإجراء عملية جراحية، فلم تعقد هذه الدروس في ذلك الموسم. ومن ثم رتبوا برنامجا ثقافيا آخر، من ذلك ندوة عقدها التلفزيون المغربي حول (غزوة بدر والدروس المستفادة منها)، وكان معي فيها مؤرخ الفتوحات الإسلامية اللواء الركن محمود شيت خطاب، المعروف بمؤلفاته ودراساته في السيرة والتاريخ، والأخ العالم المعروف الدكتور عبد السلام الهراس.

ومن الطرائف أن اللواء الركن محمود شيت خطاب، توجه لمدير الندوة بقوله بلهجة عسكرية صارمة: لا أحب أن تقدم الشيخ يوسف بالدكتور، بل بالشيخ، لأن الشيخ في تربيتنا وفي نظرنا أعظم وأكبر، وله في قلبنا مهابة واحترام وإجلال منذ طفولتنا.

فاضطرب الأستاذ مقدم الندوة، وكان حيِيًّا ليِّنا وقال: يشترك معنا في هذه الندوة: اللواء الركن يوسف القرضاوي، والشيخ محمود شيت خطاب، والدكتور عبد السلام الهراس. فانفجرنا ضاحكين واضطررنا لإعادة التسجيل. وقد عقب الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله بقوله: لو كانت رتب تعطى للعلماء، لكانت رتبة الشيخ يوسف القرضاوي من الرتب العزيزة السامية.

ثم زرت عدة مدن مغربية لإلقاء بعض الدروس والمحاضرات، ومنها العاصمة العلمية للمغرب مدينة فاس، حيث جامعة محمد بن عبد الله التي يدرس فيها الهراس، التي دعيت لإلقاء محاضرة بها. وقد قدم المحاضرة الدكتور الهراس، وسألني عن موضوعها، فتركت له حرية الاختيار، فاقترح أن تكون عن (مكانة العلم في الإسلام) فألقيتها ارتجالا واستمرت لنحو ساعتين، وسر بها الشيخ والحضور، والحمد لله على فضله.

ثم لقيته في ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر التي ابتدأت الاستجابة إليها والمشاركة فيها منذ سنة 1982م وما بعدها، وفي الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته سنة 2005م، وفي الكويت في اجتماعات الهيئة الخيرية العالمية، فقد اخترناه عضوا مؤسسا في جمعيتها العامة، وفي لندن في تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين سنة 2004م، وفي الدوحة، واستانبول، وغيرها من المدن والمؤتمرات.

وهو أحد الأعضاء المؤسسين المهمين للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وله دائما حضور ملموس، ومشاركات ايجابية رصينة في كل الاجتماعات في الهيئة الخيرية وفي اتحاد العلماء، وفي كافة اللقاءات، تميز فيها بحرصه البالغ على سلامة الدين واللغة والأخلاق من التحريف والتزييف والتميع.

وقد شارك فضيلة الشيخ عبد السلام الهراس بكتابة بحث عن شخصي الضعيف، في الكتاب التذكاري المنشور عني بمناسبة بلوغي سن السبعين بعنوان (الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي القيادة الحكيمة في مسيرة التأصيل والتجديد والتوحيد).

في الكويت في اجتماعات الهيئة الخيرية العالمية، فقد اخترناه عضوا مؤسسا في جمعيتها العامة، وفي لندن في تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين سنة 2004م، وفي الدوحة، واستانبول، وغيرها من المدن والمؤتمرات.
وهو أحد الأعضاء المؤسسين المهمين للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
وله دائما حضور ملموس، ومشاركات ايجابية رصينة في كل الاجتماعات في الهيئة الخيرية وفي اتحاد العلماء، وفي كافة اللقاءات، تميز فيها بحرصه البالغ على سلامة الدين واللغة والأخلاق من التحريف والتزييف والتميع.

وله مقالات دعوية، ومؤلفات رصينة، وتحقيقات نافعة لاقت قبولا واسعا، مثل تحقيقه لـ(التكملة لابن الأبار)، ومشاركته في تحقيق (أزهار الرياض في أخبار عياض) لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، و(ديوان ابن الأبار البلنسي)، و(صلة الصلة لابن الزبير الغرناطي، و(درر السمط في خبر السبط). وكان مجيدا للغة الإسبانية، وترجم عنها عدة قصائد وقطع وأبحاث أدبية.

كان للشيخ الهراس صلات وثيقة بكبار رجالات العلم والفكر في العالم الإسلامي، ويعتبر هو أحد تلاميذ المفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي، حيث لقيه وأخذ عنه، وساهم في نشر أفكاره ورؤاه، وأشار على الدكتور عبد الصبور شاهين بترجمة كتبه لأهميتها.

وكثيرا ما شارك رحمه الله، في التوقيع على بيانات تخص قضايا العالم الإسلامي، القدس، وفلسطين، والعراق، وغيرها من القضايا.

وتعتبر التجربة المغربية التي شارك فيها الشيخ عبد السلام الهراس، بانضمام عدة جمعيات إسلامية في كيان واحد باسم (حركة التوحيد والإصلاح) نموذجا يجب أن يحتذى في العمل الإسلامي في عصرنا الحاضر.

وقد شيعته المغرب، شعبا ممثلا في الجماهير الغفيرة التي شاركت في الجنازة المهيبة، وحكومة ممثلة في رئيس وزراء الحكومة عبد الإله بن كيران، وودعه محبوه وعارفوه من مختلف بلاد العالم الإسلامي.

نعزي الأمة الإسلامية، ونعزي أسرته، ونعزي أنفسنا، في وفاة الرجل المثقف، والعالم المربي، والداعية الكبير الشيخ عبد السلام الهراس، الذي قضى شبابه، وكهولته، وشيخوخته، وعمره كله في خدمة الإسلام والدعوة إليه، وإلى رسالته العالمية، وإلى أصوله ومنهجه، وإلى لغته العربية وآدابها. فإنا لله، وإنا إليه راجعون، له ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى.

نسأل الله تعالى أن يغفر له، ويرحمه، وأن يسكنه الفردوس ألأعلى، وأن يجزيه عن دينه وأمته ودعوته خير ما يجزي به الأئمة الربانيين، والعلماء الهادين المهتدين، وأن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

النبراس في استحضار بعض مناقب الدكتور الهراس

أ.د. محمد الروكي ×

عرفت الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى في بداية السبعينيات، من خلال محاضراته القيمة ومجالسه الشيقة، كما عرفته من خلال بعض مقالاته وتحقيقاته لبعض التراث، ومن خلال دروسه التي كان يلقيها في بعض المساجد والمؤسسات، وكان في كل ذلك مفيدا نافعا، أديبا لامعا، وعالما جليلا، وناقدا بارعا، ومحققا واسعا، وقد جمع خصالا حميدة، وصفات رشيدة، تدل على نبله وأصالته، وغيرته وشهامته، ووطنيته وحبه لبلده وبني جلدته، وتعلقه بدينه وثوابته، ومن هذه الخصال، على سبيل المثال:

أولا : الصدق : فقد بلوناه في أمور كثيرة، ومواقف عديدة فوجدناه صادقا، لا يخاف في الله لومة لائم، وقد استطاع بصدقه أن يكسب حب الجميع وثقة الجميع.

ثانيا : الصراحة : فقد كان رحمه الله صريحا في أقواله وكلامه لا يوارب ولا يلتوي، ولا يستحيي من الحق.

ثالثا : العفة : فكل من عاشره وتتبع مسيرة حياته يجد أنه كان عفيفا، قنوعا بما عنده، لا يطمع في مال ولا منصب ولا مركز ولا ذكر ولا شهرة، ولا غير ذلك مما يتهافت الناس عليه ويتنافسون فيه. ولو أراد الجلوس على الكراسي العليا لوصل، لكنه كان أعف من أن يتقيد بحيز الكرسي.

رابعا : التواضع : كان رحمه الله يجالس الطالب ويعطيه من الاحترام والإجلال ما يعطيه للأستاذ والعالم، ويعامل الوضيع أحسن من معاملته للرفيع. وأمثلة تواضعه كثيرة يعرفها طلبة العلم والذين شهدوا مجالسه وحلقاته ومناقشاته...

خامسا : الألفة : كان رحمه الله ألوفا، لا تكاد تجالسه حتى تألفه ويألفك، لا يجعل بينه وبين جليسه حاجزا ولا كلفة ولا تصنعا ولا شيئا مما يضيق به. بل يحادث جليسه كأنه يعرفه من مدة وزمان.

سادسا : البذل : كان رحمه الله كريما سخيا، لا يبخل بما عنده عن ضيفه وزائره وسائله، يبذل من ماله ووقته وعلمه وفكره، ويبذل جهده ووسعه سعيا إلى إصلاح أو توجيه أو ترشيد أو غير ذلك من وجوه البر والخير.

سابعا : الشجاعة : كان رحمه الله قوي الإرادة، مقداما في المواقف، شجاعا في تنفيذ قراره، لا يخشى أحدا إلا الله ولا يساوم في دينه ووطنيته وأخلاقه وثوابته.

ثامنا : الحكمة : وإلى جانب شجاعته في الحق، كان حكيما بصيرا بالأمور وعواقبها، متأنيا متريثا، يزن الأمور بميزان العقل والرشد، ويدبر أموره بالرأي الحصيف والاجتهاد الرشيد والنظر البعيد، ويرعى شجاعته بعلمه وحكمته مستحضرا قول المتنبي :

الرأي قبل شجاعته الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

تاسعا : التثبت : فقد كان رحمه الله متثبتا في أموره كلها، يتبين دقائقها وعظائمها، ولا يتكلم في شيء من المعارف والعلوم إلا بعد التأكد من المعلومة والتحقق منها ولا يناقش في موضوع إلا بعد الإطلاع عليه واستيعابه. وكان في ذلك قدوة لأهل العلم طلبة وأساتذة على حد سواء.

عاشرا : فقه الواقع : كان رحمه الله على اطلاع واسع بواقعه وحال زمانه وأهله، خبيرا بقضايا عصره وشؤون بلاده وأمور وطنه وأمته.

هذه بعض الخصال التي رأيتها فيه رحمه الله تعالى رأي العين ولمستها فيه مشخصة في مواقفه وقراراته، بينة في أقواله وأفعاله وتصرفاته، فما أحوج شبابنا إلى الاقتداء بسيرته والتأسي به في هذه الخصال الحميدة ونظائرها مما عرفه بها أحباؤه ومريدوه، وتلامذته ومحبوه. ما أحوج أهل العلم وطلابه ورواد الثقافة الإسلامية إلى الاحتذاء حذوه والاقتداء بمنواله والسير عليه. رحمه الله تعالى ونور ضريحه وقدس سره وتقبله في الصالحين ورضي عنه في عباده المقربين.

× رئيس جامعة القرويين عضو المجلس العلمي الأعلى

صور من خدمة الأستاذ عبد السلام الهراس لوطنه وأمته

د. عبد الله الهلالي

انتقل إلى عفو الله ورحمته فضيلة الدكتور سيدي عبد السلام الهراس بعد أن قدم بفضل الله وعونه لوطنه وأمته ما يجده لغده، من ندوات ومؤتمرات ومحاضرات ودروس وتأطير، وتوجيه وإشراف وتكوين.

وسأقف في هذه الكلمة المتواضعة على ثلاثة أمثلة منها، تركها الفقيد وانتقل إلى رحمة الله، لكنها تبقى حية عندي ما حييت، وأعتقد أن مثيلاتها كثيرة عند غيري، بل أكبر بكثير عند من أكثر معاشرته والاستفادة منه.

المثال الأول: آثار دعوة سيدي عبد السلام خارج الوطن، ففي محرم الحرام للسنة الهجرية 1432 الموافق لشهر دجنبر 2010. وفقت بحمد الله لحضور المؤتمر العالمي الأول عن دور الدراسات الاسلامية في المجتمع العولمي بجامعة سَانْكُولا songkla. بجنوب تايلاند. بمدينة فطاني الاسلامية. وكان لباسي المغربي الأصيل قد أثار أسئلة عني وعن البلد الذي جئت منه – وللإشارة فقد كنت الممثل الوحيد لبلدي – فسألني أحد كبار علماء تايلاند وهو يرأس جامعة إسلامية نموذجية، وعمره يناهز حوالي السبعين سنة أو يزيد. سألني متأكدا عن بلدي. فقلت له: أنا مغربي ، فقال على الفور أتعرف العلامة الدكتور عبد السلام الهراس فقلت نعم: أستاذي وشيخي. قال لي: أَبْلِغْهُ سلامي، وتحياتي الخاصة، قلت ومتى تعرفت عليه قال لي: منذ سنوات طوال التقيته بجدة أو مكة. ثم بدأ يثني على فهمه، ودعوته، وحرقته على أوضاع الأمة ونصحه لأهل تايلاند بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وبعد رجوعي من المؤتمر قمت بزيارة لسيدي عبد السلام الهراس وكان يومها يُلازم البيت لما ألم به رحمه الله. فحدثته عن رحلتي إلى تايلاند، وحدثته عن لقائي بصديقه القديم ففرح فرحا شديدا بالرسالة التي نقلت إليه.

المثال الثاني: كان في حظي أن شَرُفْتُ بمناقشته لرسالتي العلمية لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا – دكتوراه السلك الثالث– وكانت في موضوع: منار أصول الفتوى وقواعد الافتاء بالأقوى لإبراهيم اللقاني المالكي (ت1041هـ) تقديم وتحقيق. ومما لا أَنْسَاهُ وأسأل الله أن يدخره له عنده، أن رسالتي أنهيتها بنهاية السنة الدراسية 1991 –1992. وبعد أخذ لعطلته وسفره إلى السطيحات، أوصلت الرسالة إليه فقبلها مسرورا مشكورا، وقرأها في وقت راحته وعطلته.

وأما طرائفه العلمية وتوجيهاته اللغوية والمنهجية فقد أفادتني وما زلت أستفيد منها، وهي داخلة بإذن الله في العلم المنتفع به الذي لا ينقطع، ولا يتوقف.

المثال الثالث: من طرائف سيدي عبد السلام الهراس الدعوية والتربوية أنه ذات مرة كان يتسوق بالمدينة القديمة. فسأله أَحَدُ الباعة سؤالاً. فأجاب الفقيه سيدي عبد السلام. فبدأ يناقشه في الجواب فقال له : هل أنت تسأل أم تجيب ؟ فقال: أنا أسأل ولكن... فقال له الفقيد رحمه الله: إذا تكلم العالم وسأل غير العالم قل أو رفع الخلاف. وهذا يدل على حكمة الفقيد ومنهجيته الدعوية. فالعَالِمُ المتوفر لشروط العلماء وضوابطهم يجب عليه البيان والدعوة للأمة لقول رسول الله ﷺ "ومن كتم علما ألجمه الله بلجام من النار" وغير العالم يجب عليه السؤال : ﴿فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

وإن مما أوقع الأمة في الفتن والاضطرابات هو أن يتصدر للفتوى من لا أهلية له فيها، وأن يتخلى عنها من هم أَهْلٌ لَهَا.

رحم الله فقيدنا رحمة واسعة وجعل الله ما قدمه للأمة في ميزان حسناته.

سيدي عبد السلام الهراس رحمه الله

أ.د. محمد أبياط

أدع الحديث عن مؤلفاته وبحوثه ومقالاته وبوارقه.

وعن رفاقه في دروب العلم ومجالات الدعوة، وميادين الإصلاح.

وعن علاقاته المتنوعة مع مختلف الشرائح والمراتب الاجتماعية.

أدع ذلك كله وغيره لمن هم أوعب مني للقول فيه.

وأخص سيدي عبد السلام رحمه الله بما عاينته منه بالمخالطة، من محامد وسجايا طبيعية جعلت من شخصيته نموذجا نادرا. فقد جمع الله بين حنايا ذلك الرجل غيرة ملتهبة على الوطن المغربي والإسلامي، وحدة متقدة في مواقف الحق، وذكاء وسرعة بادرة، ولطف إشارة، ورحابة صدر.

– كان يحلم كثيرا عمن آذاه، ويتحرى الأرجح من المصالح عند تعارضها.

– كانت تفيض عيناه أسى وحسرة على أوضاع المسلمين.

– كان صادق الهم، صريح الغرض، حكيما في توحيد الكلمة، ورأب الصدع.

– كان موفقا في حل المعضلات الاجتماعية، ويمقت كشف السوآت عند النزاع والخصومات.

– كان لطيفا ميسِّرا على من يأخذ عنه العلم، ومتواضعا يقبل الاعتراض الوجيه والنقد العلمي بصدر سليم.

– كان شغوفا بتخفيف أشكال المعاناة عن المعوزين والضعفاء والأرامل والأيتام...

ومن لازم القول ألا ينسى جانب الخدمة والسكينة والمساندة الصادقة التي كان يحظى بها شيخنا رحمه الله من قبل زوجته البارة المحتسبة، المتبصرة بعظم الأمانة، الحريصة على مشاركة زوجها وأبنائها في كل ثواب ومكرمة.

رحم الله سيدي عبد السلام الهراس رحمة واسعة، وثبت أهله وبنيه على المحجة البيضاء. آمين.

عبد السلام الهراس العالم الإنسان

دة. بديعة اليوسي

راجعت كثيرا ما أعرفه من مسار الراحل عبد السلام الهراس وأنا أحاول أن أكتب عنه. توقفت عند محطات عديدة جمعتني به، وسألت نفسي ما هي أهم صفة ميزت أستاذنا الراحل. تزاحمت مناقبه الكثيرة في ذهني، غير أن إحداها كانت أكثر سطوعا من غيرها، إنسانيته. كان رحمه الله إنسانا بكل ما في الكلمة من معنى، تشهد على ذلك مواقفه النبيلة من مختلف القضايا الإنسانية سواء تعلق الأمر بقضية كبرى كقضية فلسطين أو قضية قد تبدو لأول وهلة بسيطة كلجوء أرملة إليه لطلب مساعدته؛ شعاره في ذلك: "لا تحقرن من المعروف شيئا."

نعاه الدكتور يوسف القرضاوي بقوله: ".. له دائما حضور ملموس، ومشاركات إيجابية رصينة في كل الاجتماعات في الهيئة الخيرية وفي اتحاد العلماء، وفي كافة اللقاءات، تميز فيها بحرصه البالغ على سلامة الدين واللغة والأخلاق من التحريف والتزييف والتميع." وحينما نعاه محبوه قالوا عنه بأنه أستاذ أجيال، وليس منا من لا يذكر أياديه البيضاء عليه.

ما زلت أذكر مذكراته التي كانت تنشرها جريدة التجديد ومقالاته بجريدة المحجة، كان رحمه الله يحمل بين جنبيه قلب إنسان مهموم بإنسانية الناس كل الناس. كان يقول لي إن الخير رديف العلم وأن الشر رديف الجهل، لذاك كنت تراه يسعى لتسجيل الطلبة النجباء في سلك الدكتوراه يشجعهم على ذلك ويحثهم عليه ويعمل على حل مشاكلهم المادية التي كانت العائق الأكبر أمام استمرارهم في دراستهم. وما زلت أذكر قوله إن الحرية أساس كل تقدم علمي لذلك كان يشجع الطلبة الذين يستشيرونه في الذهاب إلى الخارج لاستكمال دراساتهم العليا بفعل ذلك. كانت رؤيته تتسم بالعمق وبعد النظر إذ كان يعتبر رحمه الله أن الغرب هو مصدر العلم الحديث ومنه يجب أن نأخذ المعارف العلمية والمهارات التقنية وبهذا العلم والمعرفة سنساعد في تقدم ونهضة أوطاننا.

كانت له رؤية حضارية متكاملة موسومة بفكر ومنهج مالك بن نبي، وكنت ألجأ إليه بحثا عن بعض الإجابات الفلسفية والإبستمولوجية المتعلقة بإدماج العلم الحديث في منظومتنا الحضارية خاصة في البعدين الأخلاقي والديني. كانت وجهة نظره تتسم بالتعددية فيستعرض وجهات النظر المختلفة في حديث شيق متسلسل. كان ينحو نحو علماء المسلمين كالغزالي وابن رشد والبيروني وغيرهم باعتبار أن الحقيقة واحدة تتعدد سبل الوصول إليها، ثم يعرض لمختلف المدارس التي تناقش علاقة الدين بالعلم، فيتكلم عن موريس بوكاي والتفسير العلمي للقرآن طارقا قضية الإعجاز العلمي ثم يرصد وجهة نظر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومؤسسه إسماعيل راجي الفاروقي في قضية أسلمة المعرفة ليتناول أفكار الفيلسوف سيد حسين نصر حول وحدة العلوم ومفهوم "العلم المقدس" وتوجهات المفكر ضياء الدين سردار حول البناء الاجتماعي للعلم.

كان رحمه الله عالما غزير العلم وافر العطاء، إنسانا يستلهم إنسانيته من قوله عز وجل وهو يخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

طبت حيا وميتا ياسيدي عبد السلام وملقانا في جوار الحبيب محمد ﷺ إن شاء الله.

الأستاذ عبد السلام الهراس وقضاء حوائج الناس

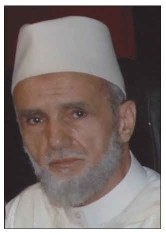

د. إبراهيم أزوغ

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه مثنيا على الأنصار: ﴿والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(الحشر9)، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل في الحديث الصحيح: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»(1).

أما بعد،

فإن من المبادئ الأساسية في الإسلام أن المرء لا يعيش لنفسه وحدها، ولا يسعى لمآربه الخاصة فقط، وإنما عليه أن يعيش ويسعى للأخرين من إخوانه وجيرانه، والناس أجمعين، يقضي حوائجهم ويعين ضعفاءهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه وأكثر من ذلك، ورتب على ذلك الأجر العظيم والدرجات العليا في الجنان، بقدر الإحسان للإنسان، وحتى للحيوان الأعجم لتصبح عنده مكرمة البذل والعطاء أحب وألذ من الأخذ والإثراء، جعل الإسلام ذلك ميزانا للترقي في درجات الإيمان، وبلوغ أعلى الجنان فقال تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو اطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة﴾ (البلد 11-18) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (2) وعن أنس يرفعه: «ما آمن بي من بات وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به» (3).

ولقد سخر الله بعض العباد لقضاء حوائج الناس ففي معجم الطبراني الكبير عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز و جل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع إليهم الناس في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله» وفي رواية في مسند الشهاب: «أولئك الآمنون يوم القيامة». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..» الحديث، متفق عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في ذلك فكان لا يرد سائلا، ويسير في قضاء حاجات الناس حتى قبل بعثته ﷺ ويدل على ذلك ما قالت له أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عند فزعه عليه الصلاة و السلام في بدء الوحي: (كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، وتكسب المعدوم، و تقري الضيف، و تعين على نوائب الحق) والحديث في صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

هذا و إن المرحوم الأستاذ عبد السلام الهراس ممن كانت الحوائج تقضى على يديه، واشتهر بذلك بين الناس، ولكم سافر وسعى مع ذوي الحاجات من أجل قضائها و كم شفاعة شفعها للخاصة والعامة.

ولقد خبرته عن قرب، وطول أمد، فكان ديدنه السعي في مصالح الناس، أقرباء وبعداء، وأقص هنا مثالا واحدا جرى لي معه -يرحمه الله- ففي سنة 1408 هـ (1988 م) حصلت من الكلية على التفرغ لإعداد الدكتوراه، فوقع اختياري على جامعة الخرطوم بالسودان لمكان أستاذي المرحوم عبد الله الطيب بعد عودته من فاس إليها، فما كان من الأستاذ عبد السلام الهراس رحمة الله عليه إلا أن وافقني على الاختيار وساعدني على السفر إليها إذ صحبني إلى وزارة التعاون بالرباط للحصول على تذكرة سفر شافعا مشفعا، فتيسر المطلوب بإذن الله على يديه.

وأثناء سفري قضيت بمصر أزيد من شهر باحثا في مكتباتها وجامعاتها ومتصلا بالمشاهير من علمائها، ومنهم الأستاذ المرحوم محمود شاكر، والأستاذ عبد السلام هارون ود. محمود علي مكي ود. أمين السيد ود. رمضان عبد التواب... وغيرهم، والتقيت فيها بأستاذي المرحوم عبد الله الطيب وقد حضر لأشغال مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تفاصيل مفيدة ليس هذا محل ذكرها. وبعد ذلك قضيت في السودان شهرا وعشرة أيام، سافر أثناءه المرحوم عبد الله الطيب إلى لندن لقضاء عطلة الصيف، فأغراني جو السودان الشديد الحر ورمضان بأن أسافر إلى مكة المكرمة، وأثناء وجودي بالسعودية سقط مني جواز السفر في جدة، وفي انتظار العثور عليه آثرت المكوث في مكة المكرمة، وفي غمرة هذه الأزمة ساق الله إلي الأستاذ عبد السلام الهراس، فبينما أنا في المسجد الحرام، إذا بي ألتقي به، وأخبرني أنه دعا الله أن يلقى بعض الأحبة فاستجاب الله دعاءه، وأغاثني به، فاصطحبني إلى مقر رابطة العالم الإسلامي حيث عرفني أحد أصدقائه الخلص، إنه الأستاذ حاتم قاضي الأمين المساعد للرابطة آنذاك، وهو الآن من الأطر البارزة في وزارة الحج بالمملكة العربية السعودية. ثم أخبرني بعض الأقارب في جدة بأن الجواز المفقود عثر عليه عند بعض أهل البيوت القريبة من موضع إضاعته، فاصطحبني الأستاذ الهراس إلى جدة في سيارة كانت معه لاستلام الجواز، وبشفاعة منه رحمة الله عليه لدى الأستاذ حاتم قاضي -حفظه الله- طلب لي هذا الأخير من إمارة مكة تمديد الإقامة بالسعودية برسالة رسمية من الرابطة، وعند استقبالي من السيد وكيل الإمارة، أخبرني أن تأشيرة العمرة لا تمدد، فشكوت إليه ضياع جوازي، وعدم تمكني من زيارة المصطفى ﷺ، فأمر كاتبه أن ينشئ لي رسالة إلى قسم الجوازات لتمكيني من الزيارة في شكل إجراء، وحملت خطاب الإمارة إلى الجوازات، فأخذت المكاتب تحيلنا على أخرى، إلى أن دخلت مكتبا فيه أحد الفضلاء فقال لي لماذا لا تجعلها تمديدا للإقامة بدل الإجراء؟ فقلت في نفسي ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ فأمر لي بالتمديد، وأمضى الوثيقة وأحلت إلى قسم آخر غير السابق لتمدد إقامتي شهرين آخرين بعد بحث وتحقيق.

وهكذا تأتت لي الإقامة بمكة المكرمة إلى ما بعد حج 1408، وسعى ذ حاتم قاضي للحصول لي على سكنى لتلك المدة في بعض معاهد مكة المكرمة، وأتاح لي الحج مع ضيوف الرابطة في ذلك العام، وقضيت في السعودية أزيد من ثلاثة أشهر مكنتني من البحث في مكتباتها، في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن الارتواء من الحرمين، وإنما تيسر ذلك الخير كله بفضل الله أولا ثم بسعي الأستاذ المرحوم عبد السلام الهراس، جزاه الله خيرا عني وعن كل حاجة قضاها للمحتاجين وكل كربة فرجها على المكروبين فرج الله عنه كرب يوم القيامة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

1 - واللفظ للبخاري، كتاب المظالم والغصب، ح2442،ج2، ص190ط السلفية

2 - رواه مسلم في كتاب الايمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الايمان، ورواه أبو داوود في كتاب الأدب و الترمذي في صفة القيامة، وابن ماجة...

3 - الطبراني في الكبير1 259 ،ح 751. والبزار في كشف الأستار176،ح119. وقال الهيثمي إسناد البزار حسن.

شخصيات أثرت في الشيخ الهراس

ذ. بشير الجابري

التقيت بأستاذي الدكتور عبد السلام الهراس مرات عديدة؛ كان أولها في الجزائر عام 1973، وآخرها في مصيفه في جبال الأطلس عام 2005، وبينهما لقاءات عديدة في جدة عندما يكون مارا بها لحضور مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، أو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والمؤتمرات المتخصصة في الكويت والرياض.

وكان دائم الهم مشغولا بأوضاع العالم الإسلامي وباحثا عن ومضات الضوء هنا وهناك وسبل تعزيزها وحمايتها.

و خلال جلساتنا الممتدة كنت ألاحظ تأثره بثلاث شخصيات كان لكل منها تأثيرها على تكوينه؛

وأول هؤلاء المجاهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان يلتقيه في القاهرة أوائل فترات طلبه العلمي، وكان يأخذ عنه النظرة الاستراتيجية الثاقبة للقضايا، وربط الإيمان بالإمكان، وتحويل المعجزات من الأحلام إلى الأعمال.

ثم التقى خلال دراسته في لبنان **الشيخ محمد الداعوق مؤسس جماعة عباد الرحمن** والذي كان فذا في أسلوبه التربوي في بلد يعيش حساسيات شديدة، فنشأ تلاميذه على الأخلاق الإسلامية بروح كشفية حديثة وتفتح على التقنية غير معتاد في مثل هذه التجمعات. وكان يأمل أن يصل بدعوته إلى مقامات عليا لولا فتنة جمال عبد الناصر والفكر القومي.

وثالث العظماء المفكر العملاق مالك بن نبي أول رئيس لجامعة الجزائر بعد الاستقلال والذي كان وحيد عصره في البحث عن توليد الفعالية في الأمة عن طريق تغيير أفكارها من الجمود إلى الانطلاق، ومن العبثية إلى التركيز، ومن الفوضوية إلى التنظيم.

و الرابط بين هؤلاء الثلاثة في رأيي ارتباط العلم بالعمل لديهم من جهة وتحويل الموقف أو الفكرة أو الرأي إلى مشروع أو عمل، والربط بين أدوات عصرهم وحاجات فكرتهم.

وهذا ما جعله شديد التعلق بأصحاب المشاريع العملية المفيدة للأمة مثل المدارس والجامعات والبنوك الإسلامية والتخصصات العلمية المفيدة، يحدثك عن أصحابها ويحثك على التعرف عليهم والمشاركة في أعمالهم.

كما كان يحذر ويخاف من أصحاب الأفكار (الكبيرة) والدعايات غير الواقعية. **ويرى أن الشرق لا يملك مقومات المشروع المفيد للمغرب الذي يملك خصوصيات كثيرة يجب أن تحترم. ولقد أثبتت الأيام صدق حدسه عندما استطاع المغرب أن يضرب مثالا يحتذى في التفاهم والتآلف مع كثرة المتربصين و المتآمرين.**

و كان كثير الذكر لعلماء المغرب كل بما امتاز به، من علم أو خلق أو عمل يذكرهم ويدعوا لهم بظاهر الغيب، ويغمرك بفائض حبه لهم واعتزازه بهم كأنهم أهله وخاصته . كما يذكر العديد من طلابه و أهل الخير والحال ممن لا يعلم بهم إلا القليل.

وكان لديه علم غزير بما يخص الأندلس وأهله المسلمين ثم قاطنيه الآن، فتتلمذ على يده عدد ممن عاد إلى الإسلام منهم يجدون لديه الرأي السديد والمشورة والعون ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ولقد زارني بعضهم ورأيت شدة تعلقهم بالإسلام وبالمغرب وعلمائه وأهله. وأذكر أن أحدهم كلما طاف بالكعبة أصر أن يقبل الحجر الأسود، فلما اقترحنا عليه السلام عن بعد أجابنا : Sanga Islamica دمي مسلم!!.

رحمك الله يا أبا محمد، وتقبل منك ما علمناه، وما سترته عنا، ونفع بعلمك و عملك من يليك.

وفاة أحد أعلام الفكر والعلم والإسلام في المغرب الدكتور عبد السلام الهراس

ذ. المهدي فلوريس(*)
عن مسلمي إسبانيا

ببالغ الحزن والأسى والحسرة...تلقينا نحن مسلمي إسبانيا، نبأ وفاة العالم العلامة الدكتور عبد السلام الهراس..هذا العالم المغربي الرباني الكبير، الذي تربى على قيم العلم والفكر والوعظ والإرشاد والتوجيه..منذ يفاعته...فهو إلى جانب كونه أحد رجالات الفكر والعلم والأدب والدعوة ...في المغرب والعالم العربي والإسلامي، فقد ساهم في تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فتفرغ لهذه المهمة الجليلة، فعاصر كبار المفكرين، والعلماء وثلة الدعاة الأخيار، وانبرى يمد العون والسند...للمسلمين المريدين غير العرب، في إسبانيا وفي غيرها من الأصقاع... الأمر الذي جعلنا نحن مسلمي إسبانيا، نعتز بعلمه وبجلال عونه ومشورته وبمساعيه الكثيرة الحميدة، وأخلاقه وشمائله، وحبه للعلم وللإسلام...فكان بحق، المرشد والواعظ والمربي الرباني والفقيه النحرير والعالم بقلب كبير، وبصبر لافت...

رحم الله العالم العلامة فقيد العروبة والإسلام.. وأغدق عليه شآبيب الرحمة والمغفرة...آمين يارب العالمين.

____

(×) الكاتب العام السابق للاتحاد الإسلامي لإسبانيا.

خواطر عن الأستاذ عبد السلام الهداس

ذ. إحسان قاسم الصالحي(*)

____

لدي خواطر قيمة عن الأستاذ الهراس رحمه الله رحمة واسعة، لها مكانتها في قلبي أعتز بها وسأذكر لكم واحدة منها. فإن رأيتم جديرة بالنشر فانشروها وإلا عدوها رسالة أخوية إليكم. فلكم الخيار التام.

كنت في مؤتمر للأدب الإسلامي في المغرب، وما كان لي بحث أو مداخلة، إلا أن حبي وتقديري للأدب الإسلامي وللقائمين عليه من أمثال الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، دفعاني لحضور أغلب ندواتهم ومؤتمراتهم.

ففي أحد مؤتمراتهم في المغرب دخل القاعة رجل مهيب الطلعة طويل القامة قام احتراما له كثير من الأساتذة. قلت في نفسي لا بد أن هذا أستاذهم أو من له فضل عليهم.

بعد انتهاء الجلسات تقرّب إليّ ونحن في صالة الانتظار للفندق.

سألني: هل أنتم من تركيا؟ أجبته بنعم.

قال: أسألك سؤالا.

قلت : تفضل.

قال: هل في تركيا جماعات إسلامية وهل هناك اختلاف بينهم؟

قلت : نعم، في تركيا جماعات إسلامية وهناك اختلاف بينهم.

قال: لماذا لم يحدث عندكم تفسيق وتكفير بين الجماعات.

قلت: لأننا نحرّم الحرام ونحلل الحلال.

قال : ماذا تقصد؟

قلت: أيها الأستاذ المحترم. الغيبة حرام بلاشك سواء اختلفنا أم اتفقنا. أليس كذلك؟ فنحن لا نغتاب جماعة عاملة للإسلام على طريقتها الخاصة مهما اختلفنا معها.

انفعل من هذا الجواب. وضرب بكلتا يديه على المنضدة التي أمامنا وقام منتصبا وكبّر بـ" الله أكبر"...

وبعد هذه المحاورة بيننا أصبحنا كالأخ وأخيه أو الأصح كالتلميذ وأستاذه. وأخذ بيدي وأراني جميع مناطق فاس الجميلة حتى الأزقة الضيقة في فاس القديمة.

وأخذني يوما إلى جمعية أسسها لخدمة الإسلام وجمع كثيرا من الناس فيهم الشباب والشيوخ وطلب مني أن أذكر للمجتمعين شيئا عن العمل الإسلامي في تركيا، فذكرت لهم ما تيسر لي من الأمور وبخاصة مدارس النور وتحفيظ القرآن وغيرها من النشاطات المتنوعة.

وأخيرا تقرب إليّ وسألني الآتي:

ألا تأخذون شيئا من المعونات للقيام بهذه الأعمال من أحد، كالدول أوالمؤسسات الإسلامية الأخرى؟

قلت: والله لم نستلم قرشا ولا فلسا ولا مليما من غيرنا. قطعا.

فكنت لا آتي إلى المغرب إلا ويدعوني إلى بيته ويكرمني بالغداء المشهور في المغرب. وما أتى إلى إسطنبول إلا ونلتقي على خير بفضل الله.

حتى كان لقاؤنا الأخير معه عندما زرناه مع الأستاذ الدكتور محمد الروكي في بيته في الباب وعرفني، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه بشفاعة سيد المرسلين ﷺ.

____

(×) مدير مركز رسائل النور للدراسات والبحوث بإسطنبول

شعبة اللغة العربية وآدابها بفاس تفقد أول رئيس لها

د. عبد العزيز احميد(*)

تعتبر شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس أقدم الشعب في الجامعة المغربية، وقد شكلت عبر تاريخها، منذ خمسينيات القرن الماضي، معينا لا ينضب من الطاقات العلمية والأدبية التي تولت مهام التكوين والتأطير والبحث العلمي في قضايا اللغة العربية وآدابها، وتخرجت بجهودها أفواج من الطلبة والباحثين الذين تولوا زمام الريادة والنهوض بالوظائف المتعددة في الجامعة المغربية وفي سائر المجالات الاجتماعية والحياتية، بل امتد أثرهم إلى خارج البلاد. وقد عرفت السنوات الأخيرة رحيل عدد منهم إلى دار البقاء رحمهم الله. وآخر الراحلين فقيدنا موضوع الكلام.

يعد الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله أول رئيس فعلي لهذه الشعبة تدل الآثار الباقية على جهوده التي تواصلت من أجل إرساء الأعراف الجامعية بها، وتشهد له بحسن التدبير وإعلاء روح الأخوة والتعاون بين أساتذتها، كما أسهم في تثبيت المرجعيات القانونية المؤسسة لهياكلها وإدارة شؤونها.

وقد عرف رحمه الله بغيرته على اللغة العربية وما تحمله من القيم الثقافية والأدبية والمعرفية، وآمن بطابعها الموسوعي التكاملي ووظيفتها الرسالية في بناء المجتمعات الفاضلة، ومحض أغلب جهوده لأجل التمكن لها.

وقد أهلته موسوعيته واطلاعه الممتد لنسج علاقات إنسانية واسعة، ولا سيما مع الطبقات المثقفة في المجتمعات العربية والإسلامية من الهند إلى الأندلس، أفادت منها الشعبة والكلية في زيارات كثير منهم وعقد صيغ للتعاون والتعارف معهم ومع المؤسسات التي ينتمون إليها.

كان رحمه الله منتسبا تخصصا للدراسات الأندلسية والمغربية، وفضلا عن مهمة التدريس التي تولاها بصدق وغيرة مشهودة، فقد أشرف وناقش العشرات من الرسائل الجامعية في مرتبة دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة، وتخرج على يديه ثلة من الباحثين في مختلف الموضوعات الأدبية والعلمية، وهو يعد بحق أستاذا للأجيال في هذا المضمار بقي مستمسكا بالمبادئ البحثية التي آمن بها، منافحا، بغيرة لا تنقطع، عن دور القيم الأدبية والثقافية في ترسيخ الأخلاق السامية والمبادئ البانية لأسس المجتمعات المتحضرة، كما خلف عددا من الأبحاث والدراسات التي تشهد على حضوره المتواصل وتفانيه في القيام بالواجب، ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾، فرحم الله فقيدنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح الجنان.

____

* رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب ظهر المهراز – فاس

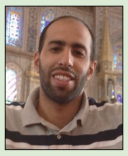

ذكريات أسرية واجتماعية مع الأستاذ الهراس

عبد الله نادر عبد العزيز النوري

أكتب عن الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله وكأني أكتب عن جدي رحمه الله. حيث أن علاقته مع والدي بدأت واستمرت قوية ودائمة لثلاثين سنة. تعرف والدي المرحوم الشيخ نادر عبد العزيز النوري على الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله في صيف 1984 في مؤتمر في غرناطة كانت زينب الغزالي رحمها الله ضيفة شرف فيه وكان بين المسلمين في أوروبا ودعوا فيه شخصيات إسلامية أوروبية وعربية. كان تعارف ومحبة وعمل في سبيل الدعوة إلى الله ارتبطت فيه القلوب ، وسرعان ما أصبحت رابطة روحية امتدت إلى الأسرتين، وتعرفوا على العائلة وزاروا الكويت مرافقة للشيخ ، بعدها صارت هناك زيارات متبادلة. ثم بعد تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وعضويته في جمعيتها العمومية أصبحت زيارات الهراس رحمه الله للكويت سنوية، وكان لا يبيت إلا في ضيافتنا في المنزل. وتحدث زوجته أم محمد عن حزنه الشديد لما غزا جيش صدام دولة الكويت وكان يحاول الاتصال مع الوالد وأرسل له رسائل كثيرة. وزار الكويت مباشرة بعد التحرير.

وكان الفضل لله ثم له في تعريف الوالد رحمه الله على العلماء والمشايخ والعمل الدعوي والخيري في المغرب والذي كان بوابة للعلاقات مع دعاة المشرق العربي.

كان رحمه الله جميل النصيحة ولا أنسى عندما كان يناديني ويجلسني بجانبه وينصحني نصيحة الأب لابنه حيث كان يكرر علي بيت قصيدة أبي القاسم الشابي "ومن يتهيب صعود الجبال = يعش أبد الدهر بين الحفر" وكان لنصائحه تأثير إيجابي على حياتي. كان جدي والد والدتي يحبه كثيرا ويفرح بحضوره وكان قريب السن منه ويحب أن يستمع لأحاديثه وعلمه.

زرناه في المغرب كأسرة أكثر من مرة وكان يرافقنا في كل الرحلة في جولة في السيارة حول المغرب رغم كبر سنه ويستقبلنا أكرم استقبال واستضافنا في منزله الصيفي في الشمال وكذلك استضافنا أبناؤه في طنجة وفي الرباط. وفي آخر زيارة للوالد في عام 2004 زاره في شفشاون وحضر معه المؤتمر السنوي للإسبان برعاية الشيخ علي الريسوني.

رحمهم الله تعالى جميعا، جمعهم الحب في الله وحب العلم والخير، ونسأل الله أن يرحمهم ويجمعهم معا في عليين.

الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله : ((ذاكرة تتحدى النسيان))

د. محمد البنعيادي

بدايات

كنت في بداية تسعينيات القرن الماضي قد أعددت بحثي للإجازة في موضوع: "المسألة السياسية في فكر مالك بن نبي". وأثناء قراءاتي في الموضوع واستشاراتي مع بعض الأساتذة بجمعية النبراس الثقافية بوجدة، تردّد اسم "الأستاذ عبد السلام الهراس" مقترناً باسم مالك بن نبي(1). وبحكم نشاطي بالجمعية المذكورة التي كانت تؤسس مشروعها الثقافي على كثير من أطروحاته الفكرية، التي انتقلت إلى المغرب عن طريق عبد السلام الهراس. وسأعرف – فيما بعد- أن أستاذي الشاعر والناقد الدكتور حسن الأمراني – حفظه الله- صاحب مشروع "الثقافة البانية" الذي نشر معالمه في الأعداد الأولى من مجلة المشكاة، سأعرف أنه كان من طلبة الأستاذ الهراس الأوائل الذين اصطحبهم إلى الجزائر لحضور ملتقى الفكر الإسلامي(2) الذي كان يستقطب كبار علماء الأمة ومفكريها مثل المرحوم الشيخ محمد الغزالي، والشيخ يوسف القرضاوي، ود. محمد عمارة، ود. عبد الرزاق قسوم، وحتى من خارج الطيف الإسلامي مثل: برهان غليون وغيره من القومين لاحقاً.

في هذا السياق سأتعرف على الشيخ الجليل عبد السلام –رحمه الله- عن بعد، وستأتي فرص لاحقة كان يزور فيها مدينة وجدة لمناقشة بعض الأطروحات الجامعية أو إلقاء بعض المحاضرات لتزداد معرفتي به عن قرب، لكن رغم ذلك فإن قلة فرص اللقاء به لم تسمح بالاستفادة منه ومعرفته كعالم ومربٍّ وداعية. ولكن متابعتي له على صفحات المحجة الغراء كانت حبل "الوصل" الذي ازدادت متانته مع مر الأيام. إذ كانت "بارقة" أول ما أقرؤه كما كان الحال مع "عابر سبيل" للمرحوم فريد الأنصاري على صفحات "الصحوة".

في هذه المرحلة، كان الشيخ المفضل فلواتي (مدير جريدة المحجة) رحمه الله تعالى، يتفضل بنشر بعض محاولاتي الأولى على صفحات "المحجة"، مشجعاً وموجهاً، وكانت فرصة اللقاء تتكرر يوماً بعد يوم مع المرحوم د. عبد السلام عبر هذا المنبر الذي ظل مقاوماً حتى اليوم.

وبشاء الله عز وجل أن أنتقل إلى مدينة فاس في النصف الثاني من سنة 1999م، وهذه المرة، رئيساً لتحرير المحجة، فكانت السانحة للاحتكاك المباشر بتجربة قلّ نظيرها في الوسط الإعلامي الإسلامي، تجربة الأستاذ الهراس، الذي اجتمعت فيه كثير من المميزات التي كان يفتقدها كثير من الدعاة آنذاك، التقيت بتجربة تحكي فصول ميلاد الحركة الإسلامية بالمغرب، كما عاشت كثيراً من فصول الحراك الدعوي والفكري والثقافي في المشرق: في لبنان وسوريا ومصر.. من أهم عناوينها رموز كبار مثل: مالك بن نبي وفتحي يكن وعمر مسقاوي وآخرين كثيرون، كانت ذاكرة الشيخ تسعفه بقوة في أن يستدعيهم بسرعة فائقة، وأحياناً بالتفاصيل، أسماءً وتواريخ، وأماكن و..

حقاً، التقيت أخيراً بالدكتور عبد السلام الهراس: العالم الأريب، والمفكر اللبيب، والداعية الحكيم، والمربي القدوة.. ولا نزكّي على الله أحداً.

اشتغالي بالمحجة كان فرصة بدأت أتلمس من خلالها الطريق إلى عالم الدكتور عبد السلام عبر بوابة "بارقة" التي كانت "حجتي" للقائه والاستمتاع بلحظات يختلط فيها العلم بالتربية والتوجيه والنصح، بل والفكاهة، فلا تراه إلا ضاحكاً بشوشاً3. تحسّ وأنت تجلس إليه كأنك تعرفه منذ زمان بعيد. وكانت طريقته هذه تشجعني على جرأة السؤال، فيأتي الجواب نهراً متدفقاً سلساً يحمل عشرات الأفكار والأسماء والأخبار.

إنها حقا ذاكرة قوية لم تهزمها السنون، ولم تعكّر صفوها مدلهمات الأيام والخطوب. حينها

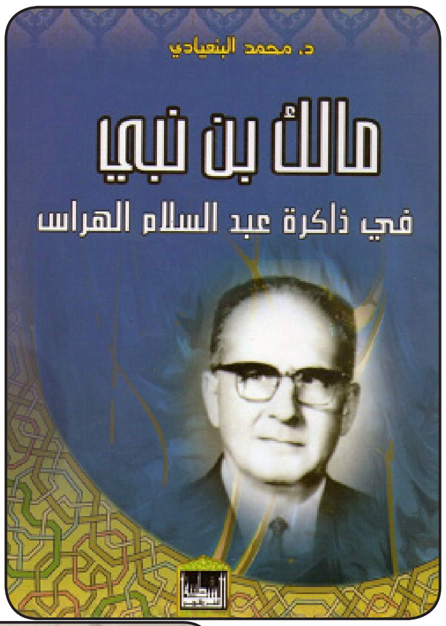

سأكتشف شخصية موسوعية، مَعلمة تنبض بالحياة، جميع أصناف الحياة: الفكرية والدعوية والتربوية والسياسية.

ولذلك فإن هذه الكلمات البسيطة التي أخطها اليوم في حقّه عاجزة عن الإلمام بكل ما يخالج صدري من ودّ وحبّ لهذا الرجل المعطاء، وذاكرتي قاصرة عن استحضار واستدعاء كل الذكريات الجميلة التي يمكن للتلميذ أن يعيشها مع أستاذه، وخاصة إذا كان من طينة هذا العالم العامل. وحسبي هنا الإشارة رغم ضعف العبارة، فاعذروني إخوتي القراء، فلولا أني أستشعر أمانة الشهادة في حق هذا الرجل الذي يعز الزمان بمثله، لما سطرت سطراً واحداً، فأنا أحسّ ببعض التقصير في حقه، لظروف كان يعرف القليل منها، لذلك كله فإن المتأمل في شخصية هذا العالم الكبير يمكنه أن يلحظ ما يلي:

قصة بارقة

كان الأستاذ – رحمه الله- الكاتب الوحيد الذي لم يغب عن صفحات المحجة منذ صدورها حتى زمن قليل قبل وفاته، إذ كان صاحب "بارقة" يطل على القارئ في كل عدد بفكرة جديدة ميزتها تلك الإطلالة الواعية على واقع الأمة، كل الأمة، محللاً تارة، ومؤشراً على خطر محدق أخرى، منذراً تارة ومبشراً أخرى.

ومما يدل على شخصيته الإعلامية الملتزمة إصراره وحرصه على الكتابة حتى في أشد الظروف حرجاً كالسفر والمرض.. فكان يبرق بـ "بارقته" – حتى وهو خارج المغرب- بالفاكس.

"بوارقه" كانت تكتب بعناية فائقة بدءاً من اختيار العنوان وانتهاءً باصطفاء الألفاظ المناسبة في متن "البارقة"، يصاحبها أسلوب عذب سهل سلس، بلغة متينة، حتى صحّ القول إنها رسالة لجميع أصناف القراء، تحمل الأمل وتنشر النور في ليل الأمة البهيم، الذي أحاطت به الخطوب واسودّت به الآفاق لولا "وعد الله" المحتوم، والأقلام المبشّرة ومن بينها قلم أستاذنا الجليل.

ومن كواليس "بارقة" الصغيرة في حجمها، الكبيرة في رسالتها وهدفها، أستحضر بعض الأمثلة التي تعكس مدى الجهد المبذول من قبله وهو في هذه السن من أجل الوفاء بولادة بارقة في وقتها المحدد. فعندما كنت أزوره لأستلم "بارقة" أجد أمامي كل الجرائد اليومية والأسبوعية المحلية والدولية، ناهيك عن أصناف المجلات من كل أنحاء العالم، وفي ذلك دليل على سعة علاقات هذا الرجل، بمختلف المؤسسات العربية والإسلامية والدولية. إنه كمّ من المعلومات يتجول عبرها يتصيّد فكرة بارقته، ويجتبي أفيدها وألصقها بأولويات الأمة.

كما كنت أجد أمامه كماً كبيراً من القصاصات التي يزودني بها قصد استثمارها في صفحة الأخبار التي كنا نخصص لها حيزاً في المحجة. ومما كان يزيد من إعجابي هو

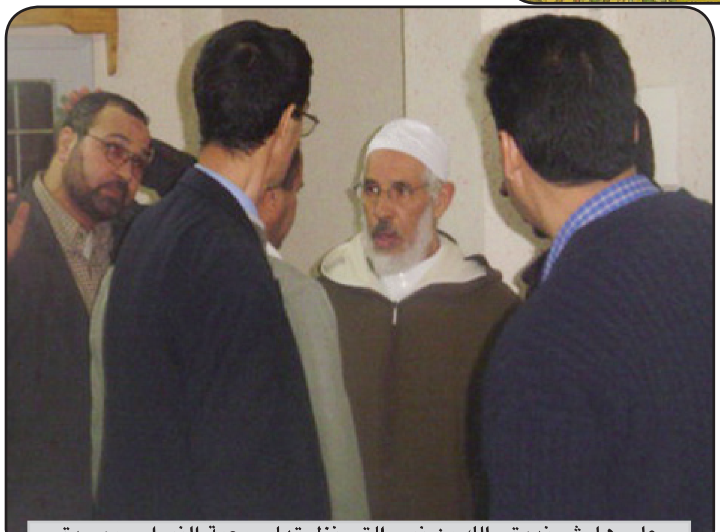

على هامش ندوة مالك بن نبي التي نظمتها جمعية النبراس بوجدة

حسن الاختيار والتنظيم بعناية فائقة. كان رحمه الله يعلم أن الأمة لا تقرأ، لذلك كان يقول لي: "عمّموا هذه الأخبار فإن أمتنا لا تقرأ، ومن يقرأ منها لا قدرة له على المتابعة"، وكنت أخجل من نفسي وأنا الشاب المتحمّس "المهتم" لقضايا الإعلام والفكر. كيف لشيخ مثله يملك كل هذه العزيمة والحيوية في تتبع كل صغيرة وكبيرة، حتى أصبح "مصدري" في المادة "الخبرية" سواء المتعلقة بالجريدة أم بثقافتي الفكرية والإعلامية الذاتية..

ذاكرة تتحدى النسيان:

حينما تجلس بين يدي العلامة عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى تفتح أمامك صفحات ذاكرة التاريخ العربي المعاصر وخاصة تاريخ العمل الإسلامي بتياراته ورجالاته ومحنه وفتنه وابتلاءاته. وتتنقل فصوله بين القاهرة وبيروت ودمشق باعتبارها العواصم العربية "المتحركة سياسيا" وخاصة في النصف الثاني من القرن الماضي.

يحدثك عن حركة الإخوان في مصر ثم سوريا، وحركة المحرومين في جنوب لبنان، وحركة الجماعة الإسلامية في بيروت، شارحاً لمبادئهم، وتقاطعاتهم واختلافاتهم وقياداتهم.. يحدثك عن فتحي يكن صاحب التأصيلات الفكرية الكثيرة في مجالات التنظيمات الدعوية. تنظيرات شكلت كثيراً من عقليات القيادات الإسلامية عبر العالم الإسلامي، بالإضافة إلى محنة سيد قطب وما نتج عنها من "فكر السجون" التي ترك بصمات واضحة على فقه الدعوة والعمل الإسلامي مع بداية السبعينات.

في هذه السن، وهذا العمر المديد، يستدعي عشرات الأسماء من مختلف الجهات الرسمية والحزبية والقومية في العالم العربي، ويستحضر مكان وتاريخ البقاء ومن كان موجوداً معه، وموضوع اللقاء أو المقابلة.

يحدثك عن فرصة عمره التي أتاحت له اللقاء مع أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي (الصورة)، وعبد الصبور شاهين الطالب الذي يعيش على "شغل الترجمة".

يحدثك عن عمالق الصحافة حينها في مصر إحسان عبد القدوس وكبار كتاب "روز اليوسف".

ويحدثك عن المفكر المغمور المهندس الكهربائي البسيط الذي هجر فرنسا نحو القاهرة الأستاذ مالك بن نبي، متنقلا بين إقامات الطلبة العرب يبحث عن مأكل وملبس ومأوى، هذا الرجل الذي كان له أثر كبير على فكر راحلنا العزيز سي عبد السلام، فأعجب به وبفكره الثاقب في زمن الإديولوجيات القومية واليسارية.. إعجابا دفع سي عبد السلام الطالب إلى بيع ساعته اليدوية لتسديد مصاريف طباعة كتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبي أحد أهم أعماله على الإطلاق الذي أسس من خلاله لأهم دعائم النهضة الإسلامية المستقبلية. وقد ترجمه د. عبد الصبور شاهين رحمه الله.

ويحدثك ويحدثك ويحدثك.. إنه معين لا ينضب !!

أحاديث لا تنتهي يمتزج فيها الفكر بالدعوة، والتاريخ بالحاضر..

.. وتمتزج فيها العَبرة بالعِبْرة.

إخواني القراء:

أنا على يقين أن هذه الكلمات "المرتعشة" لا تكفي بحق أستاذي سي عبد السلام عليَّ، ولكنه جهد المقل، الذي لا يحسن الكتابة في فن السيرة أولا، ولا يمتلك الذاكرة القوية التي تسعف على استحضار اللحظات التاريخية المؤثرة، إلا بعد عناء كبير.

رحم الله تعالى حكيم الدعوة الإسلامية في المغرب وأسكنه فسيح جناته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

1 – في نونبر 2005 نظمت الجمعية ندوة دولية بعنوان: مالك بن نبي : مفكر شاهد ومشروع متجدد، بمناسبة الذكرى المائوية لميلاده (1905–2005)، وكان الأستاذ عبد السلام نجمها الأول بحكم سابق علاقته بالأستاذ بن نبي.(الصورة).

2 – انظر في تفصيل ذلك مقدمة د.حسن الأمراني ضمن كتابي من ذكرياتي مع مالك بن نبي: محاورة فكرية مع د.عبد السلام الهراس، وقد طبع ثلاث طبعات: الأولى بالمغرب والثانية بالسعودية والثالثة بالجزائر.

3 – كان له الفضل علي في توجيهي لإصدار أول كتاب لي في فبراير 2002 بعنوان: صورة المرأة في السينما المغربية، وهو عبارة عن مقال مطول كتبته ردا على ملف نشرته جريدة الأحداث المغربية في الموضوع، لكنها امتنعت عن نشره، فنشرته جريدة المحجة قبل أن ألتحق بها، وعندما كتب الله لي اللقاء به، أثنى على هذه الدراسة، وطلب مني جمعها ونشرها مستقلة في كتاب، وقد سررت بذلك كثيرا وخاصة عندما استجاب لطلبي بكتابة تقديم لهذا الكتاب.

المحجة العدد 437

أيام مع الدكتور عبد السلام الهراس

د. إلياس بناني

في الحقيقة لا يعرف من عرف الرجل عن كثب أي النواحي في حياته يمكن أن يتحدث عنها أو يحيط بها، حيث كان الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس الأب الأستاذ المربي والشيخ العالم والمفكر والسياسي الذي يزن الأمور، والوطني الغيور والداعية المفوه والأديب المسقع والعابد المخبت، كان أمة وحده ورجلا في زمن عز فيه الرجال.

عرفت الدكتور عبدالسلام الهراس :

أبـا

حيث كان يعامل كل من يحيط به كوالد حنانا وعطفا نصحا وإرشادا توجيها واعتناء، فكان يسأل عن الأحوال ويستفسر عن أمور العائلة ويبحث في الاحتياجات ويفرح للفرح ويحزن للحزن ويألم للألم. كان يعتبر المحيطين به أبناء له يدللهم أحيانا ويقسو عليهم أحيانا قسوة وعتاب الوالد لأولاده، لأجل مصلحتهم واشتداد عودهم، وفي الوقت نفسه لا تفارق عينيه تلك الحدبة الأبوية فتلحظ لهفته وخوفه على كل من يحيط به. لقد كان معي شخصيا نعم الأب ونعم الوالد حيث عشت في أكناف بيته كواحد من أفراد أسرته أُؤَاكله وأشاربه وأجالسه ونتحدث، وقد آخذ الأهل إلى بيته وكذا الأبناء ويتفقد أحوال أبنائي واحدا واحدا ويلبي الحاجيات تلبية الأب لحاجيات ابنائه. عرفته يزرع في أبنائه من صلبه ومن صلب تربيته علو الهمة والترفع عن الدونية في أبسط الأمور. حتى إنه كان يترجم لنفسه بأب لستة رجال ولا يقول لستة أبناء منذ صغرهم حفظهم الله جميعا، إعلاء لهمة أبنائه من جهة وتعليما لغيره من جهة أخرى. وكثيراً ما كان يأخذ بيدي ونحن في الطريق ويخاطبني ب: يا بني، فتشعر بها كلمة تخرج من أعماق فؤاده مما سيأتي بعدها من النصح والتوجيه. عرفته أبا داخل بيته يستفسر عن أحوال ابنائه يوميا واحدا واحدا ويدعو لهم ويترضى عليهم وكان دائم الانشغال بابنه اسماعيل حفظه الله الذي كان يدرس خارج أرض الوطن وأسمعه يدعو لهم في صلواته وخلواته، وينزلني منه منزلته منه لكوني في مثل سنه.

ولا ينفرد الأب العالم بآرائه فكثيراً ما كان يستشير ربما في أبسط الأمور وإن كان هو خزانا للتجارب والنصائح، وكان كثيراً ما يستشير ابنه بلالا حفظه الله لثقته في صفاء عقله ونقاء سريرته وإخلاصه في قصده. كثيرا ما رأيت ذلك الطود من العلم وهو يداعب أحفاده ويتصابى معهم بل ومع كل صبي ويزرع فيهم حب الدين بأسئلة وكلمات هادية. ولإن أردنا أن نعرف أبوة الأستاذ عبدالسلام الهراس فقد تجلت كالشمس في وضح النهار في سهره على رعاية الأطفال المتخلى عنهم واليتامى والأرامل ورئاسته لجمعية العمل الاجتماعي والثقافي بالمغرب، فكان يسعى بكل ما أوتي لإسعادهم والعناية بهم والأمثلة والشواهد اكثر من أن تحصى حيث يعرفها القاصي والداني.

داعية ومربيا

لا تخفى بصمات الدكتور عبدالسلام الهراس على العمل الاسلامي في المغرب بكل أطيافه حيث يعد أول مؤسس له والأب الروحي له بالمغرب حيث بذر بذرته بمعية الفقيه الحمداوي تربية ودعوة وتعليما وتكوينا ممنهجا وهادفا لبث صحوة دعوية في المجتمع الذي كانت تنخر فيه المذاهب الهدامة من الشيوعية والتحلل والتشدد... بعد أن كان لقرون وعهود متطاولة مسلما بالفطرة. لقد عمل الدكتور الهراس على تنظيم الجهود واستفاد من التجارب في الدول العربية في العمل الدعوي وصاغ تجربة المغرب تجربة رائدة ومثالا يحتذى ثمرات وخريجين. لقد كان الرجل كما حدثني يدعو إلى الله في الشوارع وفي المقاهي وفي كل الأماكن التي يزورها لا يخاف في الله لومة لائم، وشهد بذلك من كان معه ولم يزل الرجل في ذلك الخندق حتى آخر يوم من حياته بلٍ وسيبقى منهجه وفكره يدعو من بعده. وكثيراً ما كان يسألني عن أحوال الشباب ومدى التزامهم بدينهم وعملهم في الحقل الدعوي وعن النوابغ منهم ودعوتهم إلى بيته حيث يجلس ويوجه ويرشد وينصح ويبين ما حقه التقديم في الدعوة وما حقه التأخير ويسوق النماذج من التجارب الدعوية التي استفادها في حياته. ولا أنسى دروسه ومحاضراته ونصائحه بمقر جمعية جماعة الدعوة بالبطحاء وكيف كان يتكلم بكل ثقة ويزرع الأمل في القلوب حتى كنت أسأله عن طريقته الفذة في الكلام وجمع الأفكار مما كان يدهشني ويأخذ بلبي. عرفته داعية مربيا تأتيه وتغشى بيته أفواج من المشتغلين في الحقل الدعوي يسألونه وينهلون من معارفه ويقدرونه قدره ولا أريد أن أسوق الأسماء لكثرتها من مختلف المشارب داخل الوطن وخارجه. وقد كان من دعوته أنه كان يسعى في بناء المساجد ودور القرآن ومراكز التحفيظ ومحو الأمية ويراسل كبار المسؤولين لتيسير المساطر والمشاركة في الخير بشكل لبق وكلمات مؤثرة فلأجل ذلك لم تكن توصد بوجهه باب ولا يمنع عن مقابلته مسؤول. وكثيراً ما كان يتصل بأهل الفضل من الأغنياء والموسرين لقضاء الحوائج والتعاون على العمل الدعوي، ويقول : إننا لن نسع الناس بأموالنا وإنما ينبغي أن نشتغل سماسرة عند الله تعالى نأتي إليه بالزبناء ونأخذ منه سبحانه سمسرتنا. وكان ينفق في هذه الغاية أموالا لا تحصى. لقد كان داعية في محاضراته ولقاءاته ومقالاته التي كانت تنشرها الجريدة المباركة: المحجة وغيرها داخل الوطن وخارجه وفي مشاركاته العلمية في الندوات والمؤتمرات واشرافاته على الطلبة في بحوثهم بل وحتى في تآليفه العلمية وتخصصاته الأدبية والتاريخية، بحاله ومقاله مع أصدقائه وجيرانه وطلبته ومحبيه في المسجد وخارجه ممن كانت بصماته واضحة عليهم، ولقد رأيت الرجل كيف كان يدعو إلى الله وهو على سرير المرض المحيطين به حريصا على بث ما عنده إلى آخر رمق. ودائما ما كان يشيد بجهود الاستاذ الشاهد البوشيخي في ميدان الدعوة ويقول عنه: إنه من نوابغ الأمة وعقله أكبر من مشاريعه ويفتخر أنه كان من طلبته.

كثيراً ما كان يتصل بأهل الفضل من الأغنياء والموسرين لقضاء الحوائج والتعاون على العمل الدعوي، ويقول : إننا لن نسع الناس بأموالنا وإنما ينبغي أن نشتغل سماسرة عند الله تعالى نأتي إليه بالزبناء ونأخذ منه سبحانه سمسرتنا. وكان ينفق في هذه الغاية أموالا لا تحصى.

عالما وأديبا

قلم سيال وأسلوب راق ومواضيع بناءة وخطاب سهل ممتنع وكلمات بليغة مؤثرة وإشارات قاصدة، كذلك كان الدكتور الهراس. على انتاج غزير ترفقه ذاكرة قوية وعارضة ناصعة يستطيع من خلالها استذكار الأحداث بشخصياتها وأماكنها وما رافقها دون أن يخرم منها شيئا، حيث كان يحدثني عن وقائع ترجع إلى عقود متطاولة فيصفها بالشكل الذي يجعلني أعيشها وأراها من خلال سرده وذاكرته فأراها برؤيته وأعيشها بتجربته. كنت قد رتبت له مكتباته التي كان يفتخر بها بما تضمه من النوادر في مختلف التخصصات، وكان يستطيع معرفة كل كتاب ومكانه وموضوعه على ما فيها من آلاف الكتب ويقول إن ثلثي ذاكرته ضاع منه!! وما رأيت أكثر قراءة ولا نهما بالكتب منه حيث كان يصطحب معه في عطلة كل صيف خمسين مجلداً فيرجع وقد أتى على جميعها قراءة. ذلك على تحقيقات علمية لمسائل دقيقة في اللغة والتاريخ والأدب والنقد، ومشاركات في علوم شتى ودراية كبيرة بالمخطوط العربي في مختلف المكتبات العالمية. وكان الرجل ملما باللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة وبيانا ودراية بالشعر وأغراضه ونظمه. ملما باللغة الاسبانية يؤلف ويحاضر بها وترجم عددا من الأعمال منها إلى العربية ولطالما أطلعني على نتاجه المطبوع والمخطوط في ذلك. بالاضافة الى معرفته بالفرنسية والإنجليزية. كان الأستاذ عبدالسلام الهراس على دراية كبيرة بالفقه وأصوله والحديث وعلومه والتفسير ومدارسه يناقش ويحلل ويفرع على تواضع جم حيث يسلم لأهل التخصصات في تخصصاتهم. كان يعرف أقدار الناس ويميز بين العالم وغيره فكنت أسأله عن أسماء معينة كثيرة فإذا قال إن فلانا ليس عالما أو إنه عالم ألفيت الأمر على ما وصف، دون تنقيص من أحد أو اغتياب له. يرفع معنويات كل من يغشى بيته ويثني على الجميع بالخير. وقد حفظت عنه: الكلام مع الكلام لا مع صاحب الكلام احتراما لكل متكلم وتوقيرا للعلم وإنزاله منزلته. لقد كان الرجل لا يقول كل ما يعلم بل حكيما في تبليغ المعلومة ويقول: ابن بناني إنك لم تعرف حتى الساعة ولو واحدا بالألف عني. وإن كنت ألصق الناس به وأشدهم ملازمة له. لقد كان مكتبات تسير على الارض، وساعده على صقل معارفه لقاءاته الكثيرة بالعلماء في أقطار العالم.

عابدا مخبتا

كل من خالط الأستاذ الهراس يعرفه بكثرة العبادة والحرص على الصلاة بالمسجد، حتى إن الحادثة التي وقعت له وقعت وهو في طريقه لصلاة العشاء. كان الرجل كثير الذكر والدعاء والصدقة دون أن يرد سائلا، حتى إنه ربما اقترض حتى لا يرد أحدا. وكانت له ساعة قبل المغرب ينقطع فيها عن تكليم الناس وينشغل بالذكر، وكانت تلك عادة في العبادة معلومة عنه. إلى جانب ذلك كان الرجل مستجاب الدعاء فلا أذكر يوما دعا الله بشيء إلا أعطاه إياه حتى إنه ربما يسأل الله تعالى سيارة تقلنا في ظرف معين فما ينهي كلامه حتى تتوقف سيارة لا نعرف صاحبها يطلب منه أن يقله..... وربما كان يبكي ويقول: ماذا أريد من ربي أكثر من هذا فإنني ما دعوته إلا أعطاني!!! حتى إنه كان يسأل أن يفتح الله له فتحا في القرآن فتكون له نظرات خاصة في آي القرآن أطلعني منها على لطائف وفرائد. يدل ذلك على إخلاص تلمسه في كل أحواله وهضم للنفس وسعي في الخير، وعدم إظهار لما كان يقوم به وعدم تحبيذ أن يدعو له أحد أو يشكره على صنيعه. وكثيراً ما كان يقول: إن الداعية من يعلق الناس بالله لا بشخصه. فكان من جراء ذلك ربما قد يتظاهر بأحوال لا تليق به صرفا للناس عنه مخافة أن يتعلقوا به أو يغلوا في شخصه كشأن الملامتية من الصوفية. فعنصر الإخلاص كان حاضرا ومؤرقا له في كل عمل يعمله. كل ذلك على تعفف شديد وتواضع جم مع كل الناس.

سياسيا وطنيا

وذلك مما لا يمتري فيه أحد من معرفة الدكتور الهراس للشأن السياسي والمعرفة الدقيقة بالأحزاب والجماعات والمذاهب الإسلامية منها وغير الإسلامية. حيث كان يحلل ويبني النتائج على المقدمات ويدرس خلفيات كل فريق ويعطي انطلاقا من ذلك تحليلات تأتي موافقة لواقع الأحداث والظروف التي تمر بها الأمة. فقد عايش الاستاذ الهراس ظروفا سياسية متنوعة -مما كان يحدثني به- داخل الوطن وخارجه، والتقى قادة العمل السياسي بالوطن العربي ومؤسسي الأحزاب وعرف خبايا السياسة والسياسيين ممن كان يحدثني عنهم بأسمائهم وصفاتهم. وكثيراً ما ألفيت غير واحد من هؤلاء يأتيه ويستشيره. لقد عايش المجاهد الكبير محمد بن عبدالكريم الخطابي في منفاه بالقاهرة، وكان يحدثني عن المجاهدين والوطنيين الحقيقيين بمناطق المغرب ممن لم يذكرهم التاريخ ولم يستفيدوا من ثوراتهم وانما استفاد منها قوم آخرون لم يغاروا على الوطن يوما، ويقول شأن الثورات أن يخطط لها العلماء ويقوم بها الشجعان الغيورون ويستفيد منها الجبناء.

لم أشأ أن أضرب الأمثلة وألمّ بجميع جوانب علاقتي بالدكتور الهراس رحمه الله لضيق المقام ولكون الرجل لم يكن يحب الثناء عليه وكان يتوخى الإخلاص في عمله كله، ولكن يكفي أن أقول إنه ما من يوم يمر إلا وأذكره من كثرة ما استفدت منه، لقد أهداني عصارة دهور وأعمار وتجارب في مختلف المجالات. ووضع بصمته على كل من عرفه، ولعل الأوقات تواتي لأجمع عنه كتابا في ذكرياتي معه، وإن كنت أتطلع لأن تخصص رسائل جامعية متخصصة في فكر الرجل وعلمه ويخصص مؤتمر للحديث عنه والاستفادة من تراثه بحيث يتحدث عنه كل من خالطه وعرفه. ويشهد الله أني بكيت على فراقه أكثر من بكائي على فراق والدِي وإن العبرات لتنسكب مع خطي لهذه السطور رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وعن اليتامى والأرامل والمساجد ودور القرآن والمراكز الدعوية في بقاع العالم بما يرفع منزلته ويجمعه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العلاّمة الأستاذ الدكتور «بّا» السي عبد السلام الهراس كما عرفته، رحمه الله..

ذة . نبيلة العزوزي

بناتي

رحم الله أستاذي د/ "بَّا" السي عبد السلام، كان يناديني بـ"بُنْتي" .. وكنت أناديه بأستاذي "ابّا" السي عبد السلام.. كان يشرف -ثلة من الشابات- بقوله : "لم يرزقني الله إلا بالذكور والحمد لله.. وأنتن بناتي".

التقيت بعض "بناته" منذ مدة، طبيبات وداعيات وأديبات وعالمات.. من المغرب الحبيب ومن إسبانيا، خاصة الأندلس... وفي جنازته، التقيت بعض "بناته" أيضا... اكتشفت أنه رحمه الله كان يوصيني الوصية نفسها التي كان يوصيها "بناته" الكثيرات: العلم (في كل المجالات)، التشبث بثوابت مجتمعنا مع الانفتاح على كل الثقافات.. الإسهام في نهضة المجتمع، إذ لا يمكن تغييب المرأة المسلمة عن القيام بواجبها في نهضة الأمة...

كان رحمه الله يحترم المرأة كثيرا ويقدّرها، وينوّه بدورها في قيام الحضارة الإسلامية.. كان يرى أن المجتمع الذي يقصي ويجرّد المرأة من رسالتها الحقيقية لا يمكن أن ينهض.. ولذلك كان لا يترك فرصة في التذكير بقيمة المرأة في الإسلام، ويضرب المثال بمعاملة الرسول ﷺ للمرأة واسْتيصاؤه بها خيرا.. كان شعاره -رحمه الله- معنا "رفقا بالقوارير"، وأعتقد أن هذه الخصال هي التي شجعت أوربيات أن يعتنقن الإسلام على يديه...

كم كنت أستحيي منه حين كان يستشيرني بعطف أبوي.. كان يسمع لي أكثر مما يتكلم وكأنه هو التلميذ وأنا الأستاذة... كان لا يُغضبه إلا أمران : دينه، ووطنيته.. كان الرجل لا يعرف معنى للتنازل في أمر ديني، ولا يعرف السكوت عن إحقاق حق أو إنكار باطل.. كما لا يعرف معنى للتنازل أو مجرد السكوت عن أمر لا يخدم وطنه.. تلك الوطنية التي تشربها منذ نعومة أظفاره حتى امتزجت بدمه.. كيف وقد ولد وعاش شبابه أيام الاحتلال وتربى على مبادئ الوطنية؟! . وكيف وقد عايش في مصر -حين كان طالبا هناك- المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمهما الله؟!

رأيته رحمه الله أول مرة بكلية الآداب بفاس في أبريل 2004، في الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي ... بعد ذلك، فوجئت بقلمه السيّال يشيد بكتاباتي المتواضعة على صفحات جريدة المحجة الغرّاء.. حصلت على رقم هاتفه من إدارة الجريدة واتصلت به أشكره.. أخجلني رحمه الله بشكره وتشجيعه ودعائه.. فوجئ حين خاطبته بلكنتي الشمالية، وكان يظن أنني من فاس، سألني رحمه الله: "بنْتي، أنت من...؟! ماذا يقرب لك فلان وفلان وفلانة...؟! " اكتشفت حينها أن أستاذنا رحمه الله نسّاب يعرف شجرة عائلتي، كما يعرف كل أسماء وأصول العائلات بالشمال والأندلس ...!

أهديته نسخة من مجموعتي القصصية "وللتراب عشق آخر" في 2006 ، وبعد مدة وجيزة، توصلت برسالة من فضيلته -مكتوبة بخط يده- يشكرني فيها ويشجعني بعد أن قرأ كتابي المتواضع.. وعقب على بعض الأحداث الخاصة بالمقاومة المغربية.. أي تواضع هذا من عالم جليل يبعث لي رسالة شكرا فورا بعد توصله بهديتي...؟!

ملتقى التعريف بالحضارة الإسلامية بشفشاون :

تلقيت من فضيلته دعوة كريمة لحضور ملتقى التعريف بالحضارة الإسلامية بشفشاون، الذي كان ينظمه بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية بشفشاون في شخص رئيسها الأستاذ علي الريسوني حفظه الله... وذلك خلال رجب 1427. العشر الأوائل من شهر غشت 2006 .

كلّفني رحمه الله بالمشاركة بمحاضرة اخترت لها عنوان "ومضات من معاملة الرسول ﷺ للمرأة"، هبّ واقفا رحمه الله حين لم تعجبه الترجمة الفورية التي قام بها شخص من العربية إلى الإسبانية، ووقف بجانبي على المنصّة، وتولّى الترجمة بنفسه .. وبقي واقفا مدة طويلة يترجم الحوار والمناقشة بيني وبين الحضور الإسباني، ويعقب ويوضح بخفة روحه...!

شعرت حينها أنه رحمه الله بمثابة سفير للتعريف بهذا الدين العظيم وحضارته الشمّاء.. يدعو إلى الله بالتي هي أحسن.. ييسر ولا يعسّر.. يبشّر ولا ينفر.. يحاور ويوضح ويقنع ويعارض بأدب جم.. يحترم الديانات الأخرى.. متبحر في معرفتها.. لا يتعصّب لرأيه.. حضرت معه مرارا جلساته العلمية مع معتنقي ديانات أخرى.. وما رأيته إلا رفيقا رحيما بشوشا.. أسلم على يديه كثيرون وكثيرات.. كان داعية في صمت...!

لمست صبره وحِلْمه رحمه الله.. لمست ثقافته وسعة آفاقه .. لمست تواضعه الشامخ وطيب خلقه وسموه.. لمست أبوته ورفقه وحِلْمه.. كان اجتماعيا يملك قدرة فائقة للتواصل مع كل الفئات : كان يحاور ويلاعب أطفال المسلمين والمسيحيين الأوربيين والمغاربة على السواء بطريقة عجيبة.. كلما أقبل عليهم، كانوا يتسابقون نحوه.. كان ينصت للشباب ويشاركهم همومهم وأحلامهم، يضرب لهم المثل من سيرة الحبيب المصطفى ﷺ.. يذكّرهم بسيرة حياته وما كابده في سبيل طلب العلم.. يوصيهم بالتربية الإيمانية للنفس، وفي مقدمتها الصلاة.. كان يتحاور مع النساء -مسلمات أوربيات ومسيحيات- ويجيب عن كل تساؤلاتهن برحابة صدر...

لمست سخاءه وجوده في سبيل الله.. عرفت فيما بعد أنه كان رحمه الله بمثابة الأب للطلبة المحتاجين.. ولذلك كانوا ينادونه بالأستاذ "ابّا" السي عبد السلام.. وكان بيته العامر بفاس ومكتبته الخاصة مفتوحين يحتضنان الباحثين الوافدين من بعيد..

كما عرفت أنه كان يكفل اليتامى والأرامل.. أخبرتني زوجه الكريمة مرة أنها كانت تدير جمعية في بيتها، لتعليم الخياطة والطرز للأرامل ومنحهن آلة للخياطة ليعملن بكرامة...

توالت مشاركاتي في دورات أخرى بشفشاون للتعريف بالحضارة الإسلامية، كان المرض قد أعجز أستاذنا رحمه الله عن الحضور، فكان يتصل بي هاتفيا بين الفينة والأخرى من بيته الصيفي في اسطيحات (نواحي الشاون)، ليطمئن على السير التنظيمي للملتقى.. وأول ما كان يركز عليه رحمه الله الصلاة في وقتها جماعة .. كان يقول لي: "يا بنتي إذا حضر وقت الصلاة، أوقفوا كل أنشطة الدراسة، كلفوا أحد الشبان الأوربيين المسلمين بالآذان ثم الصلاة جماعة.."، كان لا يفتر بتذكيرنا أن نكون خير سفراء للتعريف بحضارتنا الإسلامية وأصالة ثقافتنا المغربية...

هذه الدورات، كانت تعرف أنشطة مكثفة: محاضرات باللغتين: الإسبانية والعربية (مع الترجمة الفورية) حول الحضارة الإسلامية، حوارات مفتوحة حول الموضوع، دروس مكثفة في تعلم اللغة العربية الفصحى كتابة وقراءة وتعبيرا شفهيا، تحفيظ قصار السور القرآنية، رحلات في المنطقة.. وتختتم الدورة بحفل يُقام على مسرح الهواء الطلق بالقصبة الأثرية بالشاون، يُسلّم خلاله المشاركون شهادات تقديرية ومصحفا باللغتين العربية والإسبانية ...

شرفني أستاذنا د" ابّا" السي عبد السلام الهراس رحمه بدعوتي لحضور هذه الدورات المباركة.. كما شرّفني بكتابة تقديم لكتابي -من وحي أول دورة حضرتها- حول قصص إسلام غربيات، الموسوم ب" غربيات على درب النور: كيف ولماذا أسلمن؟".. اكتشفت حينها أنه رحمه الله ليس "أبا روحيا" لنا -نحن المغربيات والمغاربة- بل أيضا أب روحي لمسلمات ومسلمين غربيين -خاصة من إسبانيا- من النخبة المثقفة...

مشاركاتي المتواضعة في تلك الدورات طبعت مساري ببصمة قوية.. كانت مدرسة لي، تتلمذت فيها على يديه الكريمتين.. وبالمناسبة، أوجه ندائي إلى مؤرخ شفشاون الأستاذ علي الريسوني أن يواصل تنظيم تلك الدورات المباركة بعد رحيل رفيق دربه وأستاذنا جميعا د/ " ابّا" السي عبد السلام الهراس رحمه الله.. ابن شفشاون البارّ الذي مثلها خير تمثيل...

أخبرته مرة أني شرعت في كتابة رواية عن المقاومة بالشمال، خاصة مقاومة النساء، فرحّب بالفكرة، وكان كل مرة يسرد علي شهاداته حول أحداث المقاومة بالشمال، إذ أمدّني بأحداث مفصلة وبأسماء نساء مقاومات من مختلف قبائل الشمال.. أنهيت الرواية بعد سنوات وصدرت ولله الحمد -رواية " الدَّار الخاليّة"-، افتتحتها بإهدائي إليه.. زرته بفاس وأهديته نسخة منها رحمه الله.. لكن شاء الله عز وجل ألا يقرأها.. فقد اشتد عليه المرض إلى أن لقي ربه رحمه الله وأحسن إليه...

كنت أزوره ببيته العامر بفاس كلما سنحت لي ظروفي، أثناء زيارتي له نهاية ربيع العام الماضي يوم أحد، تناولت الغذاء معه وحرمه المصون.. حكى لي طويلا عن دراسته في مصر.. ومناقشته للدكتوراه بجامعة مدريد.. عن عمله وأسفاره العلمية الكثيرة.. عن هموم الأمة الإسلامية... غير أنه في آخر زيارة له رحمه الله، قبيل وفاته، وجدته مريضا مرضا شديدا.. لم أسمع منه إلا كلاما مقتضبا مع ابتسامته: "لا باسْ آبنْتي؟ كيفْ انْتينْ؟ الله يرضي اعْليكْ!"

انطفأت منارة شامخة من منارات العلم والدعوة بهذه الأمة.. بعد حياة حافلة في خدمة العلم والإسلام والوطن... انطفأت، لكن نور علمها ما يزال يشع بيننا.. ترك رحمه الله لنا إرثا فكريا، كلنا مسؤولون عنه: تعريفا ودراسة ونشرا...

رحمك الله أستاذنا الدكتور "ابّا" السي عبد السلام، وجعل علمك وذريتك وتلاميذك وتلميذاتك صدقة جارية عليك، وجزاك الله عنا خيرالجزاء، وأضرع إلى أرحم الراحمين : كما جمعنا في الدنيا، أن يجمعنا جميعا -برحمته- في الفردوس الأعلى مع سيدنا محمد ﷺ...

عزاؤنا في الله واحد لأهله وذويه ومحبيه...

ولا نقول إلا ما يرضي الرب، والحمد لله..

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لمست صبره وحِلْمه رحمه الله.. لمست ثقافته وسعة آفاقه .. لمست تواضعه الشامخ وطيب خلقه وسموه.. لمست أبوته ورفقه وحِلْمه.. كان اجتماعيا يملك قدرة فائقة للتواصل مع كل الفئات: كان يحاور ويلاعب أطفال المسلمين والمسيحيين الأوربيين والمغاربة على السواء بطريقة عجيبة.. كلما أقبل عليهم، كانوا يتسابقون نحوه.. كان ينصت للشباب ويشاركهم همومهم وأحلامهم، يضرب لهم المثل من سيرة الحبيب المصطفى ﷺ

عبد السلام الهراس وعلي الريسوني والحاج محمد الزكاري في الدورة التكوينية للتعريف بالحضارة الإسلامية للمسلمين الجدد بشفشاون سنة 2006م

عبد السلام الهراس مفكرا ومحققا

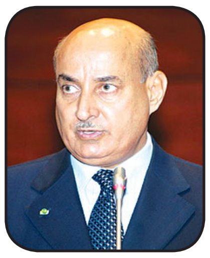

هراسُ من للعلم يرفع شأنه في منبر أو ساحة الميدان
أقطاب علم قد ظفرت بصحبهم في الشام في مصر وفي لبنان
من مالك بن نبي أخذت طريقة في الفكر والتحلّيل للقرآن
وثراء علمك ما يزال له صدى في القلب موقعه وفي الآذان
وبلاغة الفصحى بلغت بيانها تختار منها أعذب الألحان
هراس من للدين يحمل مشعلا يعلو به ويطوف في البلدان
ادخل جنانا كم رجوت دخولها فرجاء مثلك في أعز مكان
قد نلتها بالفيض من خلاقها هو ذا العطاء برحمة الرحمان

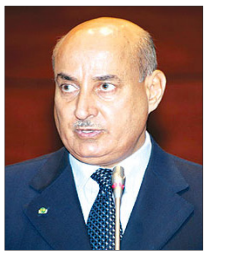

الدكتور عبد السلام الهراس العالم حامل الرسالة الحضارية

د عبد العزيز التويجري(×)

تقوم نهضة الأمم على أساس من جهود علمائها الأفذاذ، الذين يتميزون بسجايا الخلق الرفيع، وبخصال العمل المخلص والإنتاج الغزير والعطاء المبدع في المجالات التي يتخصصون فيها. فالعلماء هم بناة النهضة في جميع العصور، وصانعو الأجيال، وأقطاب الفكر وأرباب العلم، والماهدون الرواد حاملو رسالة الإصلاح والتغيير والتحديث وتجديد البناء الحضاري.

ولقد كان الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، يرحمه الله، من جملة هذه الصفوة الكريمة من العلماء البناة للنهضة حاملي مشاعل الانبعاث والتحرر من رواسب التخلف وكوابح التراجع ودواعي السقوط وأسباب الانهيار. فلقد كان قطبًا من أقطاب الجامعة المغربية، وأستاذاً لأجيال تخرجت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في فاس، ومفكرًا رائدًا، راجح العقل، نافذ البصيرة، نقي السريرة، بعيد الرؤية، غزير المعرفة، له بصماته في تطور الفكر الإسلامي المعاصر، من خلال مؤلفاته وأبحاثه ودراساته ومقالاته العديدة، التي كان له السبق من خلالها، في التعريف، في وقت مبكر، بالمدرسة الفكرية المستنيرة للمفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي، يرحمه الله، الذي كان أستاذاً له في الحياة والفكر، حينما تعرف إليه لما كان طالبًا في دار العلوم، وكان بن نبي مقيمًا في القاهرة أثناء الثورة الجزائرية التي كانت مشتعلة آنذاك، تدك حصون الاستعمار، وتمهد للفجر الجديد.

ولذلك فقد المغرب والعالم الإسلامي بوفاة الدكتور الهراس عالمًا فاضلاً وداعيًا كبيرًا، قضى جل حياته في طلب العلم والتدريس والتأليف، وعمل على نشر تعاليم الإسلام السمحة والدعوة إليه، بمنهج وسطي وبالحكمة والموعظة الحسنة، وتخرج على يديه العديد من الطلاب، وتعرّف كثير من غير المسلمين على الإسلام من خلال جهوده الكبيرة في الدعوة وتبيان رسالة الإسلام وقيمه ومبادئه. وله في هذا المجال جولات تحسب له، خدم فيها الإسلام في صمت، بعيدًا عن الجلبة والضجيج، محتسبًا عمله الذي كان ينهض به، لله رب العالمين. فكان في صنيعه هذا رجل الدعوة الحكيم، وحامل لواء التنوير الإسلامي، وصاحب الرسالة الحضارية الإنسانية.

عاش فقيدنا في النصف الثاني من القرن العشرين، وسط أمواج عاتية كانت تعصف بالعالم الإسلامي، وعَاصَرَ التحولات الفكرية الكبرى التي كانت وراء شيوع ضروب من الغزو الفكري الذي هبت جحافله على دنيا العرب والمسلمين، وكادت أن تقتلع ركائز الإيمان في نفوس الأجيال الصاعدة، لولا نفر طيب من العلماء والمفكرين والدعاة المخلصين، الذين قاموا بالواجب المنوط بهم، فتصدوا للمدّ الثقافي الكاسح، ووقفوا في وجه الغارة على العالم الإسلامي، بجهودهم المخلصة الدؤوب التي بذلوها في سخاء، وبأفكارهم النيّرة المرشدة إلى معالم الطريق نحو النجاة من الوقوع في مهاوي الانحراف والضياع والتيه، وبما أبدعوه وأنتجوه وصنفوه من كتب كانت رائدة في مجالها، نشرت الوعي الإسلامي الرشيد، ودحضت الشبهات المغرضة، وردت على الأباطيل الرائجة وفنّدتها وأظهرت تهافتها وتناقضاتها مع الحقائق الثابتة، وبما نهضوا به من مهام علمية ومسؤوليات أكاديمية في أروقة العلم والمعرفة، من المدارس والمعاهد والجامعات. فكانوا - بحق - جنودًا للحق، قادوا كتائب الذود عن الإسلام بالمعرفة والعلم، وبالحكمة والحِلم، وبالثبات على المبادئ، وبالصمود الفكري والمَناعة الثقافية، وقبل هذا وذاك، بالإخلاص لله سبحانه وتعالى وبالتفاني في العمل لوجهه الكريم.

وكان فقيدنا في المقدمة من هؤلاء العلماء العاملين الثابتين على الحق، والمفكرين الصامدين المناضلين بالقلم وبالكلمة الحرة، وبالتوجيه الحكيم وبالتربية البانية للعقول. فهو ينتمي إلى تلك المدرسة المتميزة التي جمعت بين أعلام الفكر الإسلامي على صعيد واحد، على تعدد مناهجهم، وتنوع مشاربهم، واختلاف أساليبهم. ولئن كان عطاؤه في مجال التأليف والنشر أقل مما كان يستطيع أن ينتجه، فلأنه كان يبني العقول في الجامعة، ويصنع الأجيال على عينه، أستاذاً موجهًا، ومربيًا مرشدًا، وناصحًا هاديًا، وأبًا حنونًا يفتح قلبه لطلاب العلم وشداة المعرفة. فكثر تلامذته وطلابه، واتسعت مجالات العمل الذي كان يقوم به، سواء في جامعته، أو في الجامعات الأخرى التي كان ينتدب للتدريس فيها، أو يُدعى لإلقاء المحاضرات وللمشاركة في المؤتمرات. ويعدّ الطلاب الذين درسوا عليه وتتلمذوا له بالآلاف ينتشرون في المغرب والمشرق، ويحملون الرسالة الحضارية الإسلامية التي كان هو من طليعة حامليها.

لئن كان عطاؤه في مجال التأليف والنشر أقل مما كان يستطيع أن ينتجه، فلأنه كان يبني العقول في الجامعة، ويصنع الأجيال على عينه، أستاذاً موجهًا، ومربيًا مرشدًا، وناصحًا هاديًا، وأبًا حنونًا

كان أستاذاً في علوم اللغة والأدب، وفي التراث العربي الإسلامي، ومفكرًا مشاركًا في بناء الفكر الإسلامي المعاصر، وفي صياغة المشروع الحضاري الإسلامي. وكان كاتبًا ومؤلفًا واسع الاطلاع على فروع الثقافة العربية الإسلامية، وبخاصة في حقل الأدب الأندلسي، وباحثًا يمتلك منهجًا علميًا كان يرتاد به الآفاق، وكان داعيًا يقدم نموذجًا متميزًا للدعاة ذوي الرسالة الذين لهم الكلمة المؤثرة، والموقف الثابت، والعطاء الذي ينفع الناس. ولم تكن إحدى هذه الصفات التي كان يمتاز بها، لتطغى على غيرها، وإنما كانت جميعها تشكل الإطار العام لشخصيته الفذة التي تبعث على الاحترام. لأنه **كان حاملاً للرسالة الحضارية، داعيًا إلى نشرها والعمل بمقتضاها في حياة المسلمين، صادعًا بالحق، ولكن في حكمة وتبصّر، وقراءة للمآلات ومراعاة للأولويات، وفي أناة وسكينة، مراعيًا لمقام العالم، محافظًا على سمته، عاملاً من أجل تجديد نهضة الإسلام ونهوض الأمة. وبفقده هوى نجمٌ ساطعٌ وغاب علمٌ نابغٌ، في زمنٍ الأمةُ أحوجُ ما تكون إلى أمثاله**. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وجزاه خير الجزاء على ما قدّم من عملٍ صالحٍ وعلمٍ نافعٍ.

(*) المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-

الجهاد الفكري والاجتماعي للدكتور عبد السلام الهراس

ذ. محمد الدكالي

تميزت حياته رحمه الله بغنى وتنوع فريد في مجالات العمل الإسلامي.. فقد تنوعت إسهاماته في بناء مشاريع التجديد الإسلامي بين العمل الدعوي العام، والعمل التربوي، والعمل الثقافي والفكري والعمل المجتمعي. كان علما متعدد القمم.

و لفهم أفضل للأدوار التي قام بها د.عبد السلام الهراس، يتعين فهم السياقات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي سادت المغرب وفي عموم العالم العربي خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فإذا كانت إيديولوجيا القومية العربية هي الأكثر انتشارا في المشرق العربي مع صعود للإيديولوجيا الشيوعية متقطع، كانت هذه الأخيرة في المغرب تنمو بسرعة في الثانويات والجامعات أساسا وتصوغ أجيالا من النخب اليسارية، آلت على نفسها إحلال النظام الاشتراكي بأسسه الماركسية على مستوى الدولة والمجتمع، وتقويض النظام السياسي في المغرب ومعه الإسلام كنظام اجتماعي وثقافي. لقد تعلق الأمر بمرحلة خطيرة من تاريخ التدافع السياسي والاجتماعي والثقافي في بلدنا. في هذا السياق العام، جاءت مساهمات الدكتور عبد السلام الهراس.

من جهاد طلب العلم إلى الجهاد الفكري:

ساح الرجل لسنوات في رحلة دراسية واستكشافية في مصر وسورية ولبنان، وبعودته إلى بلده أدرك المخاطر الكبيرة التي تهدد الهوية الحضارية للمغرب من خلال المدّ الشيوعي، الذي بدأ يكتسح صفوف الأجيال الناشئة على يد نخبة تمّ إعدادها لهذا الغرض، وأحزاب وتنظيمات علنية وسرية وجمعيات وسفارات أجنبية ومراكز متخصصة داخل المغرب وخارجه.. في الجامعات والثانويات، مع حركة ثقافية يسارية جدّ نشطة مدعومة بمنظومة كاملة من المطابع والإصدارات والجرائد والكتب والمجلات..

أدرك الرجل في ذلك الوقت المبكّر، أن أمام النخبة الإسلامية المغربية، العلماء والمثقفون، مهمة كبيرة تاريخية، إذ، بكل بساطة، كان الإسلام هو المستهدف. أسهم في تأسيس وبناء حراك دعوي تربوي فكري واجتماعي نشط، ليس لمواجهة اليسار كهدف أساس، بل لأن الرجل أدرك أن التحدي يأتي من داخل الأمة التي ضربتها أدواء الوهن والجهل بالدّين.. وأن خطر إيديولوجيا الهدم الثقافي والمجتمعي والأخلاقي إنما يتغذى ويستفيد من تفشي تلك الأدواء في المجتمع المغربي.

جهاد فكري و مجتمعي :

بعد عودته إلى المغرب و التحاقه بالجامعة للتدريس في تطوان وثم في فاس، وبحكم اطلاعه الواسع على الثقافة والفكر الإسلامي المعاصرين ومعرفته الوثيقة برموز الثقافة الإسلامية والعمل الإسلامي في مصر والشام فضلا عن تشبّعه بمصادر الثقافة الإسلامية المغربية الأصيلة، شرع في العمل الدؤوب الذي لم يهدأ أو يفتر إلى أن فارق الحياة.

لقد أدرك الرجل كذلك أن التحدى يكمن على مستويين، الأول هو معالجة الضمور الشديد في الوعي بجوهر الإسلام وتمثّله عقيدة سليمة وقيما هادية وسلوكا حاكما في المجتمع، والتصدي بالإسهام في معالجة أدواء الفقر والحاجة في أوساط المحرومين المستضعفين المهمشين، فكان جهاده رحمه الله في مجالين كبيرين : التربية والتوجيه ونشر الفكر الإسلامي الوسطي، ثمّ العمل المجتمعي عبر مؤسسات العمل التطوعي.

وهنا يتعين إدراك أهمية وقيمة الطابع التأسيسي لأعمال وأدوار أستاذنا الراحل، في المجالين المذكورين، وليس من أسّس كمن أسهم لاحقا ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى﴾.

ومن حسناته المتميزة، في مجالات الجهاد الفكري والثقافي لإعادة الاعتبار لمفهوم وحدة الأمة، صلته المتينة بمفكر الغرب الإسلامي المعاصر مالك بن نبي عليه الرحمة والرضوان، وفضله في التعريف بفكره في المشرق العربي وترجمة مؤلفاته ونشرها، ودوره المتميز في تعزيز وخدمة المشروع المغاربي وتمتين عرى الأخوة والتعاون مع الإخوة الجزائريين والتونسيين والليبيين من أصحاب الفكرة الإسلامية، وكانت له في هذه البلدان صداقات وتعاون وصلات متينة مع الرموز التاريخية كالشيخ عباسي مدني وراشد الغنوشي الذي يشهد لأستاذنا عبد السلام الهراس بفضله في التوجيه و الترشيد، كما كان مساهما نشيطا في ملتقى الفكر الإسلامي بتيزي وزو الذي مثّل معلمة بارزة للفكر الإسلامي المعاصر ولم يكن له نظير أو سميّ في العالم العربي..

وهذا جانب مهم جدا في حياة أستاذنا الراحل يتعين الاهتمام به وتوثيقه وتقييم آثاره ونتائجه، ليس من باب التأريخ فقط، ولكن للتأسي به والبناء عليه لخدمة المشروع المغاربي واستفراغ الجهد لإعادة الاعتبار له، وهي مسؤولية جسيمة ملقاة على أبنائه واستكمال بنائه وتحقيقه على الأرض.

رحم الله أستاذنا رحمة واسعة وجزاه الله عن الملّة والأمة كل خير.

رحيل الحامل لهموم النهضة الدكتور عبد السلام الهراس

د. الطيب برغوث

صورة من مؤتمر عن مالك بن نبي في الجزائر في أقصى اليسار د. عمر مسقاوي وبجانبه د. الهراس

مقوم النهضة الحضارية محك المعايرة للرجال والأفكار:

يشكل الوعي بهموم النهضة الحضارية للمجتمع، إحدى أهم ركائز المواطنة الصالحة من ناحية، كما يعتبر إحدى أهم مؤشرات النضج الفكري والروحي والأخلاقي لدى الإنسان من ناحية أخرى، وسببا مهما من أسباب المكانة الاجتماعية المرموقة التي يحتلها الإنسان في مجتمعه من ناحية ثالثة، وعاملا مهما من عوامل خلود ذكر صاحبه بعد رحيله عن هذه الدنيا من ناحية رابعة.

فالمجتمعات تحتل مكانتها في خضم معتركات المدافعة والمداولة الحضارية، بقدر ما تنجح في تحقيق نهضتها الحضارية، التي تلبي حاجات تطورها المتوازن، وتحافظ على أمنها الثقافي والاجتماعي والحضاري، وتحميه من المضاعفات السلبية لهذه المدافعة والمداولة الحضارية المهيمنة على حركة الوجود البشري في الأرض بشكل مطرد.

ولهذا صدق من اعتبر مشكلة أي مجتمع في التاريخ، هي مشكلة نهضته الحضارية؛ أي هل هو في حالة نهضة ومداولة حضارية صاعدة؟ وكيف يحافظ على تجدُّدها وديمومتها؟ أم هو في حالة تبعية ومداولة حضارية متقهقرة؟ وكيف يوفر شروط نهضته ومبارحته لمستنقعات التخلف والاستضعاف والتبعية؟ وهل يتمحور وعي نخبه الفكرية والسياسية والاجتماعية حول مشكلات نهضته الحضارية ؟ أم حول مشكلات ثانوية ذاتية أو فئوية أو جهوية أو طبقية.. إلى غير ذلك من الاهتمامات والأولويات المضادة لوعي النهضة وشروطها الموضوعية ؟

إن المجتمعات التي يتمحور فيها هم واهتمام نخبها الفكرية والسياسية والاجتماعية حول نهضتها الحضارية، ويتمركز حول شروط هذه النهضة، هي مجتمعات تمتلك أُسَّ مقومات وشروط النهضة. أما المجتمعات التي يتبعثر اهتمام وهم نخبها في ساحات ثانوية شتى، فإنها مجتمعات لا تمتلك مقومات وشروط النهضة الحضارية، وإن كانت غنية بالطاقات البشرية، والموارد المادية، والمحفزات النفسية والمعنوية. لأن النهضة يصنعها إنسان يحمل في روحه وفكره وسلوكه وحياته روح النهضة ووعيها السنني المتكامل. فالنهضة ثقافة سننية متكاملة يحملها المجتمع في ذاكرته الجماعية، ويتحرك على هديها نحو أهدافه بشكل مطرد. لذلك فإن القاعدة العامة التي تزودنا بها الدراسة المستوعبة لحركة التاريخ هي أن "الثقافة السننية هي طريق النهضة الحضارية ".

الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس في ضوء محك مقوم النهضة الحضارية:

هذه الخلاصة استوحيتها مما استخلصته من حياة الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله، الذي كان بحق مسكونا بهموم النهضة الحضارية للمجتمع والأمة وشروطها السننية، يحملها معه في نومه ويقظته، وفي حله وترحاله، وشبابه وكهولته وشيخوخته، يبشر بها، ويحرِّض عليها، ويغرس بذورها في نفوس الأجيال، وينمي وعيهم بشروطها وسننها أينما حل. ولذلك يستحق بجدارة، أن يدرج في عداد الرواد الرساليين الحقيقيين للنهضة الحضارية للمجتمع والأمة. ويكفيه شرفا ومجدا وحجة أمام الله تعالى وأمام أجيال الأمة المعاصرة له والتالية له، أنه عاش بروح النهضة وثقافتها ووعيها وأخلاقياتها طيلة حياته، وهو ما يتميز به كل وطني رسالي وعى رسالته في الحياة، وسخر نفسه لها حتى لقي ربه وهو على ذلك، لم يغير ولم يبدل، بالرغم من دقة وجاذبية الأوضاع التي مرَّ بها في حياته.

الشيخ عبد السلام الهراس الجسر المتعدد الأبعاد:

وبحسب معرفتي به ومتابعتي لنشاطه، فإنني أستطيع أن أقول بأن الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس شكل جسرا فكريا وحركيا هاما عبرت عليه أجيال كثيرة في المغرب المحلي، والمغرب الكبير، والعالم العربي الواسع، نحو فكر النهضة وشروطها، وفكر الصحوة ورشدها، وفكر الدعوة وأخلاقيتها، وفكر التواصل الاجتماعي ومقتضياته، وفكر الصراع الفكري وآلياته، وفكر الانفتاح على المخالفين والمغايرين بل والمخاصمين وضروراته وحدوده، وفكر الموازنة بين مصالح الدعوة والدولة والمجتمع والأمة والعالم وضوابطه، وفكر القطري والقومي والإسلامي والعالمي وثوابته، وفكر الدنيوية والأخروية، وفكر الفردية والجماعية ومستلزماته، وفكر الأصالة والمعاصرة، وفكر الثوابت والمتغيرات وضوابطه، وفكر الهوية والمثاقفة.. إلى ما هنالك من المعادلات الحرجة التي تكسرت عليها جهود كثير من الأفراد والحركات بل والدول والمجتمعات، حينما عجزت عن الإمساك بجوهر الفقه والوعي السنني التكاملي المكين، الذي يعطيها القدرة على إبصار المصالح الحقيقية، والموازنة والتمييز بين الأولويات الآجلة والعاجلة، واستشراف المآلات ومراعاتها في بناء المواقف والتصرفات والمبادرات والعلاقات. لقد كان رحمه الله يراعي القاعدة المنهجية والسلوكية أو الحركية الذهبية "لا تكن لينا فتعصر، ولا تكن يابسا فتكسر"، فكان يقارب ويسدد بحكمة وتؤدة ورفق، متمثلا قول النبي عليه الصلاة والسلام، كما في البخاري: «إن الدينَ يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ من الدُّلْجَة» .

الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس وفعالية المواءمة بين الأبعاد العصية:

إن من عرف الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس عن قرب، يدرك مدى القدرة التي أوتيها في مجال المواءمة بين كل هذه الأبعاد والمعطيات التي تبدو عصية على المواءمة فيما بينها، وهي كذلك حقا! ولكن الوعي والتجربة والخبرة وسعة الأفق، ونفاذ البصيرة التي توفر عليها الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس، مكنته من استيعاب كل هذه الأبعاد والمعطيات العصية، والقدرة على المواءمة بينها في تفكيره وسلوكه ومواقفه وعلاقاته، وسبكها جميعا فيما يمكن اعتباره منظومة هرَّاسية في فقه الدعوة والنهضة وشروطهما، الذي أخذ الكثير من مفاتيحه المنهجية والفكرية من أستاذه الكبير مالك بن نبي رحمه الله، وغيره من أساطين الفكر والأدب والدعوة والتربية والسياسة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

إن سعة وتنوع المجال الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي، الذي تحركت ونمت فيه تجربة وخبرة وصلات الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس، ساعده كثيرا على اتساع أفقه الفكري، واستواء مسلكه المنهجي والتحامه بآفاق الوعي السنني الذي أعانه فعلا على أن يكون جسرا بين أجيال الفكر والسياسة، وأجيال الدعوة والإصلاح، وأجيال الأصالة والمعاصرة، وأجيال المشرق والمغرب، وأجيال الكهول والشباب، بالرغم من قلة تآليفه المنشورة وخاصة في مجال الفكر الثقافي والحركي المباشر، مقارنة بغيره، وتمنيت شخصيا لو أنه كتب الكثير من تجاربه وخبراته في مجال الفكر والدعوة والتربية والإصلاح الاجتماعي والسياسي خاصة.

الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس ونموذج المفكر والداعية المتوازن:

لقد كان رحمه الله طرازا جديدا من المفكرين والدعاة، تجاوز إشكالية ثنائية الأصالة المنافرة للمعاصرة أو الحداثة، والحداثة أو المعاصرة المنافرة للأصالة، وفلتَ من صراعاتها واهتلاكاتها الحدِّية المغلوطة المنهكة، **وتموقعَ في ساحة الأصالة الإسلامية السننية المعاصرة المتوازنة، أو المعاصَرة الإسلامية الأصيلة السننية المتوازنة، بكل ما تعنيه وتستلزمه من ارتباط واثق بثوابت وسنن الهوية العقدية والثقافية والحضارية للأمة من جهة، وانفتاح مستبصر على كل كُسوب وخبرات ورشد الحضارة الإنسانية من جهة أخرى، واستثمار ذلك كله في تحقيق نهضة المجتمع والأمة من جهة ثالثة.**

لهذا كان رحمه الله محل احترام وتقدير كبير من كثير من المفكرين والعلماء والدعاة والمصلحين والساسة.. في المغرب الأقصى، وأقطار المغرب الكبير، وفي العالم العربي

والإسلامي عامة. وقد عوَّض الكتابة بالحركة، حيث كان كثير الأسفار والحضور والمشاركة في التجمعات الفكرية والثقافية الكبيرة والصغيرة عبر العالم الإسلامي، مما زاده تجربة وخبرة وتأثيرا بشكل مباشر أو غير مباشر في أجيال الصحوة الفكرية والثقافية والاجتماعية الإسلامية المعاصرة. لقد أتاح له هذا الترحال العلمي والثقافي الواسع والممتد لأكثر من ستة عقود من الزمن، من أن يستوعب الكثير من التجارب والخبرات الفكرية والثقافية والحركية المتنوعة، وأن يعيد نقلها وتوزيعها وتوريثها لأجيال الصحوة بطريقته الخاصة، التي كان يستوحي فيها وعيه العميق بالمعادلة الثقافية والاجتماعية والنفسية لكل شخص أو جماعة أو فئة أو بيئة أو ظرف.. فينقل ويوزع ويُورِّث ما يفيد كل هذه الفئات ولا يضرها، فهو ليس حافظ متون أو نصوص، أو رهين فكرة أو تجربة حركية ما، ينقلها أينما حل وارتحل، ويبلغها لأي كان، بل هو صاحب مدرسة فكرية منهجية تربوية مقاصدية سننية متوازنة، تعطي لكل شخص أو موقف أو وضع أو ظرف.. ما يناسبه من الخبرة والحكمة، إعمالا لقاعدة "لكل مقام مقال"، وقاعدة "خاطبوا الناس على قدر عقولهم".

نموذج تطبيقي عن القدرة التواصلية لدى الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس:

وأود هنا أن أعطي نموذجا تطبيقيا حيا عن هذه القدرة الكبيرة على الجمع والتوفيق بين الأبعاد والمعطيات والأوضاع العصية على الجمع والتوفيق فيما بينها. ويتصل هذا النموذج التطبيقي بمجال من أعقد المجالات وأدقها وأصعبها في تجربة وخبرة حركات الدعوة والإصلاح والتغيير الاجتماعي بصفة عامة، ألا وهو مجال علاقة الدعوة والدعاة ورجل الإصلاح عامة بالمؤسسات الرسمية في المجتمع، وفي مقدمتها المؤسسات الساهرة على الأمن العام في المجتمع، هذه المؤسسة الحيوية التي تحسب لها حركات الدعوة والإصلاح والتغيير بصفة عامة ألف حساب، ويقيم الكثير منها قطيعة تامة معها، وخاصة في المجتمعات المبتلاة بأنظمة استبدادية قهرية غاشمة لا تقيم لحقوق الإنسان وحرياته وكرامته، وحقوق المجتمع ومصالحه العليا أي حساب، إذا تعارض ذلك مع المصالح الضيقة لهذه الأنظمة المستبدة .

وهذه العلاقة غير الصحية مع هذه المؤسسات الحيوية في المجتمع، تعتبر دون شك، من أخطر التحديات التي تواجه الدولة والمجتمع والدعوة، وتهدد استقرارها وأمنها باستمرار. **فالوضع الطبيعي في المجتمع الطبيعي، أن يتكامل عمل الدعوة والدعاة والمصلحين الاجتماعيين، مع عمل الدولة والمجتمع، وأن يتكامل عمل الدولة والمجتمع مع عمل الدعوة والدعاة والمصلحين، في مواجهة الأخطار التي تواجه الدعوة والدولة والمجتمع.**

فالدعوة وظيفتها المساهمة في بثُّ الوعي السنني الصحيح، وتربية الناس عليه، وتزكية نفوسهم به، وتقوية شبكة العلاقات الاجتماعية للمجتمع، ومواجهة الفساد الاجتماعي والأخلاقي عبر استثمار المنظومات العرفية والقانونية المرعية في المجتمع، والمساهمة في حماية الدولة من نفسها ومن الأخطار المحيطة بها. وهذا ما كان الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس على وعي عميق به، ويعمل على تأسيس الوعي به لدى رجال الدعوة والدولة والمجتمع معا، بحيث يتكامل عمل الجميع ولا يتنافر، أو يترك منافذ لضعاف النفوس، أو أصحاب الأغراض الخاصة، والمصالح الضيقة، للتحريش بين رجال ومؤسسات الدعوة والدولة والمجتمع، وهزّ الثقة بينهم، وإشغال بعضهم ببعض، على حساب المصالح العليا للمجتمع والأمة، كما هو سائد في عموم أقطار الأمة ومجتمعاتها المعاصرة مع الأسف الشديد.

وأذكر هنا أن الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله، شرفني بعضويته للجنة مناقشة أطروحتي الجامعية سنة 1992، بالرغم من خطورة الوضع الأمني في الجزائر يومئذ، إلا أنه أبى إلا أن يحضر من المغرب إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وأن يشارك في مناقشة الرسالة، لحبه الكبير لي، وحرصه الشديد على تشجيعي والدفع بخطواتي قدما على طريق الرسالية الشريف. وقد دار بيننا وبينه حديث على هامش تنبيه أحد الحاضرين له إلى الاحتراس من أحد الأشخاص المصرين على إحراجه بالأسئلة المفخخة، فرد رحمه الله عليه بلغة الجسد محركا رأسه حركة دائرية بطيئة عميقة، تومئ إلى أن خبرته بهؤلاء أكبر وأعمق من الأمور البسيطة التي يبحثون عنها لديه ! وأردف قائلا بالعامية الجزائرية: "اللي قاريهْ الذيب حافظو السلوقي"، وانفتح عليه وعلى أسئلته بكل اهتمام وحميمية، حتى أخذ الرجل بغيته منه بكل شفافية وروح أبوية عالية، أظنها تركت أثرا عميقا في نفس ذلك الشخص، وكأني به رحمه الله يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت : 34).

لقد كان رحمه الله حريصا جدا على فتح جسور التواصل مع كل القوى المؤثرة في الدعوة والدولة والمجتمع، والعمل على إزالة الغبش أو سوء الفهم والتفاهم معها، وتحقيق الثقة المطلوبة بين الدعاة والمصلحين أنفسهم من جهة، وبينهم وبين الفاعلين الآخرين في مؤسسات الدولة والمجتمع من جهة أخرى، دون أي خوف أو تشكيك أو تهوين، **ويرى بأنه ليس هناك أخطر على الدعوة وحركات الإصلاح من أن تترك لخصومها التعريف بها، ورسم صورة عنها للآخرين، ويدعو إلى ضرورة تعريف الدعاة والمصلحين بأنفسهم وبدعواتهم مباشرة ودون وسائط**، وهو ما يقتضي منهم التواصل مع جميع المؤثرين في الدعوة والمجتمع والدولة .

فينقل ويوزع ويُورِّث ما يفيد كل هذه الفئات ولا يضرها، فهو ليس حافظ متون أو نصوص، أو رهين فكرة أو تجربة حركية ما، ينقلها أينما حل وارتحل، ويبلغها لأي كان، بل هو صاحب مدرسة فكرية منهجية تربوية مقاصدية سننية متوازنة، تعطي لكل شخص أو موقف أو وضع أو ظرف.. ما يناسبه من الخبرة والحكمة، إعمالا لقاعدة " لكل مقام مقال"، وقاعدة "خاطبوا الناس على قدر عقولهم".

ومن جهة أخرى يرى رحمه الله تعالى بأنه لا يتردد في حماية الدعوة والدعاة أو أمن المجتمع والدولة، بالتواصل مع الجميع، والتعريف الصحيح بالجميع لدى الجميع، والدفاع عن الجميع لدى الجميع، ومعاونة الجميع من أجل صالح الجميع. ويرى بأن الجميع في قارب واحد إذا خرقه بعضهم وسكت عن ذلك بعضهم، غرق الجميع، لذلك وجب على الجميع مناصحة الجميع بكل صدق وإخلاص وأمانة وجدية وإحساس عميق بالمسئولية، كما في الحديث النبوي الشريف عند الترمذي: «مَثَلُ القائم علَى حدودِ اللَّه، والمُدَّهِن فيها، كمَثَلِ قَوم استَهَموا علَى سفينةٍ في البحرِ فأصابَ بعضُهُم أعلاها، وأصابَ بعضُهُم أسفلَها، فَكانَ الَّذينَ في أسفلِها يصعَدونَ فيستَقونَ الماءَ فَيصبُّونَ علَى الَّذينَ في أعلاها فقال الَّذينَ في أعلاها: لا ندعُكُم تصعَدونَ فتؤذونَنا، فقالَ الَّذينَ في أسفلِها: فإنَّا نثقُبُها في أسفلِها فنَستَقي، فإن أخَذوا علَى أيديهم فمنَعوهُمْ نجَوا جميعًا وإن ترَكوهُم غرِقوا جميعًا».

ولا شك أن هذا فهم عميق لسنن بناء وحماية الدعوة والدولة والمجتمع، وسنن تجنب ما يضرها ويُضعفها. وهو فهم ليس متاحا لكل الناس، بل هو من لباب الفهم وصميم الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا، ومن حُرمها فقد حرم خيرا كثيرا.

ماذا بقي من الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس:

وهنا يواجهنا السؤال الكبير كتلاميذ للشيخ عبد السلام الهراس على مستوى العالم الإسلامي عامة، وعلى مستوى المغرب الأقصى والمغرب الكبير خاصة، ألا وهو: ماذا بقي من هذه التجربة والخبرة الغنية الكبيرة للشيخ الدكتور عبد السلام الهراس للأجيال المعاصرة والقادمة ؟

هذه السنون الطوال التي قضى جلها؛ أي ما لا يقل عن ستين سنة منها، في الجهاد التحصيلي والفكري والثقافي والتربوي والدعوي والاجتماعي والسياسي.. على مستوى المغرب الأقصى، والمغرب الكبير، والعالم العربي، والعالم الإسلامي، ماذا بقي للأجيال المعاصرة والقادمة منها؟ هذه الثروة الفكرية والمعرفية الضخمة الغنية بالخبرات والتجارب والحكمة في مدها وجزرها، وقوتها وضعفها.. ما ذا بقي لنا منها؟ هل هناك من جيلنا نحن ومن الأجيال المعاصرة التالية لنا من فكر في مصير هذه الثروة الوطنية وبادر إلى المحافظة عليها وتبليغها للأجيال؟

لقد شعرت شخصيا بالقيمة الكبيرة والاستثنائية لهذه الثروة النادرة التي تتوفر عليها تجربة وحياة الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله، وكنت أتمنى لو أنه هو شخصيا بادر بكتابة مذكراته، أو أن بعض تلامذته ومحبيه بادروا إلى كتابة ذلك في حياته، وحاولوا استخلاص زبدة تجربته في الحياة. وعندما علمت بمرضه منذ عدة سنوات ازداد هذا الهاجس لدي، وكلمت أخي الدكتور محمد ثابت أو الحاج أبتي كما نسميه، بأن يكوِّن فريقا من الباحثين الشباب، ويقنعوا الشيخ عبد السلام بأهمية مشروع كتابة مذكراته، ويباشروا معه إنجاز هذه المهمة، وأبديت له استعدادي للمساهمة في هذا الأمر ولو عن بعد، ولست أدري ما ذا حدث في الموضوع؟ وهل هناك من شمر على ساعد الجد للفوز بأجر هذه الخدمة الجليلة أم لا؟

وها هو يغادرنا إلى أولى منازل الدار الآخرة، حاملا معه أسرار وتجربة وخبرة وحكمة أكثر من ستين سنة، من الجهاد التعليمي والفكري والتربوي والدعوي والاجتماعي والإصلاحي المتواصل، فماذا نحن فاعلون إزاء بقايا هذه الثروة الغنية الثمينة؟ حتى نفي له بحق استمرار الذكر الحسن بعد مماته، كما جاء ذلك في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الشعراء : 84).

ومن أجل القيام ولو بأضعف الإيمان كما يقال، اقترح على الإخوة الشباب في المغرب الشقيق بالخصوص، ما يلي:

- عقد مؤتمر دولي يتمحور موضوعه الرئيس حول: (الشيخ الدكتور عبد السلام الهراس جسر التواصل بين الأجيال والأفكار والأقطار والمؤسسات والحركات)، حيث يتركز العمل حول جمع أكبر قدر ممكن من الشهادات عن تجربته في هذا المجال، ووضعها بين يدي الأجيال المعاصرة والقادمة من الباحثين، للاستفادة منها في بناء ثقافة التواصل والتكامل بين الأفكار والأجيال والأقطار والمؤسسات والحركات.. وهو كما لا يخفى أمر في غاية الأهمية بالنسبة لفقه النهضة وشروطها التي حمل رحمه الله همها طيلة حياته .
- تكليف بعض الطلبة الباحثين على مستوى الجامعة لإنجاز أطروحات عنه وعن تجربته وخبرته ومساهماته في إقامة جسور التواصل بين الأفكار والأجيال والمؤسسات والحركات والأقطار.. على مستوى المغرب الأقصى، والمغرب الكبير، والعالم العربي، والعالم الإسلامي .
- كما أقترح أن تؤسس مؤسسة باسم: (مؤسسة عبد السلام الهراس للتواصل بين الأجيال) باعتباره أحد فقهاء التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي الكبار.

منهج الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس

أ.د. العياشي السنوني

إن الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، رحمه الله تعالى، من الذين وهبهم الله قدرة الجمع بين صناعات البحث والكتابة والتدريس والتأطير والتوثيق والتحقيق والقراءة والتأويل والإبلاغ والإقناع والإمتاع والمؤانسة، وكان في التدريس يفضل أن يؤخذ عنه سماعاً ومشافهة، وكان لا يمل من ترديد هذه العبارة: "العلم يؤخذ من أفواه الرجال". والمتلقي النموذجي لديه هو من يتحلى بالخلق الحسن وبالآداب الرفيعة، وكان يحيلنا . حينما يتعلق الأمر بطلب العلم وبآداب السماع . على كتاب: "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع"، وينصحنا بقراءته، ويعين لنا نصوصاً من قبيل قول القاضي عياض في مستهل الباب الموسوم ب: "في آداب طالب السماع وما يجب أن يتخلق به: "يجب أولاً على كل طالب علم قبل الشروع فيه: التخلق بأخلاق أهله، والتزامُ زيهم، والتأدب بآداب حملته، ولزوم السكينة والوقار، والبكورلطلبه، والمواظبة عليه، وإخلاص النية لله فيه، والتواضع لمن يأخذ عنه، وتعظيمه وتوقيره، والصبر على ما يلقاه منه أو من رفقائه من جفاء، وانتقاد من يأخذ عنه، والبحث عن حاله قبل الأخذ عنه، واختياره المشاهير من أهل العلم والدين"(1).

هذه القيم التي يرفعها القاضي عياض إلى سيد الخلق ﷺ، بالسند المتصل تلقنها أستاذنا الهراس منذ الطفولة، وكانت من صميم تربيته ومارسها في حياته قبل أن ينصح بها غيره، قال ضمن الحديث عن ممنوعات فترة طفولته: "كان ممنوعا كذلك في تلك الفترة أن ترى الشعر على رأس الرجل أو الشاب، بل وحتى الطفل، وكنا نسمي الشعر على رأس الرجل بالفريزي نسبة للى العبارة الفرنسية (– cheveux fr sées)التي تعني الشعر المجعد والمموج، وكان واجبا علينا حلق رؤوسنا، ومن أبى يحلق له رغم أنفه، ومن أبشع وأطرف ما أذكر في هذا الشأن أن رجلا أحرق لابنه شعر رأسه لأنه لم يكن يريد أن يرى ولده يتشبه بالنصارى.."(2).

أولا : في قراءة النص :

كان أستاذنا ينبه على أهمية الاقتراب من النص، وتذليل سبل تذوقه، فيفتح أعيننا على مستوياته النصية؛ من خلال تعريفنا بأسرار الحروف والأصوات واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض.. وعبر نصية؛ من خلال الإشارة إلى السرقات وما يشاكلها، والتضمين، والمعارضة، وخارج نصية؛ من خلال النظر إلى النص من زوايا القائل والمقول له ومقام القول وسياقه الاجتماعي والنفسي وبواعثه، وسابقه ومزامنه ولاحقه. كل ذلك في وقت كثر فيه، بالجامعة المغربية، نعيق الدعوة إلى القطيعة مع الماضي وإلى تقديس الشكلانية في صيغتها الروسية وبعدها الإيديولوجي.

ثانيا : في تحقيق النص :

كان أستاذنا في تدريبنا على التحقيق يجعل ما ذكر أعلاه من صميم موجبات التحقيق، لأن هذا الفن يتجاوزعنده تناول المتن موضوع التحقيق . من جهات العنوان، والقائل، والمقول فيه، وموضوع القول، والقول من حيث هو قول، وسننه ووسائطه . إلى تذوق القول وإدراك مكامن الجمال فيه. وكان رحمه

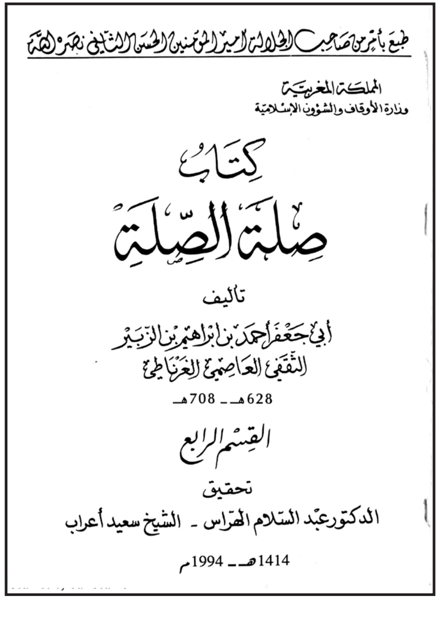
طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

كتاب
صلة الصلة

تأليف
أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير
الثقفي العاصمي الغرناطي
628هـ ـ 708هـ

القسم الرابع

تحقيق
الدكتور عبد السلام الهراس ـ الشيخ سعيد أعراب

1414هـ ـ 1994م

الله يحيلنا على جهوده في المجال، وعلى جهود المحققين الكبار وفي مقدمتهم أبو فهر محمود محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون.

وفي ممارسة التحقيق كان الأستاذ الهراس يلح على أهمية قراءة المحقق للنص موضوع التحقيق قراءة متأنية عدة مرات، على ضوء جهود أخرى للمؤلف وللمزامنين وللسابقين واللاحقين، ويوصي بتعرف:

أولا: أنواع الخطوط، وطرق رسم الحروف.

ثانياً: أنواع العلامات التي وضعت في الكتابة القديمة للدلالة على الحروف المهملة، أو على اختصار بعض الكلمات أو على الإعجام أو الإعراب أو التضبيب(3).

ثالثا: صيغ كتابة الأرقام عربية كانت أو هندية.

رابعاً: رموز واختصارات بعض الكلمات.

خامسا: النسخة الأم والنسخ المأخوذة عنها، مع مراعاة التسلسل الزمني، وإعطاء الأولوية للنسخة الأقدم.

سادساً:أسلوب صاحب المخطوط ومنزعه الأدبي.

سابعا : أشكال التصحيف وفي مقدمها التصحيف الذي يكون بسبب تشابه الحروف أو بسبب الإعجام والإعراب.

ثالثا : حرمة الوثيقة :

للوثيقة حرمة، ولذلك وجب: رواية المتن كما هو، خطأً كان أو صواباً، والحفاظ على الضبط الذي ضبطت به النسخة الأم، وتجنب مزج الحواشي بصلب الأصل، أو إضافة ما من شأنه أن يختلط بصلب متن النسخة الأم، أو الزيادة فيها أو الحذف.

رابعا: الهوامش :

قد يتضمن المتن ما يحتاج إلى توضيح، وفي هذه الحالة توضع التعليقات في الهامش، على أن لا يثبت منها إلا ما يفيد: كأن يُذكر ما يلبي حاجة ربط النص بما سبق أو بما سيأتي، أو توضيح غريب، أو تنبيه على سورة من سور القرآن الكريم، أو آية من آياته، أو تخريج لحديث نبوي شريف، أو تعريف بعلم، أو تنبيه على مصدر نص.

خامسا : علامات الترقيم :

وكل نص محقق ينبغي أن يتضمن علامات الترقيم لما لها من دور في توجيه الدلالة، وأن يحتفظ بأرقام صفحات الأصل المعتمد، وأن توضع علامة تدل على بدئها في صلب الكتاب.

سادسا : الفهارس :

تُقدم فهارس النصوص المحققة خدمة جليلة وعظيمة للدارسين، فهي تساعد على الاستفادة من النص المحقق، فضلاً على أنها تساعد على الاقتصاد في الوقت والجهد، وكان أستاذنا الهراس ينصح باتباع أبي فهر محمود محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون في هذا المجال.

قد يختلف نوع الفهارس وعددها من تحقيق إلى آخر، وقد تتضمن فهرس آيات القرآن الكريم، وفهرس الحديث النبوي الشريف، وفهرس الشعر، وفهرس اللغة، وفهرس الشعراء، وفهرس الأعلام، وفهرس الأمثال والأقوال، وفهرس مصادر التحقيق ومراجعه، وفهرس الكتاب المحقق .

سابعا : الأهداف :

تحددت أهداف جهود أستاذنا في أمور منها:

أولا: إعداد جيل من العلماء والمربين والمفكرين المؤمنين الصالحين المخلصين لدينهم ولوطنهم ولملكهم وللأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، جيل يصون الناس في عقيدتهم ودينهم وأعراضهم وأمنهم واستقرارهم، وكان ذلك دأبه مع من سبقنا ومع من جاء بعدنا ، وقد استطاع رحمه الله أن يحقق مبتغاه.

ثانيا: تعرف الأسباب التي جعلت الحضارة الإسلامية في إسبانيا تصل القمة والأسباب التي جعلتها تنهار فتصبح في حكم كان .

ثالثا: تقديم عبر للمغاربة وللمسلمين في العالم ، وجعلهم يدركون أسباب السقوط والانهيار فيبتعدون عنها.

---

1 – الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (479 ـ 544)، تحقيق السيد أحمد صقر،الناشر :دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس، ط2، 1398هـ ـ 1978م

2 – انظر المقال المعنون ب: "هكذا عاش الشيخ الهراس" بموقع تايمة بريس :بتاريخ :1 مارس، 2015:

3 – التضبيب : وهو "ص" مهملة توضع فوق العبارة التي هي صحيحة في نقلها ولكنها خطا في ذاتها (انظر: تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، سنة 1417 ـ 1998).

خواطر وذكريات مع شيخ الصحوة المباركة الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى

ذ. عبد الحميد صدوق

عرفت الشيخ قبل أن يبقل وجهي بالسواد، ولعلي كنت أكثر الطلبة عشرة له، فرأيت بحق العالم الرسالي الذي كلما ازداد علما، ازداد ألما، وكيف لا يألم العالم وهو يرى الداء تفشى في الأبناء، وقد جعل الله العلماء العاملين شفاء لكل داء، من أجل ذلك قال الإمام علي : إذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة. وقال ابن عباس : إن العالم في قومه كالنبي في أمته.

وقد من الله علي بالتربية في مدرسة الشيخ الهراس، التي رأيت فيها شيوخا صادقين سعوا في حرث الآخرة، فزرعوا بذور الدعوة في أرض نفوس طيبة، فأنبتت شباب الصحوة المباركة، رأيت شيوخا كانوا لؤلؤة لامعة في عقد الجلسة الإيمانية، يملأون أجواءها فقها دقيقا، وفهما عميقا، ووعظا بليغا، أثمر فرسان المنابر الواعظين، وخدام دين الله العاملين.

لقد ترعرعت في تلك المدرسة مع الشباب الطاهر فكان أول حب طرق قلوبنا حب الله، وأول هم ملأ نفوسنا هم الدعوة.

تربينا في أحضان المدرسة على هضم النفس، وأذكر يوما أن شابا جاء إلى الشيخ الهراس فقال له : إن رجال الشرطة يترقبون تنقلاتي. فقال له الشيخ : احذر هذا فإنه من مداخل الشيطان، يوسوس لك بأنك صرت بطلا تشغل بال رجال الأمن، إنهم العلماء تشابهت أقوالهم وقد جاء رجل إلى العلاء بن زياد فقال له : رأيتك كأنك في الجنة، فقال له العلاء : ويحك أما وجد الشيطان أحدا يسخر به غيري وغيرك. وقد قيل : من رضي أن يمدح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه.

لقد أحيى الله بوعظ المدرسة الفئام من الناس، وكيف لا، والدعوة فيها لم تقتصر على الإرشاد بالقال، بل تعدته إلى التأثير بالحال، فكانت كما قال أبو سليمان الدراني : إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك كلامه. وقال ابن الما جشون : إن رؤية محمد بن المنكدر لتنفعني في ديني. ووالله كذلك كان الأمر مع شيوخ المدرسة عندنا.

إنها مدرسة الوسطية والاعتدال، تلقنا فيها أسلوب استمالة القلوب، والأخذ بتلابيب النفوس. من أجل تذكير الناسي، وتحذير العاصي، وتليين القاسي، وتقريب البعيد، وضم القريب، والاهتمام بالمريد، وكيف لا يكون الأمر كذلك وشيخ المدرسة كان يعايش أبناء الأمة، فوجد كل صنف من أبنائها مكانته في قلبه، ونصيبه من أخلاقه.

رحم الله شيخنا ورضي عنه وأرضاه آمين.

الشيخ عبد السلام الهراس
العالم المدقق والباحث المحقق

د. محمد مفتاح

لست في حاجة إلى التذكير بأن صحبتي للشيخ الدكتور عبد السلام الهراس فاقت خمسين سنة أو أكثر، والحديث عن هذه الصحبة المباركة يحتاج إلى صفحات عديدات، سأحاول اختزالها في وريقات لعلي أدبج ما بقي في المستقبل القريب إن نسأ الله في الأجل.

لعل أهم ما يمكن الحديث عنه في هذا الظرف وعن هذه الشخصية الفذة بالذات هو:

1 – الأستاذ عبد السلام الهراس الإنسان.

2 – الأستاذ عبد السلام الهراس الباحث المحقق.

أما الجانب الأول فيتمثل في شخصيته التي تكونت منذ نشأته إلى أن وافته المنية رحمه الله وغفر لنا وله، هذه الشخصية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

1 – المرحلة المغربية الأولى.

2 – المرحلة المشرقية.

3 – المرحلة المغربية الثانية.

أما المرحلة المغربية الأولى فتبتدئ منذ ولادته في مدينة الشاون سنة 1930 إلى رحلته نحو المشرق، وفي هذه المرحلة درس بمسقط رأسه على يد بعض الفقهاء وانتقل إلى المدارس العصرية حيث كانت تلقن للتلاميذ من أمثاله دروسا في المعارف التي يمكن أن تسمح لهم بالعمل في سلك الإدارة أو التعليم، وهي معارف متوسطة لم تكن تناسب طموح أستاذنا ولا أهدافه، ولذلك قرر الالتحاق بالقرويين في مدينة فاس، وهنا بدأت شخصيته العلمية تنمو وتنضج بفضل الدروس الجيدة التي كانت تلقى هناك، وبفضل العلماء الأفاضل الذين لقنوه مواد متنوعة، ومن بين هؤلاء الذين احتفظ بذكريات طيبة عنهم الأستاذ علال الجامعي الذي درس عليه الشيخ خليل والأستاذ أحمد الحبابي الذي تلقى عليه دروس النحو والصرف، غير أن الذي استفاد منهم كثيرا وتأثر بهم هو الأستاذ عبد الله الداودي الذي يصرح هو نفسه حين يقول: تعلمنا منه منهج دراسة النصوص الفقهية من خلال تحليل نصوص "تحفة ابن عاصم" وكان الأستاذ يعجب بالطالب الذي يتصرف تصرفا يدل على فهمه وإدراكه وملكته وقدرته على ترتيب أفكاره أثناء التحليل والتركيب والمقارنة والاستنتاج والإدلاء بالرأي العلمي مع تعزيز ما يقول بالحجة والدليل.

إن هذه الأفكار التي التقطها الأستاذ من شيخه هي التي ستكون نبراسا له في البحث العلمي وهو ما سنرى أن الأستاذ يطبقها في بحث له سنتحدث عنه لاحقا. لم يكن هؤلاء وحدهم من استفاد منهم الشيخ، بل يذكر أيضا من بين من لقنوه الأدب الأستاذ عبد الكريم العراقي والمرحوم الشاعر محمد الحلوي.

بعد أن قضى مآربه العلمية من فاس تاقت نفسه إلى الرحلة للخارج قصد التزود بالعلوم والمعارف، فكانت الوجهة التي يممها هي المشرق، وهنا تبدأ المرحلة الثانية من حياته.

كانت رحلته إلى المشرق سنة 1952 حيث خرج من مسقط رأسه شفشاون متوجها نحو قاهرة المعز، لكن السفينة التي حملته ومجموعة من الطلاب المغاربة رست ببيروت، فكان ما أراده الله لا ما أراد، وكان يقول لي ونحن نتحدث عن رحلة وقع لي مثل ما وقع لمن قال:

أردت عمرا وأراد الله خارجة
وليتها إذ فدت عمرا بخارجة

درس في لبنان على علماء أجلاء وارتبط بشخصيات لها وزن في المجال الفكري والسياسي، وأخذت شخصيته العلمية تتبلور من خلال استفادته المتواصلة من العلماء أولا ومن قراءته المتواصلة للكتب والمجلات التي كان في لبنان منها نصيب وافر ثانيا.

خرج من لبنان بعد أن نال شهادة الباكالوريا بامتياز وأحرز على منحة من جمعية المقاصد الخيرية اللبنانية الشهيرة، وكان له شرف ترؤس بعثة الطلبة اللبنانيين الذين توجهوا لمتابعة الدراسة في مصر.

في مصر ولج كلية دار العلوم بالقاهرة التي وجد بها مجموعة من كبار الباحثين والعلماء، فاستفاد منهم جميعا وارتبط بكبارهم وسار على نهجهم في البحث العلمي، غير أن الذي كان له تأثير كبير على مساره هو الدكتور أحمد هيكل صاحب كتاب "تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة إن المرحلة المصرية في شخصيته أستاذنا وشيخنا لم تكن للمعرفة فحسب بل فيها تبلورت شخصيته الوطنية حيث التقى بالمجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي الذي استفاد منه غاية الاستفادة، وله معها ذكريات ليته يكون قد كتب في مذكراته بعضا منها أو نشرها.

وفي القاهرة أيضا التقى بالمفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي في بيت الضابط المغربي المجاهد الهاشمي الطود، فتوطدت الصلة بينهما لتطابق أفكارهما ورؤاهما ولما كان يتحلى به هذا المفكر من منهجية سليمة وثقافة متميزة تمكن بها من وضع يده على أهم قضايا العالم المتخلف، وقد نشر هذه الأفكار وتلك الرؤى في كتبه المترجمة والمطبوعة أهمها:

1 – الظاهرة القرآنية 1946

2 – شروط النهضة 1948

3 – وجهة العالم الإسلامي 1954

4 – مذكرات شاهد القرن

لقد كان لهذه الكتب وغيرها أثر كبير في شخصية أستاذنا مما دفعه إلى نشرها بعد عودته إلى المغرب.

استطاع الأستاذ الشيخ أن يكون شخصية علمية قوية من خلال شيوخه، علماء دار العلماء، ومن خلال الصداقة التي كونها مع ثلة من المثقفين والمفكرين ويكفي أن أشير هنا إلى تقديره الكبير للشيخ محمود شاكر الذي كان يلهج بذكره في كل محفل والذي كان يقول لي عن مؤلفه "أباطيل وأسمار" ونمط صعب ونمط مخيف" هذان كتابان يجب أن يدرسا في الجامعة المغربية ليطلع طلبتنا على المستوى العلمي الرفيع لهذا الرجل وليستفيدوا من أسلوبهما الرصين.

بعد أن نال شهادة الإجازة سنة 1958 من دار العلوم بالقاهرة عاد شيخنا إلى مسقط رأسه مدينة الشاون، وهنا تبدأ المرحلة الثالثة في حياته. في هذه المدينة لم تكن توجد آنئذ سوى إعدادية واحدة هي التي كانت تسمى وما زالت إعدادية الشيشي فيها تعرفنا على الشيخ من خلال دروسه ومن خلال المحاضرات المتميزة التي كان يلقيها علينا مع ثلة من أصدقائه ومجايليه أذكر في مقدمتهم الشاعر الكبير عبد الكريم الطبال.

لقد كان لأستاذنا عبد السلام في هذه المدينة دور كبير في التنوير والتوجيه السليم حيث استفاد منه جيل من التلاميذ أصبحوا بعد أطرا في الدولة لهم مكانتهم المتميزة وإشعاعهم الخاص.

بعد أن قضى ثلاث سنوات في هذه المدينة الساحرة انتقل إلى مدينة تطوان حيث درس بثانوية القاضي عياض وكان هناك مثالا للأستاذ المتميز المخلص في عمله الشغوف بتزويد طلبته بما يملك من علم ومعرفة وما يتحلى به من أخلاق وصفاء سريرة.

في هذه المدينة تاقت نفسه إلى متابعة دراسته العليا فكانت الوجهة جامعة مدريد التي قدم فيها بحثين متميزين الرسالة الصغرى في موضوع: ابن اللبانة حياته وشعره. والأطروحة في موضوع: دراسة وتحقيق لديوان ابن الآبار القضاعي البلنسي. نوقشت أطروحته تلك في 16 يونيو 1966 وهي السنة التي كنا نتابع دراستنا الجامعية بمدينة تطوان، وكانت قد أسندت له الكلية تدريس مادة النحو التي كان يؤديها باقتدار.

تلك بإيجاز شديد بعض الجوانب المتعلقة بشخصيته باعتباره إنسانا أضيف إليها بعض الصفات الأخلاقية المتميزة التي اكتسبها عن طريق تشبعه الكامل بالثقافة الدينية علما وعملا منها، الصبر على الأذى دون محاولة الانتقام من المناوئين والخصوم رغم وجوده لفرص كثيرة في هذا المجال مع التشجيع الدائم والمتواصل لمن يلحظ فيهم الذكاء والنبوغ ومساعدتهم غير المشروطة من أجل مواصلة السعي وراء الأهداف إلى حين الوصول إليها وتحقيقها يضاف إلى ذلك نصحه الدائم لمن يخالطه أو يسايره أو يجالسه عملا بقوله ﷺ: (الدين النصيحة).

أما الجانب الثاني الذي يميز شخصية أستاذنا والذي يمكن أن نميط عنه اللثام لكثير ممن كانوا يعاندونه أو يقفون في طريقه دون مسوغ فهو الأستاذ الباحث والمحقق.

لقد كان أستاذنا عبد السلام – رحمه الله– مدرسة في غزارة العلم وسعة الإحاطة بالتراث العربي الإسلامي وخصوصا التراث الأندلسي المغربي يتجلى ذلك في اطلاعه على مختلف المصادر المطبوعة المتداولة بين الباحثين والمهتمين بمجال الأندلسيات التي تزخر بها المكتبات العالمية بله المغربية وكمثال على ما نقول: يمكن الإشارة في هذا المضمار إلى أنه أول من أطلعنا على مخطوط "ذكر بلاد الأندلس" وأول من عرفنا بمخطوط الشهر الخامس من المقتبس لابن حيان وكان له الفضل في توجيهنا إلى مخطوط "سبك المقال" لابن الطواح ومخطوط "ريحان الألباب وريعان الشباب" لابن خيرة "على وزن عنبة" المواعيني، وغيرها من المخطوطات التي وظفها في بحوثه المتعددة أو نبهنا إلى وجودها في مكتبات داخل المغرب أو خارجه.

إن الرصيد المعرفي الهائل الذي كان يحمله أستاذنا في صدره في مجال الأندلسيات كان له تأثير قوي في توجيهنا وتوجيه أجيال من الطلاب المغاربة إلى دراسة الأدب الأندلسي المغربي والتخصص فيه وكتابة مجموعة من الأطاريح في فروعه المختلفة يتجلى ذلك بوضوح في الرسائل والأطاريح التي أشرف عليها والتي لن أتمكن من إحصائها كاملة، بل سأذكر نماذج منها فحسب للاستدلال على توجيهات أستاذنا وتوجيهه من تلك الرسائل:

– خصائص شعر رثاء المدن في الأندلس
– شعر السياسة والحرب في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة.
– شعر السجن في الأندلس.
– فنون النثر في الأندلس.
– الشعر الأندلسي في القرن التاسع
– رحلة ابن رشد السبتي دراسة نصية
– فهارس علماء المغاربة
– فن التراجم الأندلسية من عهد الفتح ابن خاقان إلى عصر ابن الخطيب
– أبي الخصال الكاتب.
– الفتح بن خاقان حياته وآثاره.

يقول الأستاذ الهراس: «هذان كتابان يجب أن يدرسا في الجامعة المغربية ليطلع طلبتنا على المستوى العلمي الرفيع لهذا الرجل وليستفيدوا من أسلوبهما الرصين»

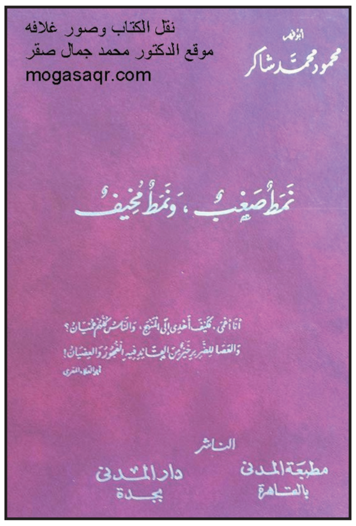

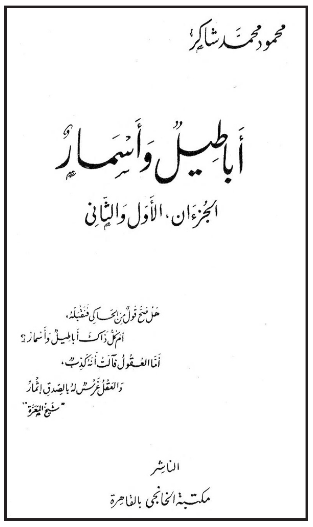

وفي مجال التحقيق:
1 – تحقيق السحر والشعر لابن الخطيب.
2 – تحقيق لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر لابن ليون.
3 – تحقيق كتاب الإحاطة لابن الخطيب (إعادة تحقيق).
4 – تحقيق الرحلة الناصرية.

لا يتجلى تبريز أستاذنا في مجال الأندلسيات في إشرافه المتميز فحسب، بل في إنتاجه العلمي والأدبي أيضا وهنا يجب التنويه بأن شيخنا كان فارس ميادين التحقيق والدراسة وقلما يجتمعان في باحث إلا إذا كان له اطلاع واسع وإحاطة شاملة بالتراث العربي مشرقية وأندلسية ومغربية وهو ما لمسناه في شخصية أستاذنا الذي كان يستحضر ومن ذاكرته أحيانا استشهادات وأشعارا من مختلف العصور الأدبية ولشعراء ذوي أوطان مختلفة، أذكر بالمناسبة أنني نطقت أمامه مرة بهذا البيت الشعري:

بغاث الطير أكثرها فراخا
وبنت الصخر مقلات نزور

فقال لي : لمن هذا البيت فقلت له لا أعلم قائله، فقال لي: البيت من قصيدة مختلف في نسبتها بين العباس بن مرداس السلمي وكثير عزة ومعاوية بن مالك الكلابي المعروف بمعود الحكماء وهو البيت الذي يقول العلماء فيه كلمة مثلثة الأول والآخر. والقصيدة هي:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما عظم الرجال لهم بفخر
ولكن فخرهم كرم وخير
ضعاف الطير أعظمهم جسوما
ولم تطل البزاة ولا الصقور
بغاث الطير أكثرها فراخا
وبنت الصقر مقلات نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا
وأصرمها اللواتي لا تزير
لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير
يعرفه الصبي بكل وجه
ويحمله على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غيرٌ لديه ولا نكير
فإن أك في شراركم قليلا
فإني في خياركم كثير

يضاف إلى ما سبق أن الأندلس أرضا وتراثا وحضارة وفكرا لم تكن مجرد لحظة عابرة لديه بل كانت كما يقول هو نفسه تعيش في أعماقه وتسكن في كيانه. إن رجلا بمثل هذا الإحساس لابد أن يكون قادرا على كشف الحجب بدقة متناهية عن كثير من الظواهر والقضايا المبثوثة في التراث الأندلسي التي لا يستطيع إدراكها إلا من له صولات وجولات فيما أنتجته الأمة بهذا الصقع الذي كان يرى أن المغاربة هم أجدر بتحقيق تراث أستاذنا ونشره وإذاعته بين الباحثين والدارسين.

● إضاءة :

لقد كان هاجس البحث في التراث الأندلسي ينتاب شيخنا منذ أن تهيأ للرجوع إلى المغرب حيث يقول في هذا الصدد: (وقبل التخرج بقليل وقبل العودة إلى المغرب قمت بزيارة لأستاذنا الأديب الكبير محمد سعيد العريان الذي بادرني بالسؤال ماذا تنوي بعد العودة إلى المغرب؟ فأجبته: إتمام دراستي العليا بإسبانيا في موضوع أندلسي، فابتسم....).

لقد وضع الأستاذ –رحمه الله– نصب عينيه أن يتم دراسته في إحدى الجامعات الإسبانية في موضوع مرتبط بالأندلس قبل عودته إلى المغرب فكان له ذلك حيث شرع في تطبيق ما أراد مستعينا ببعض الشيوخ والإخوة البررة ذكر منهم هو نفسه: العلامة الفقيه محمد التطواني والبحاثة الكريم المرحوم محمد المنوني والأستاذ المؤرخ عبد الوهاب بنمنصور والبحاثة النشيط سعيد أعراب والعلامة محمد إبراهيم الكتاني والأستاذ الكاتب عبد اللطيف الخطيب والأستاذ الفاضل عبد الله الرجراجي والعلامة المطلع الأستاذ العابد الفاسي.

إن الباحث الذي استطاع أن يحتك بهؤلاء الأفذاذ لابد أن يستفيد غاية الاستفادة لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من تجربة وعلم وفضل، ولابد أن ينعكس ذلك على كتاباته الأدبية وبحوثه العلمية، الأمر الذي لمحناه في أستاذنا، حيث شرع منذئذ في نشر بحوثه بمختلف المجلات الرائدة المتخصصة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: دعوة الحق – البحث العلمي – الثقافة المغربية– المناهل...

● تنوير :

من بحوث أستاذنا -رحمه الله- المتعلقة بالتراث الأندلسي المغربي:
1 – بحث عن ابن اللبانة في قسمين.
2 – فجر الأدب الأندلسي.
3 – طارق ابن زياد وخطبته وقد ظل ينجزه خلال مدة طويلة وذلك بحسب ما يجد في الموضوع من مخطوطات أو مؤلفات ومن ثم فقد تابع نشره مرات متعددة لعل آخر مبيضة لهذا الموضوع تلك التي نشرت ضمن المقالات التي أهديت للعلامة محمود شاكر ونشرت في كتاب "دراسات إسلامية"
4 – عبد الرحمن الأديب
5 – الشاعر عاصم بن زيد التميمي أبو المخشى
6 – مأساة الحسين في الأدب الأندلسي.
7 – رسالة التوابع والزوابع وعلاقتها برسالة الغفران.
8 – ابن شهير حياته وشعره.
9 – مأساة الأندلس في رأي ابن حيان.
10 – موقف آخر من زرياب المغني.
11 – ابن زيدون وارتباطه بوطنه وقضايا أمته.
12 – ابن زيدون الأنا المفرطة.
13 – الشاعر يحيى الغزال.
14 – أدب الفتنة القرطبية.
15 – ابن الأبار شاعر وفي لوطنه.

ومن بحوثه في التراث المغربي:
1 – شيء من منهجية عياض في دراسة النص.
2 – جانب من شخصية الشيخ اليوسي ورسائله.
3 – مدفع رباط دار بن قريش.

من ترجماته عن الإسبانية:
1 – ديوان ابن الأبار القضاعي البلنسي قراءة وتعليق.
2 – درر السمط في خبر السبط لابن الأبار بالاشتراك مع المرحوم العلامة سعيد أعراب.
3 – صلة الصلة لابن الزبير بالاشتراك مع العلامة سعيد أعراب.
4 – أزهار الرياض للمقري جزآن بالاشتراك مع الأستاذ المرحوم سعيد أعراب.

من مؤلفاته المطبوعة حول الأندلس:
1 – الأندلس بين الاختيار والاعتبار (وهو مشروع طموح كان ينوي –رحمه الله– أن يحرر فيه كتبا وقد أطلق على هذا المشروع اسم : "قصة سقوط الأندلس من الفتوح إلى النزوح"

● إضاءة :

من بحوثه الأولى القيمة التي كان يعتز بها ويفاخر بحثه حول خطبة طارق ومدى صحتها أو عدم صحتها بعد أن سمع من بعض أساتذته شكه في نسبتها إلى ذلك الفاتح العظيم وبعد أن قرأ أيضا مع من كان يتزعمه محمد عبد الله عنان من دعوى شك في صحة نسبتها فحاول الرد على كل هؤلاء بالمنهج العلمي القويم المعتمد على القراءة الداخلية للنص والقراءة الخارجية المعتمدة على الإدلاء بالحجج النصية الدامغة التي لا تترك مجالا للشك أو الارتياب. يقول في هذا الصدد:

"ذات يوم ونحن في المدرج بكلية دار العلوم دخل علينا الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل ليبدأ محاضرته "فتح الأندلس" وتطرق بالضرورة إلى قائد الفتح البربري العظيم طارق بن زياد، وتناول خطبته وأبدى شكوكه في نسبتها إليه باعتباره رجلا بربريا لا يحسن العربية، كما أن في بعض أسلوبها صنعة لا تناسب العصر الأدبي الذي عاش فيه طارق، كما أنها لم ترد عند المؤرخين المعتمدين.... وانتهى إلى القول باستحالة أن تكون هذه الخطبة لطارق... وكنت كباقي التلاميذ المغاربة –ولا سيما إبان الاحتلال الفرنسي والإسباني– نحفظ هذه الخطبة عن ظهر قلب بل كانت الأندلس تعيش في أعماقنا، وتسكن فيه نحن المغاربة... لم أستسغ نفي الخطبة عن طارق بن زياد، إذ لو كانت كذلك لنفاها شيوخ البحث عندنا وما أقدموا على إثباتها في تآليفهم وترويجها في تدريسهم ومحاضراتهم).

لقد كان شيخنا وأستاذنا يدرك أن الخطبة لطارق فلم يجادل أستاذه المصري داخل المدرج بل أسرها في نفسه وأخذ يجادله بالقلم وتلك شيمة النجباء من الأبناء.

استطاع أستاذنا –رحمه الله– خلال مدة من الزمن أن يجمع مصادر متعددة مخطوطة ومطبوعة تمكن من خلالها أن يقدم لنا بحثا رصينا حول هذه الخطبة متمما بذلك ما بدأه العلامة المرحوم عبد الله كنون (جنّون) وأستاذنا الفاضل العلامة عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري حفظه الله وبارك في عمره.

لقد تمكن أستاذنا في بحثه المشار إليه أن يثبت بما لا يدع مجالا للشك عن طريق الحجج الواضحة التي قدمها والأدلة النصية التي أظهرها من مصادر غميسة ومخطوطات نفيسة أن الخطبة طارقية إن صحت هذه النسبة وأن صاحبها مغربي وقائد محارب يجمع بين السيف والقلم.الأمر الذي عبر عنه بصدق أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس –رحمه الله– قائلا: (ولعل فيما قدمنا من حجج واضحة ما يبدد كل شك حول هذه القضية التي تزعم إثارتها الأستاذ عبد الله عنان وكادت دعواه تصبح حقيقة لولا أن وفقنا الله لكتابة هذا البحث إحقاقا للحق واستعادة لقيمة هذه الخطبة التي كان ولا يزال لها أثر عظيم في نفوسنا لأنها تعبر تعبيرا حقيقيا عن بطولة المغاربة حين خالط قلوبهم بشاشة الإيمان وأشرقت أرواحهم بالقرآن فلم يبالوا بالأخطار وهم يجوبون الأقطار لنشر هذا الدين).

● تنوير :

لقد تتلمذ على شيخنا عدد جم من الطلبة والباحثين وعرفه القاصي والداني بدماثة خلقه وصدق طويته وحسن سريرته ومن تم يسرني أن أبسط هنا ما سطره في حقه أحد طلبته ومحبيه حيث قال: (لقد كان الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله مثالا لرجل العلم الذي يمتلك منهجا قويما ورؤية شفافة ووعيا بما كان يدور حوله في الساحة الفكرية وإرادة قوية على التوجيه الحكيم للشباب من طلاب الجامعة ومن غيرهم، وقد اكتسب هذه الميزات من إقامته الطويلة في كل من بيروت والقاهرة ودمشق واتصاله المستمر والطويل برجالات الفكر ودعاة التجديد الفكري الإصلاحي واطلاعه على القنوات الفكرية التي كانت قاهرة المعز عهدئذ أبرز محطاتها).

لقد كان الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله مثالا لرجل العلم الذي يمتلك منهجا قويما ورؤية شفافة ووعيا بما كان يدور حوله في الساحة الفكرية وإرادة قوية على التوجيه الحكيم للشباب من طلاب الجامعة ومن غيرهم، وقد اكتسب هذه الميزات من إقامته الطويلة في كل من بيروت والقاهرة ودمشق واتصاله المستمر والطويل برجالات الفكر ودعاة التجديد الفكري الإصلاحي واطلاعه على القنوات الفكرية التي كانت قاهرة المعز عهدئذ أبرز محطاتها

● إضاءة :

لم تكن حياة شيخنا رحمه الله كلها مسرات وأفراح فهو بشر مثل باقي البشر مرت بها لحظات عسيرة أذكر منها تلك التي عاشها بعد حصوله على الدكتوراة، حيث لم يسلم من ألسن الشامتين ومن حسد الجاحدين فغض عنهم الطرف وواجه العاصفة بصبر وأناة وأثبت أنه صاحب رسالة ماض في أدائها مهما حاول صده المتخاذلون ولسان حاله يردد:

وما الناس إلا جاحد ومعاند
وذو حسد قد بان فيه التخاذل
وما أحد من ألسن الناس سالما
ولو أنه ذاك النبي المطهر
إذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها
إذا رضيت عني بنو قشير
لعمر الله أعجبني رضاها.

رحم الله الشيخ وغفر له وأسكنه فسيح جنته وإنا لله وإنا إليه راجعون.والحمد لله رب العالمين.

سيدي عبد السلام الهراس الإنسان الفيلسوف كما عرفته(*)

د. مصطفى الغديري

إن الحديث عن المرحوم سيدي عبد السلام الهراس طويل الذيل وعريض المنكبين، كما يقال، لكونه لا يمكن استفاضته في مقال سيار أو بحث عابر على صفحة جريدة.

وقد كان -رحمه الله- إنسانا تتجلى إنسانيته في سلوكه اليومي، يصعب حصره وتحديده في هذا المقام. لكن حسبي أن أتناول بعض جوانب من إنسانيته، هنا.

أولا: إنسانيته تتجلى في تواضعه مع الجميع؛ فهو متواضع مع زملائه، ومع طلبته، ومع الناس أجمعين. فقد صاحبته عقودا من الزمن طالب علم بين يديه، وباحثا أنجز بحوثا تحت إشرافه. وكنت كلما زرته في منزله العامر لاستشارته فيما أنجزت من بحوثي لنيل شهادة جامعية، وجدته لا يكاد الحديث ينتهي في ذلك حتى يجرني إلى موضوع يتعلق ببحوثه وأعماله؛ فيستشيرني بالقدر الذي أستشيره، ويمدني ببحوثه لقراءتها وإبداء الرأي فيها. وغير ما مرة كنت أحس بالحرج، لأقول له : كيف لي أن أبدي رأيي في بحوثكم؟، فيجيبني -رحمه الله- بتواضعه المعهود : إنني أستشير طلبتي، وأطلب منهم رأيهم في أعمالي.

وأذكر في هذا المقام أنني زرته يوما مع صديق لي، وهو يتهيأ لدفع كتاب التكملة إلى المطبعة في طبعته الثانية، بعد تصحيح الطبعة الأولى والاستدراك عليها. وسبق له أن أرسل إلي كلمة يحثني فيها على تحقيق إحدى تراجم التكملة المخصصة للمدعو ابن عَزيز. ولما قابلته بمنزله أخبرته بأن الذي سألني عنه ليس بابن عزيز، وإنما هو ابن عُزَيْر، بعد مقابلة بين مجموعة من المصادر. فما كان منه إلا أن هرول وصلى ركعتي الشكر لله أمامنا، بعد أن تأكد من صحة ظنه بأنه ليس بابن عزيز.وبعد الصلاة توجه إلي وقبل رأسي، وقال لي بالحرف: هذا ما جعلني ألتمس من طلبتي قراءة بحوثي وإبداء النظر والرأي فيها.

فلئن كان لهذا من دلالة فهو يدل على تواضعه وجديته المستمرة وإنسانيته في أسمى صورة.

ثانيا : تتجلى إنسانيته أيضا أنه كان لا يرد طلبا لطالب علم ،يسعى إلى إنجاز بحث تحت إشرافه. وإذا رأى أن ذلك لا يدخل في دائرة اهتمامه، أحاله على أستاذ آخر، ولو كلفه الأمر أن يتدخل لدى الأستاذ المحال عليه، لتيسير مهمة الطالب. وأشير -هنا- إلى تجربتي معه حين التمست منه أن يشرف على بحثي في الأدب الجاهلي، بعد نجاحي في شهادة استكمال الدروس في الأدب القديم. وبعد حديث مستفيض معه في منزله استغرق أزيد من ساعة، خلص معي في الكلام إلى القول بالحرف : يا مصطفى، إن استفادتك بي في هذا الفرع من الأدب العربي ستكون ضئيلة جدا، لكون اهتمامي منصبا على أدب الغرب الإسلامي. وإذا كنت مصرا على هذا الموضوع الذي اقترحته، سأحيلك على الدكتور فخر الدين قباوة (ذكر في الصالحات) أو على الدكتور عبد الله الطيب المجدوب، رحمه الله وأسكنه في جنانه.

وفي الموعد المحدد التقيت به في مكتبه بشعبة اللغة العربية بكلية الآداب بظهر المهراز، لأجده صحبة الدكتور عبد الله الطيب؛ ففاتحه في الموضوع. وبعد نقاش بيننا حظيت منه بالقبول على الإشراف. ومرت سنة لأجد نفسي طالبا بين يدي الدكتور عبد السلام الهراس من جديد في مرحلة تكوين المكونين، لأن أستاذي الدكتور عبد الله الطيب كان يتهيأ لمغادرة المغرب، فالتجأت مرة أخرى إلى الدكتور الهراس طالبا الاستشارة لتغيير المشرف الذي أزمع على مغادر المغرب. لكن هذه المرة قررت أن أغامر في بحر أدب الغرب الإسلامي، رغم ضعف زادي من المكتبة الأدبية الأندلسية.

ونتيجة جهلي مصادر الأدب الأندلسي كنت أقضي بياض يومي في مكتبته العامرة، أنقب وأسجل وأطلع على ما فيها من المطبوع والمخطوط. وكان -رحمه الله- يوصي علي في منزله إذا قصدته أن يفتح لي باب المكتبة، وأتصرف فيها تصرف مالكها. وعندما يحضر يعقد معي لقاء ويستفسرني عما اطلعت عليه في يومي؛ فأمده بتقرير كتابي، كما اتفقنا على ذلك من قبل. وبقي الأمر على هذا المنوال إلى أن قال لي يوما بالحرف: اليوم تستطيع أن تشرع في إنجاز تقرير في الموضوع الذي ترتضي تسجيله لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب الأندلسي.

وكنت أظن أنني المحظوظ بهذا التعامل الإنساني الفريد. وإذا بي أجد نفسي بين العديد من الباحثين الذين يترددون على منزله لنفس الغاية، بل كنا نعقد لقاء فيما بيننا -بمنزله- نحن طلبة الدكتور عبد السلام الهراس، لنتذاكر في أمور البحث في تراث الغرب الإسلامي، وكأننا في معهد متخصص في أدب الغرب الإسلامي.

ثالثا: تتجلى إنسانيته السامية في المؤاساة؛ فهو يؤاسي الضعيف المقل بما توافر في جيبه من مال، وكان لا يني يشد الرحال إلى من ناقش بحثا جامعيا ليحضر مناقشته حيثما يوجد، كما كان يؤاسي اليتيم المقل إذا تزوج، أو الحضور في جنازة شخص من معارفه إذا قضى. وكان -رحمه الله- لا يتردد في السفر إلى المدن النائية أو البوادي البعيدة ليزور معارفه وطلبته، وبالأخص الضعفاء والنجباء منهم.

رابعا : تتجلى إنسانيته أيضا، في فتح باب منزله أمام قاصديه من الفقراء واليتامى من الطلبة، وغير الطلبة من الملهوفين؛ فضلا عن الباحثين القادمين من مختلف البلدان والأصقاع إلى المغرب، بدون سابق معرفة. كما كان يفتح باب منزله للاستشارة في كل الأمور الحياتية بدون قيد أو تخصيص؛ للطالب والتاجر، والفقيه والمسافر والقادم والعازم على الزواج على حد سواء.

خامسا: كان -رحمه الله- تدفعه إنسانيته إلى تشجيع البحث والباحثين وتقديم النصح والعون لهم، بما استطاع إليه داخل المغرب وخارجه. وكان لا يعرف الكلل والتعب في آخر عمره للمشاركة في مناقشة بحوث وأطاريح جامعية لطلبة مجدين حققوا نتائج علمية هامة. وما زلت أتذكر أنه كان يلح علي أن يشاركني في مناقشة بحوث جادة حققت نتائج هامة في البحث الأدبي عامة، منه البحث في التراث الأندلسي خاصة. ومن جملة ما أتذكر أنني التمست منه أن يشاركني مناقشة بحث طالب مجد قدم أطروحته عن ابن الأبار الأديب، وهو من تخصص في تراث هذا الأديب العظيم. وعند انتهاء عرضه خاطب الطالب بالحرف: كتبت وألفت وحققت تراث ابن الأبار، الكاتب والشاعر والمؤرخ. ولكنني اليوم استفدت من هذا البحث الذي اكتشف ابن الأبار ناقدا، وهي نتيجة أثلجت صدري، وشعرت اليوم أنني تلميذ أستفيد من الباحث في أطروحته.

لا أعتقد أن هناك جانبا إنسانيا فوق هذا القول في حق أطروحة طالب أنجزها تحت إشراف تلميذه.

أما فلسفته -رحمه الله- فقد كانت تمتح من معين كلام الله في آيته الكريمة :﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾، ومن قوله ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله». فقد كان التسامح والنصح والوسطية هي منهج فلسفته، ولا يفتأ ينصح مريديه وطلبته، بغض الطرف عن مساوئ مسلم كانت كفة محاسنه أثقل من كفة مساوئه. فقد قضى ثلاثة عقود رئيسا لشعبة اللغة العربية بكلية الآداب بفاس، وكان يغض الطرف عن كل من سبه أو شتمه في الغائب، وكان يدخل إلى الشعبة ضاحكا مستبشرا أمام خصومه، لأن فلسفته في الحياة كانت تملي عليه كسب العدو إلى جانب صيانة الصديق، عملا بالحديث النبوي الشريف حينما كانت قريش تؤذيه : «رب اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون».

يذكرني هذا أيضا بحادثة عشتها معه بمنزله. والأمر يتعلق، ههنا، بباحث زميل للمرحوم بالكلية، وفد علينا بمنزله. ولما حل وقت صلاة العصر أمرنا بالصلاة معه بمنزله، وهو يعلم أن الوافد عليه لا يصلي، فأمره أن يقيم الصلاة ليحرجه ويدفعه إلى الصلاة في ما يستقبل من الزمن.

وبعد ذلك سألته عن الواقعة، فقال لي، رحمه الله، لندفعه إلى الصلاة ويتعود عليها خير من أن يكون عدوا لها ولنا.

وكان رحمه الله يوصيني في البحث -دائما- أن أستفيد من أخطاء بعض الباحثين، دون أن أجهز عليهم بالانتقاد والنقد الجارح نتيجة أخطائهم. وأذكر أنني سلمت له بابا من بحثي للأطروحة فقال لي -رحمه الله- يجب أن تعود غدا إلى المنزل لنقرأ ها سويا بعد صلاة العصر. ولما عدت في الغد أراني تعليقاته على عدة صفحات، وأكثرها في التشطيب عن النقد والانتقاد لبعض الأخطاء التي وقفت عليها في مصادري، معلقا عليها بقوله : استفد من الأخطاء دون إبرازها أو ذكرها، لأن ذلك مما يدخل في السب والشتم غير المباشر. وكان رحمه الله يعظم ابن بسام الشنتريني ويجله حين رفض رواية شعر الهجاء في ديوانه الذخيرة لأنه نص على أن راوي الهجاء أحد الهاجيين.

وبقي سيدي عبد السلام الهراس على هذا النهج القويم طوال مدة معاشرتي له إلى أن اختاره ربنا عز وجل ليكون مع الشهداء والصالحين، إن شاء الله.

نم يا شيخي قرير العين، بعد أن خلفت وراءك أفواجا من تلامذتك ومحبيك، يدعون لك بالدعاء الصالح، في كل صلاة يؤدونها بين يدي الله، لتستمر صلتك وتبقى موصولة بعد مماتك، إلى جانب علمك الذي انتفع وينتفع به باستمرار. فهنيئا لك على ما قدمت، وهنيئا لنا بك بانتمائنا إلى مشيختك.

(*) استوحيت عنوان هذا المقال من موضوع كتبه منذ ستة عقود من الزمن عن مالك بن نبي بعنوان «الفيلسوف الإنسان بمجلة دعوة الحق العدد الثاني 1375 هـ/1958م.ص.ص.37-39».

هذه الصورة بتاريخ : 24 ماي 1988 بكلية الآداب بفاس غداة مناقشة رسالة دبلوم الدراسات العليا لتلميذه مصطفى الغديري التي أشرف عليها في موضوع «شعر السجن في الأندلس : موضوعاته وقضاياه».

عبد السلام الهرّاس وريادته في التعريف بشعر ابن الأبّار البلنسي

د. فريد أمعضشو

فقدت الساحة الأدبية المغربية مؤخراً أحد أعلامها المبرّزين في مجال الأدب الأندلسيّ القديم، وهو الدكتور عبد السلام الهرّاس رحمه الله (1930 – 2015م)، الذي تخصّص في دراسة هذا الأدب، وتحقيق جملة من مخطوطاته النفيسة، ونشره، وتدريسه في الجامعة المغربية، وفي مراكز علمية أخرى بمدريد والعالم الإسلامي، على امتداد عقود. فقد عُرف بتدريسه مادة الأدب الأندلسي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، من 1964 إلى 1997، وهي الفترة التي قضاها في هذه الكلية مدرِّساً، وتخرّج على يديه كثير من الباحثين، وأشرف على العشرات من الأطاريح والرسائل الجامعية، فضلاً عن كمّية وافرة من أبحاث الليسانس، في الأدب الأندلسي تحقيقاً ودراسة، كما شارك في لجن مناقشة العديد من الأبحاث الأكاديمية، في مستويات مختلفة، في كلية آداب فاس، وفي كليات ومعاهد أخرى داخل المغرب وخارجه. ومن المعلوم أن المرحوم الهرّاس حاز دكتوراه الدولة بأطروحة في الأدب الأندلسي، من كلية الفلسفة والآداب التابعة لجامعة مدريد الإسبانية، عامَ 1966، تمحْوَرت حول شعر أبي عبد الله محمد بن الأبّار القضاعي البَلَنسيّ (595 – 658 هـ) تحقيقاً ودراسة. وقد أشرف عليها المُستعرِب الإسباني المعروف د. إلياس تيريس صادابا (E. T. Sâdaba)؛ رئيس قسم الدراسات العربية بالكلية المذكورة وقتئذ، وشارك في مناقشتها أربعة من كبار المستشرقين الإسبان. ونُشرت هذه الأطروحة أولَ الأمر بتونس عامَ 1969، وأعيد طبعُها بالمغرب عامَ 1999؛ بحيث تولّت نشرَها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ولا سيما قسم التحقيق منها، وصدرت عن مطبعة فضالة بالمحمّدية، في 538 صفحة من القطْع المتوسّط. وكان الهراس قد شرع في كتابة سلسلة حلقات من مشروع كبير، حول "قصة الأندلس: من الفتوح إلى النزوح"، ولكن الأجل المحتوم وافاه وهو في بدايات تنفيذه؛ إذ تمكّن من إصدار الجزء الأول منه فقط.

لقد كان تحقيقُ الهراس هذا رائداً حقّا؛ فظلّ، منذ صدوره، مرجعاً أساساً لدارسي الأدب الأندلسي القديم عامة، وللباحثين في شعر ابن الأبّار خاصة. وقد كان الاعتقاد السائد، بين الدارسين، أن ابن الأبار لم يترك أشعاراً كثيرة، ولا ديوان شعر، بل قلة من القصائد والمقطّعات المبثوثة في بُطون بعض المظانّ الأدبية القديمة؛ مِنْ مثل النفح، وأزهار الرياض، والوافي بالوفيات. وقلّل بعضهم من شاعرية ابن الأبار، مؤكدين أنه عُرف في مجالات أدبية أخرى، وفي التاريخ والحديث... **ولعلّ الذي أوقع هؤلاء في ما وقعوا فيه ضياع أكثر نتاج ابن الأبار العلمي والأدبي، علما بأنه عاش في عصر مضطرب سياسيا، شهد حدّة الهجوم النصراني على عدد من حواضر الأندلس وأقاليمه من أجل استردادها وطرد المسلمين منها، ومنها كورة بلنسية شرقَ شبه الجزيرة الإيبيرية، التي مرّت بظروف حالكة، وعاشت نكبة قاسية كان ابن الأبار شاهداً عليها؛ فبكاها بكاءً مُرّا بشعره ونثره معا.** ومن حُسن الحظ أن خزانات المغرب حفظت بعض تراث ابن الأبار، ومنه ديوان شعر ضمّ كمّاً مهمّاً من شعره، وعلى نسخة الديوان هذه، وهي من محفوظات الخزانة الملكية بالرباط، اعتمد أساساً المرحوم الهراس لدى إقدامه على تحقيق ديوان ابن الأبار. ورغم صعوبة تحقيق مخطوط انطلاقاً من نسخة وحيدة له، إلا أنّ الرجل استطاع، بجهد كبير نلمسه من تصفح الديوان المحقق الذي بين أيدينا، أنْ يقدّم لنا عملاً يشهد له الجميع بالريادة والإصابة والفرادة، وأنْ يتغلّب على كثير من الصعاب التي تصادف المحققين، عادة، حين يخوضون مغامرة التحقيق استناداً إلى مخطوط فريد.

إن علاقة الهراس بتراث ابن الأبار لم تقف عند هذا الحدّ، بل امتدّت إلى أعمال أخرى اهتمّ بها الراحل ألواناً من الاهتمام؛ فعمد إلى تدبيج مقالات من حولها نشَرَها في مجلات مغربية وغير مغربية، وإلى تدريسها لطلابه داخل بلده وخارجه، وإلى تحقيق تآليف أخرى له من غير الديوان؛ فقد حقّق، من هذه المؤلّفات، "التكملة لكتاب الصلة" (4 أجزاء)، و"دُرر السمط في خبر السبط" بالاشتراك مع الشيخ سعيد أعراب. وحقق، أيضاً، "صلة الصلة" لابن الزبير الغرناطي. وتجدر الإشارة إلى أنه قد وصلتنا، علاوة على كتب ابن الأبار الثلاثة المذكورة، خمسة أخرى حققها ونشرها باحثون عرب مرموقون، وهي: "إعتاب الكتاب" (تح: صلاح الأشتر)، و"الحُلّة السِّيَراء في أشعار الأمراء" (تح: حسين مؤنس. وحققه قبْل، في أواسط القرن التاسع عشر، المستشرق الهولندي رينهارت دوزي)، و"مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة الملقى السبيل" (تح: صلاح الدين المنجد)، و"المعجم في أصحاب القاضي الصّدفي" (تح: إبراهيم الأبياري)، و"المقتضب من كتاب تحفة القادم" (تح: الأبياري كذلك). على حين ضاع، للأسف الشديد، أزيد من أربعين مؤلفاً له، ما بين رسالة وكتاب؛ كما يذكر بعضهم، عرَفنا أسماءَها من خلال الفهارس وكتب التراجم والأدب، في مجالات الحديث والتاريخ والترجمة وغيرها من أبواب الأدب؛ مثل كتاب "المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل"، وشرح صحيح البُخاري، و"إعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب"، و"معدن اللُّجين في مراثي الحسين"، و"خضر السّندس في شعر الأندلس".

ولا يمكن لقارئ ديوان ابن الأبار، المتوفر بتحقيق الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله، إلا أن يسجل، بتقدير بالغ، عظَم المجهود الذي بذله المحقق، ودقة عمله فيه، ووجاهة ترجيحاته وتصحيحاته وتدخلاته عامة.

فقد حرَص الراحل على إبراز مناسبة كلّ نصّ شعريّ في الديوان وسياقه، وضبط أبياتها بالشكل التامّ، وشرْح ما رآه أحْوَجَ إلى توضيح من لغتها، وتحديد أبْحُرها العَروضيّة (نُظِمَت أشعار الديوان على أوزان الشعر المعروفة، ما عدا ثلاثة منها هي: الهزج والمقتضب والمضارع، وهي بحور قلّ استعمالها لدى شعراء العربية قديماً وحديثا)، والتنبيه على ما تخللها من مواضع خرم ونقص وتصحيف، اجتهد في تصحيحها واستكمالها، مُورداً روايات أخرى ممّا وجده في مصادر استعان بها في تحقيقه هذا. وضمّنَ حواشيَ العمل، كذلك، جملة وافرة من المعلومات التاريخية واللغوية والأدبية ونحوها، ساعدت على إضاءة كثير من مواطن النصوص، وتيسير فهمها على القارئ.

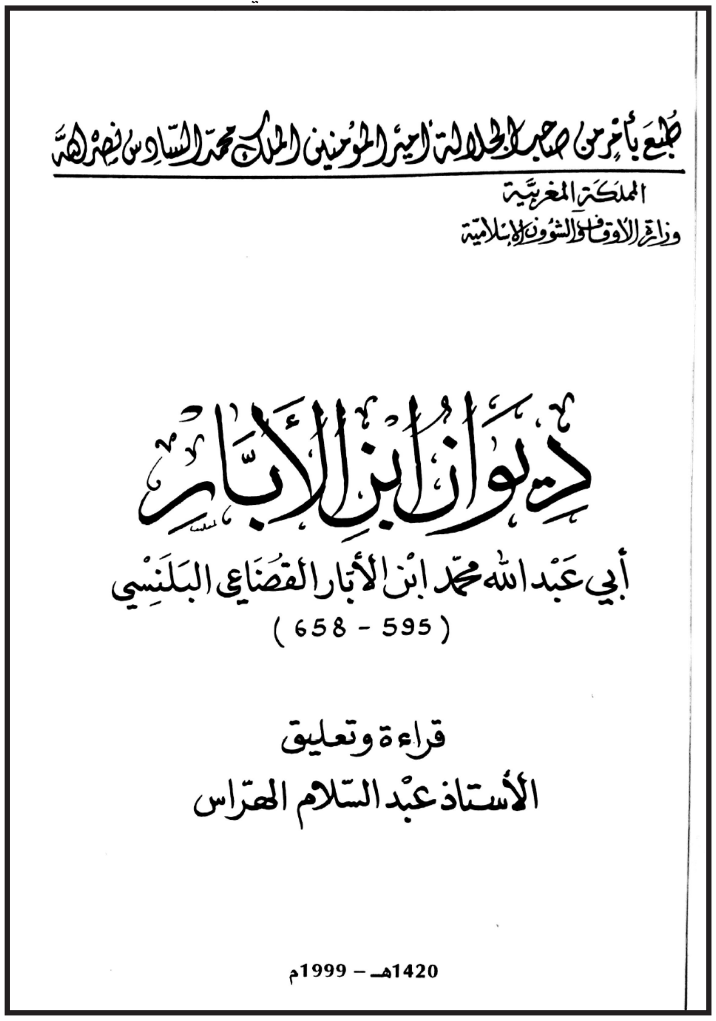
طُبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله
المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
ديوان ابن الأبار
أبي عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي
(595 - 658)
قراءة وتعليق
الأستاذ عبد السلام الهراس
1420هـ – 1999م

وقد بلغت نصوص الديوان، المحقّق انطلاقاً من مخطوط الخزانة الملكية، أربعة ومائتين (204)، وهي تتفاوت فيما بينها طولاً وقِصَراً؛ إذ إن منها نُتَفاً ومقطعات وقصائدَ مطوّلات. وقد رُتبت على حروف الهجاء حسب الترتيب المغربي؛ بدْءاً بالهمزة، وانتهاءً بالياء. وقاد البحث الدكتور الهراس إلى الوقوف على أشعار أخرى لابن الأبار لم ترِد في مخطوط الديوان، بل عثر عليها في مظانّ أخرى؛ مثل "عنوان الدِّراية" للغُبْريني، و"الروض المِعْطار" للحِمْيَري، و"الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المرّاكشي، و"الحلة السيراء" لابن الأبار، و"رايات المبرّزين" لابن سعيد المغربي، ورحلة ابن رُشَيْد السَّبْتي. وقد ألحقَها بالديوان، ومجموعُها اثنان وأربعون نصّاً ما بين بيت يتيم ونتفة ومقطوعة وقصيدة. وعلاوة على هذا الملحق، أو المُلحَقين بالأحرى، وضع المحققُ لعمَلِه فهارس فنية متنوعة وغنية ومفصّلة أكسبته قيمة مضافة كبرى، وسهّلت تلقيه والإفادة منه بنجاعة.

ويتضح من قراءة نصوص الديوان المطبوع جميعها أنها قيلت في أغراض وموضوعات شتى، نستطيع إجمالَها في: الغزل والنّسيب، والصِّبا والذكريات، والرثاء، والشوق والحنين، والاستشفاع والاستعطاف والاسترضاء، والزهد، والنبويّات، والتهاني، والتعازي، والشكوى، والهجاء (وهو قليل جدّا في الديوان)، والألغاز، والحِكَم، والوصف (نشير إلى أن دارسين كُثراً لا يَعُدّون الوصف غرضا شعريا قائم الذات)، والاستنجاد، والمديح. على أنّ هذا الأخير، فيما يبدو، قد استأثر بحصّة الأسد من شعر الديوان؛ ذلك بأنّ نسبة مهمّة جدّاً من قصائد هذا العمل ومقطوعاته نَظَمَها ابنُ الأبّار في المدْح، ولا سيما مدح أمير أفريقية أبي زكريا الحفصيّ وابنه أبي يحي من بعده؛ إذ من المعلوم، تاريخيا، أن حاكم بلنسية، في النصف الأول من القرن الهجري السابع، اضطرّ، لَمّا اشتدّ حصار مملكته من قِبل النصارى، إلى الاستغاثة والاستنجاد بالحفصيّين؛ فأوفد ابنَ الأبار إلى أبي زكريا يطلب المَدَد والنجدة. وقد ربطَ الشاعر علاقة مميّزة بهذا الحاكم، ولا سيما حين لجأ إلى إيالته فارّا، واستقرّ فيها، يتابع نكبة بلنسية بأسى وحرقة، ويبكيها بكاء شديداً، إلى أنْ وافته المنية بعيداً عن بلدته العزيزة سنة 658هـ. فقد مَدَحه بأشعار كثيرة، أسْبَغ عليه فيها أوصافاً جليلة كثيرة، دون أن يغفل تضمينها معانيَ أخرى؛ من الاستنجاد به لإغاثة أهالي بلنسية المحاصَرين، وحثّه على مدّ يد العوْن للجيش البلنسي المسلم قصد ردّ عدوان المسيحيين.

إن هذه المعطيات الوفيرة عن شعر ابن الأبار ما كان لنا لنظفر بها لولا تحقيقُ الهرّاس ديوانَه، ونشره ملحقاً به حوى أشعار ابن الأبار الأخرى التي جمعها من مصادر أدبية أخرى تحفظ بعض شعر الرجل. وبهذا تسنّى للقارئ اليومَ معرفة الديوان المذكور، وتصحيح أحكام قيلت، فيما قبْلُ، عن شاعرية ابن الأبار، أوْمَأنا إليها سابقاً. وأدرك، كذلك، وجهاً آخر من شخصية ابن الأبار، الذي لقبه ابن الأحمر بـ"سراج العُلوم"، وهو ابن الأبار الشاعر المُكْثِر المُفْلِق المتفاعل، وجْدانيا وإبداعيا، مع مأساة وطنه، والساعي، بكل ما أوتي من قوة وإمكان، من أجل حشد الدعم له، والبحث عن إعانات لنصرة حاكم بلنسية، وإمْداد أهاليها وجيشها بما يحتاجونه للاستمرار تحت الحصار الخانق، ولمُواجهة النصارى وخطرهم المُحدق بهم. وإذا علمْنا بأن الدارسين والمهتمّين بأدب الأندلس القديم لم يكونوا يُثْبتون لابن الأبار سوى نزر يسير من الأشعار، لا يُؤهّله لأنْ يُعَدّ ضمن زمرة الروّاد في الشعر الأندلسي، أدرَكْنا، بما لا يدع مجالا للشكّ، ريادة المرحوم عبد السلام الهراس في مجال التعريف بشعر ابن الأبار وتحقيقه ودراسته ونشره وتدريسه؛ هذا الشعر الذي وضعه بين أيدي القرّاء، في مجموع شعري ضخم، يستحيل أنْ يستغنيَ عنه أي باحث في هذا المجال. ويعدّ تحقيقه هذا واحداً من الأعمال الجليلة التي يزدان بها (ريبرتوار) الهراس، يُضاف إليه إرْث علمي وفكري ودعوي غنيّ خلّفه الراحل، وسيظل مصدراً للباحثين في الأدب الأندلسي، ولا سيما لأولئك الذين يتخذون من إنتاج ابن الأبار عامة، ومن أشعاره خاصة، موضوعاً للدراسة.

معالم من فقه التاريخ ومقاصده في فكر الأستاذ عبد السلام الهراس

من خلال كتاب: «الأندلس بين الاختبار والاعتبار»

د. الطيب الوزاني

أثارني فيما أثارني من كتب واهتمامات الأستاذ الهراس اهتمامه المزدوج بتاريخ الأمة وحاضرها اهتماما جليا يمكن عده أحد أهم خصال الرجل وأكبر مميزاته التي جعلت منه مفكرا إصلاحيا بامتياز.

وسيعنى هذا المقال ببيان ذلك من خلال كتابه "الأندلس بين الاختبار والاعتبار" الصادر عن دار الأندلس الخضراء، الرياض سنة 1426هـ . 2006م. إذ فيه يظهر بجلاء حضور فكرة التاريخ والتوظيف الأداتي لها في فهم حركة الحاضر وتصحيحها.

فما هي القضايا التي تناولها الدكتور الهراس في فقه واقع التاريخ الأندلسي ؟ وكيف جاز بها إلى فقه الواقع الحاضر للأمة؟

أولا. فقه التاريخ الأندلسي:

ليس القصد من كتاب "الأندلس بين الاختبار والاعتبار" سرد الوقائع لذاتها وإنما الغاية هي سرد ما له قيمة في بيان أسباب محنة المسلمين في الأندلس وإبراز مظاهرها وعللها والوقوف على مختلف الأسباب التي أدت إلى ضياع الأندلس من يد المسلمين ، وما لحقهم من العذاب والإخراج بسبب ما كسبته أيديهم، يقول الهراس حاصرا مقاصد الكتاب: "ومن شرط هذه الرسالة لزوم الخط الذي يسير في رصد أسباب وعوامل وظواهر سقوط الأندلس" (ص. 162). ولهذه الغاية بذل جهدا كبيرا في الكشف عن مجموعة من الأسباب والعلل التي كانت وراء سقوط الأندلس سماها أخطاء، ومنها:

1 ـ عزل موسى بن نصير وطارق بن زياد:

اعتبر الدكتور الهراس أن من أكبر الأخطاء التاريخية التي سقطت فيها القيادة الإسلامية في دمشق هو عزل الفاتحين الكبيرين موسى بن نصير وطارق بن زياد إذ بعزلهما توقف الفتح، يقول في هذا الصدد: "إن هذا الخطأ كان في رأيي خطأ استراتيجيا خطيرا لما ترتب عليه من نتائج وخيمة، كما أن إبعاد طارق عن ولاية الأندلس كان خطأ أشد منه أيضا" (ص.17)، ويأخذ الهراس من مصادر تاريخية أن طارق ابن زياد كان يملك مشروعا كبيرا هو فتح أوروبا كلها إلى القسطنطينية، هذا المشروع أخاف السلطة الأموية في دمشق وجعل الخلفاء الأمويين ينظرون بعين الريبة والارتياب من هذا المشروع والخوف من سحب بساط الخلافة من تحت أقدامهم، يقول الدكتور الهراس: "من المعلوم أن مشروع القيادة الإسلامية: "موسى وطارق" كان اختراق أوروبا انطلاقا من الأندلس للوصول إلى القسطنطينية العظمى" (ص. 14)، ويضيف قائلا إن الخلافة الأموية لم تقدر هؤلاء الرجال حق قدرهم، فكافأتهم على الفتح العظيم بالعزل والإهمال وربما بالتحريض على القتل..." ويتعجب من هذا الذي أقدمت عليه القيادة في دمشق قائلا: "ومهما يكن فإن أفعال العقلاء تصان عن العبث، وهذا ما يجعلنا نقف دائما حيارى أمام بعض الأفعال والإجراءات التي حدثت لوقف فتح من الفتوح، أو إجهاض مشروع حضاري مهم، أو إزهاق روح عمل جليل، أو شل حركة مباركة، أو محاربة المبادرات الطيبة التي تستحق التشجيع والمساندة " (ص.18-17)

2 ـ عدم استكمال فتح شبه جزيرة الأندلس:

عد الأستاذ الهراس هذا التوقف "من الأخطاء الاستراتيجية الوبيلة" لأنها هي التي صارت مع الزمن التهديد الأقوى الذي بسببه تقوض المشروع الحضاري الأندلسي يقول الأستاذ منبها على خطورة هذا الأمر: "والذي يهمنا هو أن هذا العلج (يقصد بلايو الذي تفلت من يد المسلمين وتحصن في هذا الحصن) قد استأسد، واستشرت قوته في تلك المنطقة، بعد أن استعصم بجيب في كهف من تلك الجبال الشاهقة، وامتنع عن المسلمين بعد موسى بن نصير، ولم يستطع أحد استنزاله ولا الإلقاء عليه، بل إنهم استهانوا بقوته واستقلوا جيشه... ووثقوا في قدرتهم على مواجهته إن تجرأ عليهم، فإذا به يستجمع فلول النصارى القوط وغيرهم ويكون منهم جيشا استبسل في مدافعة المسلمين والخلاص ما أمكن من أيديهم حتى استطاع أن يكون مملكة ذات كيان قوي انطلقت تتسع دائرتها شيئا فشيئا حتى اجتاحت بلادا شاسعة ... وكان ذلك في نظرنا بسبب قرارات خاطئة خطيرة" (ص.32).

3 ـ العصبية القبلية:

ذلك أن الأندلس عرفت منذ عصرها الأول تعددا عرقيا تكون من العرب والبربر الفاتحين والسكان الأصليين ومن اليهود والنصارى، وكان العرب قبائل متناحرة، ويرى الدكتور الهراس: "أن من يتصفح تاريخ هذه الحقبة يأخذه العجب من الدماء التي سالت داخل القبائل العربية المنضوية تحت حكم الأمويين، وإن أدبيات هذا العصر لتعكس الصراع المرير الذي كان بين الأشخاص والقبائل والأحزاب مما كان له أسوأ الأثر على سير الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، والمهم أن السياسة الأموية التي كانت تقوم غالبا على تقريب قبيلة وإبعاد أخرى قد انعكس أثرها على الأندلس انعكاسا سيئا.. بطأت الفتوح وأفرغت بعض الثغور، وجعلتها عرضة للنصارى المتربصين سواء من القوط أو من الفرنجة"(ص.25)، وينتقد سياسة الأمويين في الأندلس ويعتبرها: "غير سديدة في معالجة أمور الأندلس إلا في أحوال قليلة، وأن العاهة الكبرى التي أصيبت بها هي الاعتماد على العصبية القبلية التي كانت السمة الغالبة على بعض الولاة المتأخرين؛ ونتيجة لذلك، فقد تراخى الفاتحون في استئصال جيوب المقاومة، وأغفلوا العناصر الخطيرة،... وهذا أدى إلى انتعاش المقاومة واستفحال أمرها، إلى أن أصبحت مملكة ثم ممالك، ثم التهمت الأرض واستولت على الثغور الإسلامية، وتوسعت شيئا فشيئا حتى أصبحت دولا وممالك قائمة، ولم يعد لقرطبة القدرة على محوها وإزالتها حتى في عنفوان قوتها أيام الناصر والمستنصر والحُكم العامري" (ص. 33)

4 ـ سوء معاملة البربر:

يرى الدكتور الهراس أن هذا السبب كان من الأسباب التي فككت أوصال الأندلس وكان علامة على "السياسة الهوجاء وسوء التدبير الذي أظهره ولاة الأمويين بإفريقية، فقد عسفوا بالبربر وحملوهم ما لا يطيقون وأهانوهم إهانات بالغة" (ص. 35) "وظلموا وتعدوا حدود الله في إخوانهم البربر".

إن الدكتور الهراس ينظر في هذا السبب إلى آثاره البعيدة المبيرة ومآلاته الخطيرة فتراه يؤكد أن ذلك: " كان له أسوأ الأثر في تقوية نصارى الأندلس وتضامنهم وتعاونهم وتنظيم شؤونهم واجتياحهم عدة مواقع وبلدان" (ص.34)

5 ـ بيعة الصبي هشام المؤيد:

من الأخطاء الاستراتيجية القاتلة في نظر الأستاذ الهراس هو بيعة الأندلسيين لهشام المؤيد وهو لا يزال صبيا، وهو خطأ استراتيجي قاتل يقع في أوج عظمة قرطبة يرتكبه الحكم المستنصر وهو أخذ البيعة لولده هشام وهو بعد صبي (سنة 365هـ) وكان له أسوأ الآثار في ضياع الأندلس" (ص. 40)، لكن لماذا؟ لأن خطة الإمامة العظمى وظيفة دينية وخطة شرعية لا يجوز التلاعب والاستهتار بها من أجل تثبيت صبي في إمارة المؤمنين (ص. 42)، ويرصد الدكتور الهراس آثار هذا الخطأ في أنه فتح الطريق أمام الحاجب المنصور بن أبي عامر في أن يتفرد بالحكم ويورثه لأبنائه ويقضي على جميع الخصوم وأهل الخير فقد

كان الرجل كما يصفه الأستاذ الهراس "حاكما عظيما، وداهية من دهاة الأندلس قاطبة، بل إنه كان فريد صنفه، ونسيج وحده، فقد استطاع أن يشق طريقه إلى الحكم المطلق من خلال مصاعب جمة، وظروف صعبة" (ص.44)،

كما أن هذه الظاهرة تكررت لما عين عبد الرحمن شنجول ولده الطفل في خطة الحجابة ولقبه بسيف الدولة (ص.55)، وقد فتح هذا الأمر الباب لاستبداد الحجابة بالخليفة وانتهاج سياسة الاستبداد مع الجميع. ورغم أن عصر ابن أبي عامر كان من أزهى العصور وأقواها إلا أن الاستبداد القوي، والسياسة القبلية، والإساءة لبني أمية بالقتل والتشريد، والإبقاء على ممالك النصارى قائمة، والقضاء على مركز العلماء كل هذا جعل البلاد الأندلسية مهيأة للانفجار (ص.52)، وأدخلها في حرب أهلية شديدة انتهت بسببها الخلافة الأموية ودخلت الأندلس عصر ملوك الطوائف واستقوت ممالك النصارى وانقلبت موازين القوى، وبدأ عقد الأندلس ينفرط وبدأت المدن العامرة بالعلم والحضارة تقع في يد النصارى

6 ـ التفرقة والحروب الأهلية:

لم يخص الأستاذ الهراس هذا العنصر بفقرة خاصة في كتابه لكنه سبب ظل يركز عليه ويشير إليه مرارا وتكرارا، فإن الأندلس رغم وحدتها المذهبية والسياسية زمن الإمارة والخلافة الأموية وقبلها زمن الفاتحين والتبعية للمركز في دمشق إلا أن بوادر الفرقة والاختلاف المشؤوم ظل يخيم على الأندلس، وكلما وجد ضعفا في السلطة القائمة أطل برأسه مهددا الوحدة، ولقد تمكنت هذه الفرقة في المجتمع الأندلسي من أن تسقط الخلافة الأموية زمن ضعفها وضعف الحجابة العامرية، ودخلت الأندلس في فتنة طائفية بين الأمراء وبين القواد وبين العناصر القبلية العربية والبربرية واليهود والنصارى، وكانت هذه الفتنة شر فتنة فرقت بلاد الأندلس قددا، وأخرجتها من دائرة القوة والتأثير الحضاري إلى دائرة التشتت والضمور، وينتقي الأستاذ الهراس نصا تاريخيا لابن الخطيب يصور فيه حجم هذه الفرقة فيقول : "وقد ذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار" (ص. 96 نقلا عن ابن الخطيب في إعمال الأعلام، ص. 144)، ويأخذ عن عبد الله عنان أيضا يصور واقع الفرقة الذي آلت إليه الأندلس بعد عز ووحدة وقوة، فيقول: "ثم هي (أي الأندلس) منذ أوائل القرن الخامس تنحدر فجأة إلى معترك لا مثيل له من الاضطراب والفتنة والحرب الأهلية لتخرج من هذا الغمار بعد فترة قصيرة أشلاء لا تربطها رابطة مشتركة، وإنه لمنظر مروع مؤس معا.. أن تنسى في خلال هذه الفترة الخطيرة المؤسية من حياتها أو تتناسى قضية الأندلس الكبرى، قضية الحياة أو الموت، أو بعبارة أخرى قضية الصراع ضد العدو الخالد . أعني النصرانية" (ص.97) عن عبد الله عنان: دول ممالك الطوائف، (ص. 11) ويأخذ الهراس من هذه الفُرقة آثارها الوخيمة على المشروع الحضاري للأمة مثل: "فقدان أراض كثيرة صارت تحت سيطر الممالك النصرانية... وكلها كانت استراتيجية هامة تحمي الأندلس كلها.. ومن أسوأ نتائج هذه الفتنة أنها أرست قواعد الطوائف ونظام الممالك الصغيرة التي كانت أقواها أضعف من أن تحمي نفسها بله أن تحمي الأندلس كلها" (ص.95)

ويقول في موطن آخر عن إمكان الوحدة بين ملوك الطوائف: "لقد كان هناك قادة أقوياء في كل من سرقسطة وإشبيلية وغرناطة وبطليوس... الذين لو اتحدوا لكانوا قوة لا تدفع الخطر عنهم وعن كافة المسلمين، بل لاستطاعوا أن يفرضوا قوتهم على الممالك النصرانية الثلاث...، لكن قوة هذه الممالك (الطوائف) كانت تستهلك في الفتن فيما بينهم، وفي تربص بعضهم ببعض، وفيما يقتضيه التوجس وسوء الظن المتبادل بين الجيران المسلمين واستعداد كل واحد منهم للبطش بأخيه المسلم (مثلما هو الحال بين الأشقاء العرب وبعض الأشقاء المسلمين)"(ص.123)

7 ـ الفساد الأخلاقي:

يشير الأستاذ الهراس إلى أن الأندلس عرفت حضارة قوية لم يحافظ عليها كثير من

أبنائها من الأمراء والعلماء والوجهاء والقادة العسكريين بسبب الانغماس في الملاهي والملذات والفجور والخمور، فتجد الأستاذ يرد ضعف الحجابة العامرية مثلا إلى أسباب كثير منها "انهماك عبد الملك بن المنصور في الشراب"(ص.53)، وقبيل زمن الفتنة القرطبية "صار شرب الخمر جهارا، وانتشر الزنى واللواط والعيث والفساد والسرقة "(ص.65)، و"انشغال بعض الملوك بالتنافس على القيان لتزيين مجالسهم بالغناء،... كما وقع التنافس في بناء القصور والمنتزهات، ... والتنافس عموما على تزيين البلاط بالشعراء" (ص.130)، كل هذا كان له آثار سلبية على المشروع الحضاري الإسلامي بالأندلس.

8 ـ الاغتيالات السياسية والفتك بالخصوم:

إن واحدة من الظواهر البارزة التي ميزت التاريخ الإسلامي بالأندلس ظاهرة الصراع الشرس والقوي على النفوذ والسلطة بمختلف مراتبها سواء في عهد الفاتحين أو في عهد الإمارة أو الخلافة أو الحجابة والأمر صار أقوى في عصر الفتنة القرطبية وما أعقبها من صراعات وتمزق بلاد الأندلس بسقوط حكم بني أمية وفتنة ملوك الطوائف.

إن هذه الصراعات لم تكن تعرف طريقا لحلها غير السيف والغدر والحرب، وأنت تقرأ كتب التاريخ تكاد تتيه في كثرة الخصوم وكثرة الاغتيالات وتداخل الأحداث تداخلا معقدا، ولم يكن يصفو الجو للأقوياء إلا بالقضاء على الخصوم، وإذا لم يوجد الحاكم القوي أطل الخصوم من كل حدب وصوب وانفرط عقد السلطة، وقد يتولى الحكم في سنة واحدة أو في أشهر قليلة أكثر من واحد.

ولم يقتصر الأمر على مرحلة الضعف بل حتى في مرحلة القوة، فالحاجب محمد بن أبي عامر وإن كان بذل جهودا جبارة في الحفاظ على هيبة الدولة الأندلسية الموحدة تحت رعاية الخلافة القرطبية وبسط الأمن.. واستطاع أن يبث الرعب في قلوب ملوك النصارى... فإنه جنى على الأندلس باستبداده ونظامه الأمني الصارم، وبالقضاء على القيادات العظيمة، بل حتى من كان يتوسم فيه الاستعداد للقيادة والحكم" (ص. 94)

ويحكي عن حاكم إشبيلية (عصر الطوائف) المعتضد أنه دشن عهده بالاضطهاد والقضاء على رجال والده..، كما أعد حملة لاحتلال قرطبة، لولا نكول ولده إسماعيل الذي حاول الفرار من والده، فبطش به، وقتله مع وزيره البرزالي، وفي سنة 445 هـ دبر مكيدة خبيثة للقضاء على بعض الأمراء وفيهم حلفاؤه، فاستدعاهم إلى قصره، ثم ألقى عليهم القبض، وقتلهم خنقا في الحمام ... وكانت للمعتضد حديقة مغروس فيها كثير من جماجم خصومه الأمراء وغيرهم، فكنت تسمى حديقة الجماجم، كما كانت له جوالق بها جماجم أخرى (ص. 113، عن الذخيرة لابن بسام)

والخلاصة أن ظاهرة الاغتيال السياسي والقضاء على الخصوم بأفتك الأساليب وأقساها عنفا ووحشية كانت الأسلوب السائد في الجزيرة الأندلسية الأمر الذي غذى في النفوس الحقد المستمر وأذهب بالأخوة وبالمصالح العليا للأمة ولم يكن من غاية للحاكم إلا حفظ كرسيه من الأعداء.

9 ـ تغليب المصلحة الذاتية على مصلحة الأمة :

يجمل الأستاذ الهراس سقوط الخلافة الأموية بعبارات تفيد أن الأمة آلت في مرحلة من تاريخها أن تغلب عليها أصحاب المصالح الذاتية من الأمراء والقواد وغيرهم من الأشخاص والفئات الاجتماعية والعلمية، وارتفع سعار التنافس بينهم ليس في مصلحة الدولة والأمة بل في سبيل الحفظ على المصالح الذاتية؛ يقول الأستاذ الهراس: "وهكذا اندثرت دولة بني أمية التي أسسها عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ ، وانهارت على يدِ أحفاده الذين لم يجدوا من يُعدِهم بعد الحكَم المستنصر للاضطلاع بالأمر، وأكثرهم حظا وعقلا وهمة وجد نفسه محاطا ببطانة تتنافس تنافسا غير شريف بقصد تحقيق مصالح خاصة، وتتقاتل لكن ليس بدافع الحفاظ على الدولة ومقام الخليفة، ولكن صيانة لمكاسبها أو طمعا في التربع على كرسي الحجابة أو الوزارة، والرغبة في حيازة ألقاب الأبهة والحكم أو التآمر على هذا الجانب أو ذاك، أو بدافع المغامرة واغتنام الفراغ الهائل الذي حدث في الحكم والإدارة والقيادات العريقة للظهور وممارسة زعامة ذوي البطالة والانحراف والغوغائية والبطش"(ص. 77)

10 ـ موالاة النصارى والاستعانة بهم في القضاء على الإخوة المخالفين :

بسبب ضعف الإمارة وضعف الحكام وكثرة الإخوة الأعداء وتربص الحساد كانت تعلو مصلحة الحفاظ على الكرسي ولو بارتكاب المحظور كما سلف ومن أنواع هذا المحظور الاستعانة بالممالك النصرانية في محاربة الإخوة واسترداد ملك أو ثأر يقول الدكتور الهراس: "وبسبب سياسات ملوك الطوائف القائمة على أطماع بعضهم، والخوف من البعض الآخر، اضطروا جميعا إلى الاستعانة بالممالك النصرانية، وأداء الإتاوات إليها، والتنازل لها عن بعض المواقع، وإخلاء بعض المدن، والتقاعس عن نصرة بعضهم بعضا" (ص.127)، وعن الصراع بين بني ذي النون وبني هود يقول الدكتور: "والتجأ ذو النون أمام خطر أطماع بني هود وبني عباد إلى النصارى، وبذل لهم أموالا، ولم يقصر في تخريب بلاد بني هود، كما استعان هؤلاء ـ يعني بنو هود ـ أيضا بالنصارى لتخريب بلاد ذي النون .. وهكذا أتيح للنصارى أن يحتلوا قلعة قَلَهُرَّة وهي من أهم القلاع الإسلامية"(ص. 128) وهكذا يخلص الأستاذ إلى أن الاستعانة بالنصارى كان من أكبر الأخطاء التي أدت إلى التهام الجزيرة تدريجيا، يقول :" وهكذا نرى ملوك النصارى الثلاثة : القشتالي والنبري والليوني وجدوها فرصة في التلاعب بأمراء المسلمين والتآمر عليهم، فهم مع ذا ضدا على ذاك، ومع ذاك ضدا على ذا، وهم في الحقيقة ينجزون حقائق ناصعة في الاستيلاء على بلاد المسلمين، والتنافس على اقتطاع أطراف من تلك الممالك، تمهيدا لإخراج المسلمين من الأندلس نهائيا(ص 129)، وما سقوط طليطلة المدينة العظيمة في أيدي النصارى سنة 478هـ من غير رجعة إلى اليوم إلا بسبب موالاة النصارى (ص.139)، وقد تكرر نفس هذا السلوك الأخرق إلى أن صارت الأندلس كلها في خبر كان.

إن واحدة من الظواهر البارزة التي ميزت التاريخ الإسلامي بالأندلس ظاهرة الصراع الشرس والقوي على النفوذ والسلطة بمختلف مراتبها سواء في عهد الفاتحين أوفي عهد الإمارة أو الخلافة أو الحجابة والأمر صار أقوى في عصر الفتنة القرطبية وما أعقبها من صراعات وتمزق بلاد الأندلس بسقوط حكم بني أمية وفتنة ملوك الطوائف.

11 ـ الاستعانة بالعنصر الأجنبي في تولي أمور الدولة المسلمة

يضع الأستاذ الهراس يده على واحد من بين أهم الأسباب في خراب الأندلس وأفول نجم المسلمين بها إنه الاستعانة بالعنصر اليهودي والنصراني في تولي مناصب كبيرة في الدولة، يقول: "ومن الآفات الخطيرة التي كان لها أسوأ الأثر في تدهور الممالك الطائفية استعمال اليهود والنصارى والثقة بهم وإسناد شؤون مهمات إليهم.. فالمعتضد كان يستخدم في بلاطه وزيرا نصرانيا مستعربا (يصفه ابن بسام بأنه بعد أن صار وزير ألفونسو السادس: .. بالشيطنة والدهاء والجاسوسية وأنه كان طامة كبرى على المسلمين.."

كما استخدمت غرناطة اليهودي ابن النغريلة إسماعيل ثم ولده يوسف الذي كان يتآمر على سيده واستطاع أن يستولي على القصر ويحيطه بجواسيسه، ويضبط حركات وسكنات سيده باديس.. لكن الغرناطيين ثاروا عليه" (ص 132)

إن الأستاذ الهراس وهو يبين هذه الآفة يحذر منها لأنها كانت ولا تزال مدخلا لكثير من الشرور يقول: "إن الأيادي الخفية والعلنية للعناصر المناوئة للمسلمين قد اضطلعت بمؤامرات ومهمات كثيرة للإيقاع بهم والضرب فيما بينهم وكشف عوراتهم لملوك النصارى، وإن كان بعض الحاقدين من البيوتات الحاكمة لم تتورع عن خدمة ملوك النصارى." (ص. 132. 133)

ثانيا: من فقه الواقع التاريخي إلى فقه الواقع الحاضر:

لا يخفى أن كتاب "الأندلس بين الاختبار والاعتبار" وإن كان كتابا في التاريخ وفي تجربة تاريخية مرت منذ زمن، إلا أن الأستاذ الهراس لم يكن غرضه الدراسة التاريخية الجافة ولا دراسة التاريخ من أجل التاريخ فحسب، وإنما دراسة التاريخ بقصد الاعتبار فبين واقع الأندلس وواقعنا الحالي كثير من أوجه التشابه والتماثل، كما أن خروج المسلمين من الأندلس وإن كان قد مر عليه لحد الآن أزيد من ستة قرون فإن آثاره لا تزال فاعلة بل إن بداية تشكيل النظام العالمي الحالي في صورته العالمية والاستعمارية وتضخم المركزية الغربية بدأت مع طرد المسلمين.

ولأهمية التجربة الأندلسية في الاعتبار كان هذا الكتاب وكان الأستاذ بقدر ما يفتح عينيه على الماضي يفتحهما على الحاضر، ويتحدث عن الماضي وهو يلمح للحاضر فتراه يغوص في الماضي بهموم الحاضر، ويرى الليلة أشبه بالبارحة، يقول وهو يتحدث عن ممالك الطوائف وقوة الفرقة والخلاف والاحتراب بينهم: "لكن قوة هذه الممالك (الطوائف) كانت تستهلك في الفتن فيما بينهم، وفي تربص بعضهم ببعض، وفيما يقتضيه التوجس وسوء الظن المتبادل بين الجيران المسلمين واستعداد كل واحد منهم للبطش بأخيه المسلم (مثلما هو الحال بين الأشقاء العرب وبعض الأشقاء المسلمين)"(ص.123)

بل إنه لم يذكر في اعتقادي سببا من أسباب سقوط الأندلس، ولا وصف مظهرا من مظاهر ضعفها وسوء تدبير أهلها وكثرة غفلتهم وتخاذلهم إلا وفي ذلك قدر كبير من التعريض بواقعنا والتلميح لحالنا ودعوة للاعتبار ، ونصح ذكي لذوي الألباب والأبصار. إذ يقول مثلا: "وقد امتحن عالمنا بامتحانات شتى، وتعرض لكوارث واعتداءات خارجية وما يزال، ولاضطرابات داخلية ولم يزل، ومع ذلك ما رأينا ولا سمعنا ولا قرأنا أن دولة من دول طوائفنا اعتبرت أو التفتت إلى أسباب ذلك، ولا إلى دراسة السبل والوسائل التي تمد المجتمع والدولة بمناعة ذاتية تستعصي بها عن الانهيار والضياع وإلى الإقدام على دراسات جدية ينبثق عنها تصور سليم لإقامة دولة متقدمة تحقق نحوا مطردا يلحقها بالأمم المتقدمة، وتحاط هذه الدولة بالمؤسسات والمراكز، وكل ما يمكنها من حماية نفسها، ويضمن لها التقدم في خضم المؤامرات الظاهرة والباطنة للصليبية الجديدة التي لم تكشف بعد عن عظيم مكرها، وما كشفت عنه يكفي لإحياء الموتى، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، وتحذير التائهين، وردع المسهمين في الفتن الداخلية والتطاحن الأسري" (ص. 10).

هذا الخوف من هذا المصير المشؤوم جعله يلجأ الله تعالى ويسأله "أن يهيئ للدول الإسلامية والمجتمعات الإسلامية قيادات مؤمنة صالحة ذات كفاءة وأهلية تخرج بها من الأوحال المزرية التي تعيشها إلى مصاف الدول الراقية المتحضرة"(ص. 12)

ثالثا: خلاصات في معالم من شخصية الأستاذ الهراس:

أقتصر ـ هنا ـ على خلاصتين أرجو من خلالها إبراز جوانب من شخصية الأستاذ الهراس كما بدت لي في صحبتي له في هذا الكتاب، وهي:

الأولى ـ الهراس ذو معرفة بالتاريخ وفقهه:

يسعفه في ذلك نباهته العقلية، وذكاؤه في التقاط الصور والنماذج، والربط بين الأحداث بعللها المعقولة، ويسعفه في ذلك أيضا ذاكرته القوية التي يشهد له بها كل من عاشره، كما يسعفه في ذلك اطلاعه الواسع بواقع الأمة المعاصر ومختلف التجارب التي مرت بها، وصحبته لكبار المفكرين والأعلام أمثال المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، ومحمود شاكر، ومالك بن نبي، وغيرهم من الكبار.

الثانية ـ الهراس مصلح ذو فقه في الواقع وحامل رسالة إصلاحية للواقع:

لا يخفي الأستاذ الهراس همومه الإصلاحية؛ فهو ذو صدر مكلوم بما حل بالأمة في تاريخها وواقعها من مصائب أزالتها من ساحة الفعل والتفاعل الحضاري، ولذلك تراه لا يفتأ ينفث همومه عبر وسائل النقد البناء للواقع، وتشخيص الأمراض، ووصف الأدوية، ولا يفتأ ينبه على الأخطاء الاستراتيجية القاتلة في ماضي الأمة وحاضرها، وينصح بما يراه لازما لإعادة الأمة إلى تبوؤ ما بوأها الله من مواقع الشهادة على الناس.

فعلا لقد عاش الدكتور الهراس ينبش في أحافير التاريخ ليأخذ منه ما يلزم في تصحيح مسار الأمة ويخفف عنها ما ابتليت به من الشجون والتباريح بلسانه الفصيح ورأيه الصحيح وإرشاده الأبوي النصيح بأقواله، وأفعاله، وأحواله، في حله وترحاله، في سره وجهره، بنفس أبية وهمة عالية.

المرأة في فكر الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس رحمه الله

ذ. محمد حماني

عانى العالم الإسلامي، ومازال يعاني مشاكل عديدة لا تعد ولا تحصى؛ لعل من أخطرها مشكل المرأة الذي ظل يؤرق عقول المفكرين الذين حملوا على عاتقهم مشاكل هذه الأمة، وقضاياها ولا يزالون ظاهرين على هذا الواقع المر لا يضرهم قهر، ولا يبعدهم عن الأمور الجادة تهميش، هدفهم إصلاح الأمة والأخذ بأيديها إلى مدارج الشرف.

المرأة، والفكرة الإسلامية :

والدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) واحد من هؤلاء المفكرين المسلمين الذين ماتوا مهمومين بقضايا الأمة، وماتوا وهم مهمومون بقضايا الدعوة. ومشكل المرأة من المشاكل التي تصدى لها الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله)، وبحث لها عن حلول ناجعة ودافع عن المرأة دفاعا مجيدا رصينا، وعالج الأمر في رحم "الفكرة الاسلامية" حيث يقول: "وكان من الواجب علينا كأمة إسلامية أن نرجع إلى الإسلام لنقتبس منه النور الذي ينير لنا السبيل في معالجة مشكلة المرأة إذ إن الإسلام قد تصدى لهذه المشكلة وعالجها معالجة جدية عميقة ".(1)

لقد شغلت المرأة في كتابات الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) حيزا مهما يليق بمقامها، وأهميتها في المجتمع وأعطاها تصورا جديدا.. ورأى أنه لا إصلاح إلا بإصلاح الأسرة؛ "لأن الأسرة هي المصدر لقوة المجتمع أو ضعفه فعلى صلاحها يتوقف صلاح المجتمع وبفساده يكون فساده ".(2)

وظل الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) يشيد بنعمة الإسلام التي أنقذت المرأة من سمادير الجهل وأحدثت ثورة عارمة من أجل إعادة الاعتبار للمرأة، إذ يقول: "وهكذا نرى أن الإسلام قد أحدث ثورة كبرى في العلاقة بين الذكر والأنثى ولم يجار العالم "المتمدن" آنذاك في نظرته للمرأة. ولهذا كانت نظرة الإسلام أصيلة غير متأثرة بعوامل خارجية أو عوامل ذاتية بل كانت نظرته للمرأة نظرة موضوعية عادلة متمشية مع طبائع الأشياء ".(3)

كان رحمه الله في كتاباته يشخص الداء ويبحث عن مكمن الخلل من أجل الدواء؛ لأن تحديد العطب أصعب من إصلاحه؛ ولذلك فكل الدراسات التي عالجت أو حاولت علاج مشكل المرأة لم تصل إلى المبتغى؛ لأن "تلك العناية كانت سطحية ومؤسفة، كانت سطحية لأنها كانت تتناول مشاكل تافهة لا تمس جوهر مشكل المرأة، وكانت مؤسفة لأنها ضللت المرأة ولقنتها عن النهضة معاني تتعلق بقشور وشكليات ".(4)

لقد كانت المرأة حاضرة بجانب الرجل، وأدت دورا مهما في بث "الفكرة الإسلامية"، وكانت لها مواقف مشرفة لا تقل عن مواقف الرجل.

المرأة، بين الأسرة والمجتمع :

فعناية الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) بالمرأة كان وراءها تأمل صائب، ونظر ثاقب، وتوجيه راغب؛ لأنه كان يعرف ويدري دراية الخبير أن "ما تقدمه عاطفة المرأة المؤمنة، وحنانها، ورقتها، وإخلاصها ودموعها وصوفيتها من خدمة للمجتمع ليفوق بكثير خدمات المفكرين والفلاسفة ".(5)

ويرى الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) أن المرأة عنصر أساس في الدعوة إلى الله وخير داعية إلى "الفكرة الإسلامية" وإذا أخلصت للفكرة تخلص لها إخلاصا صوفيا حيث قال: "والمرأة أيضا هي المسؤولة عن الأجيال فهي التي تحمل وترضع وتربي وتمرض وتواسي، وفي كل تلك الأطوار والأحوال تبث عقيدتها وأفكارها في أولادها من خلال البسمات والدموع فهي خير داعية للفكرة ومبشر بها".(6)

> **ويذهب المفكر عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) إلى أن بناء الحضارة الإسلامية رهين ببناء المرأة على أساس "الفكرة الإسلامية"؛ لأن "المرأة الجديدة" -كما يسميها- هي المخلص الوحيد من مشاكلنا التي نعانيها، يقول رحمه الله: "يجب أن تزود المرأة بالفكرة الإسلامية البناءة لأن إهمال صياغة المرأة إيديولوجيا تعريض للأجيال المقبلة للخطر**

ويذهب المفكر عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) إلى أن بناء الحضارة الإسلامية رهين ببناء المرأة على أساس "الفكرة الإسلامية"؛ لأن "المرأة الجديدة" -كما يسميها- هي المخلص الوحيد من مشاكلنا التي نعانيها، يقول رحمه الله: **"يجب أن تزود المرأة بالفكرة الإسلامية البناءة لأن إهمال صياغة المرأة إيديولوجيا تعريض للأجيال المقبلة للخطر، لأننا نعتقد أن البيت هو المدرسة الأولى والأساسية لتكوين المواطن الصالح، الذي ينبغي أن لا نعتمد على الصدف لتكوينه، لأن المرأة هي القادرة وحدها على هذا التكوين، وكل محاولة تجهل هذه الحقيقة البديهية أو تتجاهلها فهي فاشلة في البداية والمصير.** ويجب أن يتم التكوين الثقافي للمرأة على أساس الفكرة الإسلامية، تلك الفكرة التي ستجد فيها "امرأتنا الجديدة" من الحقوق والمكاسب، والاستقرار النفسي والاجتماعي ما لا تظفر به في أي فكرة أخرى" (7).

مشكلة المرأة في ضوء الإسلام :

هذا، وقد بين الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) نظرة الإسلام إلى المرأة وكيفية علاجه لمشكلتها حيث يشخص أسس العلاج كالآتي:

أولا : أن مشكل المرأة حلقة في سلسلة من المشاكل الأخرى مرتبطة بها ارتباطا حيا وعضويا فلذلك يجب النظر إلى الجزء في مركبه عند المعالجة حتى لا تؤدي معالجة الجزء فحسب بقطع النظر عن علاقاته بالأجزاء الأخرى وملاحظة ما قد تتأثر به تلك الأجزاء إلى شلل هذه الأجزاء وحينئذ يسري الشلل حتى إلى ذلك الجزء المراد علاجه.

ثانيا : أن الإسلام عندما تناول مشكلة المرأة لم يعتبرها منفصلة عن مشكلة الرجل بل نظر إليهما على أنهما مشكلة فرد في المجتمع.

ثالثا : أما الأساس الثالث هو أن الفرد أو أن هذا الكل فيه الذكر والأنثى ولكل منهما خصائص بيولوجية محددة. وقد عالج هذا الأساس الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) في مقال له في مجلة "دعوة الحق" الغراء تحت عنوان "شهادة المرأة بين الإسلام وعلم النفس".

رابعا : يتمثل الأساس الرابع الذي عُولج في ضوئه مشكلُ المرأة في" التعدد " أو " التعديد" - كما يرى أحدُ العلماء - حيث عالجه الدكتور الهرّاس (رحمه الله) في مقال بيّن فيه أن الدين يتفق مع العلم والواقع، أو بالأحرى اتفاقهما مع الدين في موضوع " التعديد". ويؤكد الدكتور الهرّاس (رحمه الله) بأن قضية المرأة - باعتبارها مشكلة فرد - أخطرُ من أن تحل بكلمة تنشر وخطبة تلقى أو اجتماع يعقد أو مظاهرة تقام..إنها شائكة وخطيرة.

الدكتور عبد السلام الهراس وبجانبه الدكتور عبد الله الطيب

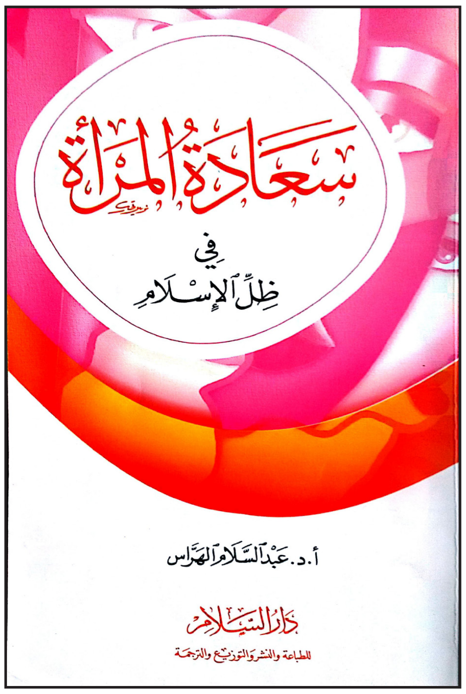

كما اهتم الدكتور الهرّاس (رحمه الله) بالمرأة في "بارقاته" الوازنة التي نشرت في ركن من جريدة "المحجة"، فجاءت عناوين بعض "بارقاته" كالآتي:

- المرأة المغربية المسلمة بين خطة الارتقاء وخبطة الأشقاء (العدد:126).
- حق المرأة في الزواج وتكوين الأسرة (العدد:143).
- هل تقدرون المرأة حقا (العدد:145).
- المرأة بين التنمية والتعمية (العدد:146).
- هناك نساء يردن تقدم المرأة وسعادتها وهنا (امرآت) يردن تأخرها وتعاستها (العدد:153).
- الإسلام يضمن للمرأة سعادتها أكثر ما تحلم به نساءُ الغرب (العدد:186).
- العزوبة والعنوسة ظاهرة مستفحلة ...فهل من علاج ؟ (العدد:293).
- المرأة والدعوة إلى الله (العدد :314).

تلكم إلمامة مختصرة عن مكانة المرأة في فكر الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس (رحمه الله) حيث تناول مشكل المرأة وأحاط به في شموليته، ونظر فيه بموضوعيته بعيدا عن الأهواء، فكان يعالج مشكل المرأة بعمق وتؤدة، ودافع عن المرأة في الملتقيات، والمؤتمرات التي حضرها داخل المغرب، وخارجه، فكان فارسا من فرسان الدعوة، وشيخا من شيوخها.. اللهم ارحم شيخ الدعوة الإسلامية الدكتور عبد السلام الهرّاس واجزه عنا خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناتك وألحقنا به مسلمين..آمين.

---

(1)- دعوة الحق، ع: 3، س: 3، (1959)، أ.د.عبد السلام الهرّاس، مقال بعنوان: " كيف عالج الإسلام مشكلة المرأة ؟ "، ص: 24.
(2)- نفس العدد، والصفحة.
(3)- نفس العدد، ص: 25.
(4)- دعوة الحق، ع: 2، س: 7، (1963)، أ.د.عبد السلام الهرّاس، مقال بعنوان: " المرأة الجديدة وعقيدتنا "، ص: 12.
(5)- نفس العدد، ص: 14.
(6)- نفس العدد، ص: 12.
(7)- نفس العدد، ص: 13.

زَهْــرُ الآسِ مـن كـلامِ الـهـراس

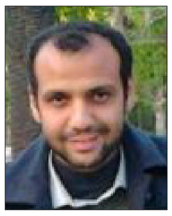

ذ. ناصر الدين لحمادي

علماؤنا مصابيحُ نستضيء بهم في ظلمة الرِّيَب ونسترشد بهم في متاهات الحياة، والحاجة إليهم بعدد الأنفاس، وموتهم ثُلْمَةٌ في الإسلام وصَدْعٌ في بنيان الأمة، إذْ هم لها الحِصنُ من الفتنة والملاذُ من الجهل... وقد رُزِئْنا نحن المغاربة بوفاة الأستاذ الدكتور العلامة عبد السلام الهراس رحمه الله ورضي عنه يومَ الجُمعة 1 جمادى الأولى 1436هـ، بعد حياة حبلى بالعلم والعمل، والكفاح والبذل؛ فقد كان رحمه الله وطنيا صادقا، ومنافحا عن بلده مجاهدا، وداعية إلى الخير مربيا... فعند الله نحتسبه، ومنه تعالى نرجو العوض، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وليست غايتي من هذه المقالة التعريفَ بشخصية الفقيد أو الترجمة له، فهو بحمد الله أشهرُ من نار علَى علم، وقد نعاه علماء كبار وأقروا بفضله وعلمه، منهم شيخنا العلامة يوسف القرضاوي، ولكن الغايةَ في هذا المقام جمعُ مختارات من كلام الشيخ الهراس رحمه الله ، خاصة مما كان ينشره بجريدة "المحجة" الغراء، وقد كان له في الصفحة الأخيرة منها ركن سماه: "بارقة"، وهي تسمية دالَّةٌ مُوحِيَةٌ من عالم لبيب وشاعر أديب، لبِثَ سِنينَ من عمره مصاحبا فحولَ العلماء محققاً ودارساً تراثهم... فـ "البارق" في اللغة: "السحاب ذو البرق"؛ وعلى هذا، فالتسمية كانت مفعمة بمعاني الأمل والتفاؤل، ذلك بأن العارضَ يُلِمُّ بسنى الرعد ونوره حاملا الغيث بعد القنوط وتمكن اليأس من النفوس... فكأن الشيخَ رحمه الله لا يلتفت إلى النكسات والبلايا التي تنهش جسد الأمة من ضعف وهوان وتخلف وبؤس، بل يتطلع في أمل إلى القابل من الأيام لعلها تكون أجمل.

وإننا بالعودة إلى بعض ما كتبه الشيخ، نريد أن نذكر أنفسنا وغيرَنا بكلامه الذي يُسْتَشْعَرُ فيه الصدقُ في اللهجة والغيرةُ في النصح، لعله يكون معالم في الطريق لصلاح أمرنا دنيا وآخرة... أورد منتخبات من كلامه دون تعليق عليه أو توطئة له أو تصرف فيه، إلا ما كان من وضعي عناوين للفقرات المختارة باستثناء العنوانين المحصورين بين مزدوجتين فهما من وضع الفقيد، وقد أقفز على بعض كلامه فأعبر عنه بالنقط الثلاث الدالة على الحذف... فدونا دُرَرٌ وشَذَراتٌ من كلامه رحمه الله :

في التأسف على حال العرب

"يقاس تقدم الأمم ونهضتها بما تحققه من الاختراعات في الميادين كلها... لذلك فإننا نقرأ ونشاهد عبر خريطة العالم المتقدم أنه يسابق المستقبل ويطلع علينا دائما بالجديد في ميادين الاختراعات والاكتشافات والتنظيمات والترقية الإدارية والمناهج التعليمية... أما نحن - العرب - فنحن الأوائل والأكابر في مجالات البصائر المطموسة والفتن الداخلية والغلول وتدمير البيئة وانتهاك كرامة الإنسان والتعقيدات الإدارية والتخلف في المناهج العلمية والمدرسية، وارتفاع نسب الأمراض المختلفة وانتشار الغش وترسيخ الظلم واستفحال البناء العشوائي وانعدام الجودة في الإنتاج وتراجع الإبداع الأدبي وتولية البلداء والانتهازيين للمسؤوليات الجسام، إلى غير ذلك من الأعراض الناتجة عن فساد القلب وتعفن الضمائر وتغلغل الجهل." (المحجة، ع381)

صنفان من الناس

"... وهناك من يظن أنه يخدم المسلمين وهو في الحقيقة لا يقدم لهم شيئا، فهو لا يسير إلا وفق أهوائه مندفعا بحب الظهور في مجالات لا تفيد المسلمين من قريب أو بعيد، وهؤلاء هم الأخسرون أعمالا. وهناك الظالمون لأنفسهم الذين يعيشون في غفلة مطبقة وتيه أرعن يملؤون أوقاتهم بالثرثرة ولغو القول، يقرؤون لغير هدف ويتحركون لغير غاية ويجلسون لقتل الوقت، حتى إذا جمعت زبدة الجد من مخض حياتهم ما حصلت منها على طائل..." (المحجة، ع357)

ولو أعجبك كثرة الخبيث

"ومن أسباب البركة في الرزق والزيادة فيه: الطاعات واجتناب الفواحش والمحافظة على الصلاة في وقتها ومع الجماعة وصلة الرحم والذِّكْرُ الحي المشروع، وحق التوكل على الله والثقة به وخالص الدعاء والاقتصاد في المعيشة والبعد عن الترف والتبذير. (وأن لو استقاموا على الطريقة لَأَسْقَيْنَاهُم ماء غدقا). (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا). وما سمعنا في المجتمع الإسلامي أنه كان يعالج الفقر والحاجة بالرقص والمجون... بل إن هذه المعاصي ستجعل الفقر يستفحل والحاجة تستمر والقلوب تقسو والرحمة تحبو والانحراف يسمو، والميوعة تشيع والروابط الروحية الدينية تتراخى وتندثر. إن المال والعطايا مهما بلغت أعدادها وتعاظمت حساباتها وبدرها إن لم تكن من حلال وإن لم تكن من النوع الطيب فإن الله لا يقبلها ولا يزكيها ولا يبارك فيها، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا. (ولو أعجبك كثرة الخبيث)." (المحجة، ع 379)

بم يبزغ فجرنا؟

"لقد طال ليل المسلمين، وكلما احْلولك الظلام واشتدت جحافله اشتدت الأشواق والأعناق إلى بزوغ أوائل خيط الفجر... ولعل الفجر كثيرا ما يهم أن يُطِلَّ من آفاقنا كما كان عهده في ماضينا المشرق، لكن ما أن يرى المسلمين ما يزال يقتل بعضهم بعضا، ويأسر بعضهم بعضا، وينهب بعضهم بعضا، ويتآمر بعضهم على بعض حتى يزّاور وينحرف عن آفاقنا تلك، لأن الفجر لا يعانق الظلام ولا يصطلح مع الظلم... إن بيننا وبين بزوغ فجرنا العظيم المفعم بالضياء والأنوار أن نعود إلى الله: إلى حبه وتوحيده وتعظيمه وطاعته وعدله وقرآنه، وإلى اتباع رسوله ﷺ والاهتداء بسنته وسيرته وإلى إيثار حبه على حب على حب أنفسنا وأولادنا وأموالنا؛ أن نعود إلى محبة المسلمين وولاء المؤمنين وإشاعة الخير والرحمة فيما بينهم وإقامة العدل في مجتمعاتهم والسهر على خدمة مصالحهم والغيرة على شرفهم وأعراضهم وصيانة كرامتهم... وعندئذ يبزغ الفجر ويتوالى بزوغه كما كان عندما كنا خير أمة أخرجت للناس..." (المحجة، ع383)

لعل الفجر كثيرا ما يهم أن يُطِلَّ من آفاقنا كما كان عهده في ماضينا المشرق، لكن ما أن يرى المسلمين ما يزال يقتل بعضهم بعضا، ويأسر بعضهم بعضا، وينهب بعضهم بعضا، ويتآمر بعضهم على بعض حتى يزّاور وينحرف عن آفاقنا تلك، لأن الفجر لا يعانق الظلام ولا يصطلح مع الظلم...

"أَلَق التحية"

"قبل بضع سنوات قام أحد السياسيين البارزين في هولندا بإقامة لوحة كبيرة في أحد شوارع روتردام كتب عليها: "ألَق التحية" بغية إشاعة روح الألفة والمدة بينهم... لقد شرع هذا الهولاندي في تشجيع الناس على هذه الفضيلة الإسلامية العريقة - التي عرفها المسلمون منذ مبعث رسول الله ﷺ - بعد أن رأى قومه في المدن الكبيرة لا يتسالمون ولا يتبادلون التحايا بينهم، بل ينظرون إلى المُحَيِّي بريبة وحذر وخوف، لكن الذي يحز في النفس أن مدننا الكبيرة بدأت تفقد هذه السنة، فيمر بك الرجل دون أن يُسَلِّم كما تعودنا قبل الاستقلال، ولا سيما في الشوارع "الراقية"، بل إننا أصبحنا أمام ظاهرة أخطر من ذلك وهي عدم تعارف الجيران فيما بينهم في العمارات الكثيرة الدور أو الشقق، وكذلك في الدارات الواسعة والفيلات المستقلة، بل يموت بعضهم في العمارة فلا يعلم جاره بذلك وربما يعلم فلا يمشي في جنازته وقد لا يُعَزِّي..." (المحجة، ع370)

حقيقة الاحتفال بمولد النبي ﷺ

"...إن أكبر احتفال برسول الله ﷺ هو في الاتباع لا في الابتداع وفي إقامة الشرع الذي أرسى قواعده لا في نقضه وطمس معالمه... إن حقيقة الاحتفال برسول الله ﷺ التي يفرح بها رسول الله ﷺ أن تصبح أموال المسلمين وثرواتهم في خدمة دينه ونشر أخلاقه وتطبيق أحكامه وإغاثة المسلمين الفقراء في إفريقيا وآسيا وغيرهما، لا أن تكون مكدسة في بنوك من يحارب الإسلام والمسلمين، ولا أن تكون في نشر الفجور والموبقات عبر الفضائيات الكثيرة التي تخرب أخلاق الشباب وتقوض رجولتهم وتفتك بتماسك الأسرة الإسلامية التي تعتمد عليها أمة محمد ﷺ الذي نحتفل اليوم بمولده. وأن تصرف أموال المسلمين في نشر العلوم والمعرفة، وإعداد رجال النهضة ونسائها، وفي الارتقاء بمستوى القيادات والتسيير والتوجيه لا في التفاهات ومجالات الإسراف والتبذير..." (المحجة، ع335)

الوحدة المرجوة

"كان الكاتب الكبير سعيد العريان رحمه الله يسمي "الاستعمار" "الاستخراب" وقد أجهز الغرب بما فيه روسيا على الخلافة العثمانية فمُزِّقَتْ شرَّ مُمَزَّق، ولم ينج منها سوى تركيا العثمانية بزعامة مصطفى أتاتورك، وما وقع للخلافة وقع للمغرب ويقع الآن للسودان الذي يفصل عنه الجنوب وهناك محاولة لفصل دارفور. في حين نرى الغرب يحقق بطرق سلمية وبإرادات حرة وحدته المنشودة ابتداء من السوق الأوروبية المشتركة، وبذلك قضت أوربا على أسباب الحروب في قارتها واتجهت لبناء نفسها، وأقرب البلاد إلى الاتحاد: المغرب العربي... إن وحدة المغرب الكبير ممكنة إذا صفت النيات وتوحدت الإرادات لا سيما وأن ديننا الحنيف يحضنا على التآخي والتعاون في الرخاء والشدة والقرب والبعد... ولكن الذي يدعو إلى الأسى أن تلحظ أصواتا غريبة تفضحها المصادفات تردد من حين لآخر حقدها على أشقائها وجيرانها مما يدل على أن القابلية للاستعمار ما تزال تسكن قلوبا عفنة، طهر الله بلاد المسلمين من هذا الصنف المريض... إن القيادات المطلوبة لعالمنا الإسلامي هي التي تنهمك في التفكير والتخطيط لبناء النفوس والقلوب لتوحيد الإرادات وتوجيهها للبناء والتشييد بحماس متزايد وتنافس في الخير وثبات على المبادئ السامية دون كلل أو ملل. إن الصنف المريض ذاك ينشأ في وسط فقير إلى علماء الإسلام والقيادات المؤمنة التي تربي شعوبها على المحبة والتعاون على الخير والإخلاص للمبادئ السامية." (المحجة، ع352)

"الدولة المغربية بين حصانة الإسلام وتخريب الإلحاد"

"لقد سجل التاريخ ميلاد الدولة المغربية عندما ارتضى الشعب المغربي الإسلام دينا ومن ثم بدأ يبني نفسه وانطلق يضم لذاته عناصر أخرى بعد أن يطهرها من أدرانها الوثنية ومعوقاتها الشهوانية ومتاهاتها الخرافية، وذلك بالتوحيد الخالص وبالعبادة الصحيحة وبالعقلية العلمية الناصعة. وهكذا أصبح المغرب دولة عظمى لا بعَدَدِها وعُدَدِها ولكن بحضارتها وعلومها وسمو أخلاقها ونبل رجالاتها وشرف نسائها... ولامتزاج الدم المغربي وعقله وروحه ومزاجه بل ونفسه بالإسلام وبمذهب إمامنا مالك رضي الله عنه رفض كل دين وكل نحلة... ولذلك لم يجد مذهب العبيديين بيئة لهم بالمغرب فارتدوا على أعقابهم خاسئين، كما اندثرت البرغواطية وبادت نحلة العكاكزة، بل حتى التصوف رفض المغاربة التصوف الفلسفي ذا الشطحات وارتضوا التصوف المبني على السنة والعلم بالشرع بإمامة الشيخ عبد السلام بنمشيش... إن هذه الروح الإسلامية الوثابة والعميقة والراسخة هي التي حمت الدولة الإسلامية المغربية... لكننا لاحظنا معاول الإلحاد وهدامات الانحلال تهاجم الإسلام ورجاله وتعاليمه، وقد كان ذلك بالأمس القريب بلافتات إيديولوجية، أما اليوم وقد تمزقت اللافتات وسقطت الأقنعة فأصبح التخريب والتهديم والتقويض باسم مؤتمر بكين ومؤتمرات باريس وواشنطن ومواثيق الأمم المتحدة... بل إن حياتنا تسير إلى الأسوأ في العلاقات الأسرية والاجتماعية وتتدهور أخلاقنا تدهورا مخيفا. وهذا كله يجعل علاقة الأجيال المقبلة بمجتمعها ودولتها متوترة وسيئة، لأن عوامل الولاء تغيض وعوامل السخط والتمرد تفيض، وجل إعلامنا والإعلام الخارجي يغذي الغرائز البهيمية ويغري الشباب بالفاحشة وانتهاك الحرمات ورفع حجاب الحياء..." (المحجة، ع380)

وبعد، فهذه بعض أقوال الشيخ عبد السلام الهراس رحمه الله فأين المقتفون؟ وتلك بعض بنات أفكاره فأين السالكون؟.

عبد السلام الهراس داعية ومربيا

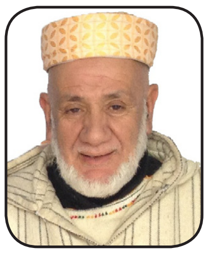

المعلم

أ.د. حسن الأمراني

بتاريخ 2004.04.07، بمدينة مكناس، أهدى إلي الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله تعالى، ديوانه: (مشاهدات بديع الزمان النورسي)، ووقع عليه بهذا الإهداء: (إلى المحبوب في الله أستاذي المعلم). وعلى كثرة توقيعات أعلام الأمة بالمشرق والمغرب، فيما أهدوا إلي من ثمار علمهم وأدبهم، لم يحرك وجداني توقيع مثل ما فعل توقيع أخي الفريد فريد رحمه الله تعالى. فهذه الصفة، صفة المعلم، هي أشرف ما يمكن أن يوصف به المسلم، وقد قال ﷺ: «إنما بعثت معلما». واليوم وأنا أحرك قلمي وفاء للفقيد الكبير أستاذي وأبي وأخي الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى، لا أجد وصفا أصفه به أفضل من (المعلم). فكثير هم أساتذتي وشيوخي في العلم، ممن أكن لهم الإجلال والاحترام، وما زلت - وقد تجاوزت الستين - أقف منهم موقف التلميذ وطالب العلم. ولكن الدكتور عبد السلام لم يكن مجرد أستاذ لي أو شيخ من شيوخ العلم، بل كان عندي معلما. كان معلمي في العلوم والآداب، كما كان معلمي في الدعوة والتربية. وبه هداني الله تعالى إلى حلقات الدعاة والعلماء الأفذاذ في المشرق والمغرب. كان قد آتاه الله تعالى شخصية تألف وتؤلف، فنال محبة أهل الخير والعلم والتقى مشرقا ومغربا. فما نزلت بلدا ولا وطئت قدمي أرضا، من نهر التميز والراين والسين إلى نهر الكنج ومرتفعات الهملايا وبحر الصين الجنوبي، إلا وكان اسمه حاضرا، يسألونني عنه وعن أخباره. وكان الشيخ أبو الحسن الندوي قد سألني، أول ما لقيته في لكنو، عام 1986، عن أربعة من علماء المغرب، وهم الدكتور عبد السلام الهراس والشيخ عبد الله كنون والدكتور عباس الجراري والشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي، الذي ذكر لي أنه كان عندهم في ندوة العلماء مدرسا، وكان الشيخ أبو الحسن ضمن طلبته.

كان الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله أستاذا لي في الجامعة، يدرسني الأدب الأندلسي والنحو والنصوص القرآنية، ولكنه كان داعية من الطراز الأول. وفي الوقت الذي كان عدد من الأساتذة اليساريين يدعون إلى أباطيلهم، بل ويفرض بعضهم على الطلبة استيعاب تلك الأباطيل شرطا للنجاح، كان هو رحمه الله يستثمر دروسه بالحسنى في الدعوة إلى الله تعالى. كان حريصا على أن يربطنا بالمصادر المتعلقة بالمادة المدروسة، بما يخدم الدعوة. فكان يدرسنا في الأدب الأندلسي مثلا كتاب: (درر السمط في أخبار السبط) لابن الأبارالقضاعي. وهذا وإن كان يعرض لمراثي الحسين رضي الله عنه، وما قال فيه الشيعة، إلا أنه كان يتحفنا بطرائف علمية راقية. ومن ذلك أن عالما مغربيا عاتبه بعض علماء المشرق في مغالاة المغاربة في حب آل البيت، فرد عليه قائلا: (نحن نحبهم حب تشرع لا حب تشيع). ويتخذ ذلك مدخلا لتصحيح المفاهيم. وفي مادة (النحو) كان الكتاب المقرر هو: (جامع الدروس العربية) للشيخ الغلاييني. وكانت شخصية تضفي نوعا من الحيوية على هذه المادة التي توصف عند كثير من الناس بالجفاف، وذلك بالوقوف على بعض الشواهد وقفة تستخرج بعض طرائفها، فضلا عما تقوم به من وظيفة الشاهد النحوي، مثل قول الشاعر:

فأين إلى أين النجاء ببغلتي
أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

وروده في باب التوكيد اللفظي أحيانا، وفي باب التنازع أحيانا...الخ

وفي (النصوص القرآنية) كان المنطلق كتاب بنت الشاطئ: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ومن خلال ذلك تعرفنا على ما له صلة بالبيان القرآني، مثل كتابي الشهيد سيد قطب: (التصوير الفني في القرآن الكريم)، و(مشاهد القيامة في القرآن). أذكر جيدا أنه ما انتهى الدرس حتى انطلقنا، نحن بعض طلبة وجدة، نحو الطالعة (التي تضم أشهر المكتبات وأغناها بفاس آنذاك) لزيارة المكتبات بحثا عن الكتابين، وكم كان سرورنا عظيما عند العثور عليهما.

كان قد آتاه الله تعالى شخصية تألف وتؤلف، فنال محبة أهل الخير والعلم والتقى مشرقا ومغربا. فما نزلت بلدا ولا وطئت قدمي أرضا، من نهر التميز والراين والسين إلى نهر الكنج ومرتفعات الهملايا وبحر الصين الجنوبي، إلا وكان اسمه حاضرا، يسألونني عنه وعن أخباره.

إن هذا السلوك الذي كان يتبعه المعلم مع طلبته لا يدرك قيمته إلا من عاش تلك الفترات الجامعية الحالكة التي لم يكن فيها المرء قادرا على أن يقول ربي الله. في تلك الفترة كان المعلم - هو وقلة تكاد توصف بالندرة من الأساتذة - يرفعون أصواتهم بالدعوة إلى الله تعالى.

كانت الظلامية مهيمنة على الجو الجامعي، ففي التجمعات الطلابية التي كانت تنظم تحت مظلة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كان الطالب إذا افتتح كلمته باسم الله تعالى يمنع من إتمام الكلام، ويرفع في وجهه عبارة: (اسحب). أي اسحب اسم الله ثم تابع. وذات مرة أقيم حفل طلابي في قاعة الحي الجامعي، فشارك طالب ماليزي فيه بتلاوة آيات من كتاب الله تعالى، وما إن شرع في التلاوة حتى بدأ الضجيج والاحتجاج، وتدخل الطالب المسؤول عن التسيير لتهدئة الوضع، قائلا: لنستمع إليه على الأقل على أنه من التراث!! هكذا كان الجو القاتم. فلا تطمع أن يكون هنالك مسجد بالجامعة، ولذلك كنا نصلي، إما فرادى وإما جماعة صغيرة، داخل غرف السكن الجامعي.

وفي تلك الفترة، حوالي عام 1968 التحق بالجامعة طلبة مسلمون من يوغسلافيا، وكانوا جميعا ملتزمين بشعائر دينهم، وفوجئوا بأن يجدوا مدينة القرويين يسودها ذلك الظلام! ولكن الأستاذ المعلم احتضنهم، كما احتضن طائفة من طلبته المغاربة، وعقد صلة بيننا وبين الطلبة القادمين من يوغسلافيا. وقد ظل على صلة ببعضهم إلى أن استقلت البوسنة والهرسك، بعد انهيار الاتحاد اليوغسلافي، وأصبح أحد أولئك الطلبة، واسمه محمد علي، سفيرا للبوسنة في دولة قطر، كما أخبرني بذلك رحمه الله.

وفي عام 1970، وكان قد مر عامان على وجودنا بالجامعة، جمع طائفة من المتحلقين حوله، وهيأ لهم السبيل إلى حضور الملتقى الرابع للفكر الإسلامي بقسنطينة، بالجزائر. وكانت تلك هي الزيارة العلمية الدعوية الأولى، والفرصة الثمينة، التي فتحت لي، بخاصة، الآفاق لرحلات عالمية، في مجال الأدب والفكر والدعوة، من أقصى غرب أوربا إلى أقصى شرق آسيا. كان ذلك اللقاء الأول حافلا. ففيه اجتمع عدد كبير من علماء الشرق والغرب، من المهتمين بالفكر الإسلامي، أذكر من بينهم: المفكر الجزائري مالك بن نبي، والداعية النمساوي محمد أسد (ليوبولدفايس)، الذي استقر في أواخر حياته بطنجة، ومات ودفن بها، والمستشرقة الألمانية زيغيردهونكة، ومن مصر عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، وعلي عبد الواحد وافي، وعثمان أمين، ومن تونس عثمان الكعاك. وحضر جماعة من الدعاة الذين كانوا يومذاك ما يزالون في سنوات الطلب، ومن بينهم راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو. وذات يوم غير بعيد، وأنا في بيت الأستاذ المعلم، قال لي: سأهديك صورة نادرة. وقدم لي صورة من ملتقي قسنطينة أظهر فيها واقفا مع عبد الفتاح مورو، وهو بلباس الزيتونة.

في ذلك اللقاء عرّفنا بمالك بن نبي، وجلسنا معه في غرفته، بعدما استمعنا إليه في محاضرة بالعربية حول العلم والحضارة، وكنت أظنه لا يتحدث بالعربية، إذ كل مؤلفاته بالفرنسية. وقد علمت أنه شرع في ترجمة كتبه بنفسه، ولكن لعله لم يتم من الترجمة إلا سيرته الذاتية، في جزأيها: (الطالب) و(مذكرات شاهد القرن).

ولترجمة كتب مالك بن نبي قصة طريفة، رواها لي الأستاذ المعلم، كما رواها لي - بتفاصيل متطابقة - الدكتور عبد الصبور شاهين، رحمه الله، في جلسة خاصة، كانت بعد صدور كتابه المثير: (أبي آدم). قال: " كنت موظفا بالإذاعة المصرية، ثم حدث ما دعا إلى فصلي من العمل. وذات يوم وأنا في الطريق سمعت مناديا ينادي: يا عبد الصبور.. يا عبد الصبور.. فالتف فإذا هو صديقي الدكتور عبد السلام الهراس. قال لي مستبشرا: أبشر فقد وجدت لك عملا. فقلت: وما هو؟ فقال: الترجمة من العربية إلى الفرنسية. ثم عرفني على الأستاذ مالك بن نبي، موضحا أنه مفكر مسلم من الجزائر، وأن كتبه بالفرنسية، وأن من حق الأمة علينا أن نترجم كتبه إلى العربية." وهكذا بدأت ترجمة كتب مالك بن نبي إلى العربية، بفضل من الله عز وجل، ثم بسعي من الأستاذ المعلم.

لم يكن ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر وحده هو الذي عرفني به الأستاذ المعلم، بل لقد عرفنا بالحركات الدعوية في العالم العربي والإسلامي. فمنه عرفنا حركة عباد الرحمن والدكتور عمر الداعوق، كما عرفنا مجلة (الشهاب) اللبنانية، التي كانت لسان الدعاة في بلاد الشام. وقد كنا نحرص على اقتنائها ونحن طلبة، ثم بعد تخرجنا من الجامعة أساتذة، وكان بعضنا يوزعها على طلبته، قبل أن ننشر فيها. ولعله ليس من الاستطراد إذا قلت إنني عرفت الشاعر محمد علي الرباوي من خلال ما كان ينشر فيها قبل لقائي به، وكذلك كان الشأن مع بعض المشارقة الذين كان لأقلامهم دور في تحرير هذه المجلة، مثل الشاعر يوسف العظم، والأديبة سميرة فياض.

شغلني الحديث ولم ألمّ بدور الأستاذ المعلم الجهادي في الدعوة وترشيدها بالمغرب، وهو دور كبير جدا، وفضله على الحركة الإسلامية بالمغرب، بجميع فصائلها دون استثناء، لا ينكره إلا جاهل أو جاحد. وقد كان من دواعي اعتزازي، يوم نشرت الصحافة العالمية خبر ميلاد: (رابطة المستقبل الإسلامي)، أن تثبت صورتي بجوار صورته، باعتبارنا من المؤسسين.

كما لم أشر إلى شيء من علاقة المودة التي كانت تجمع بين أسرتينا، وتجلت في صور كثيرة.

ما كنت أريد تسطيره بهذه المناسبة هو أكبر وأوسع من هذا، فالبحر لا يحبس في قارورة. ولكن هذا ما يتسع له حجم المحجة، وعسى أن ييسر الله تعالى مناسبة أخرى، أوفي فيها أستاذي ومعلمي وأخي حقه جهد المستطاع. رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

من اليمين : د. عبد العزيز برغوث، د. عبد السلام الهراس، د. مصطفى شعايب، د. حسن الأمراني

عبد السلام الهراس الداعية الدمث

د. موسى الشريف

إن من الناس مَن إذا رأيته أحببته، وإذا خالطته ألفته، وإن جالسته شعرت بقربه، وإن تحدث استمتعت بحديثه، وإن لاطفك استلطفته، وإن مازحك آنسك، فمن هؤلاء بل من مقدميهم أستاذي الكبير عبد السلام هراس، رحمه الله تعالى، فقد كان على الوصف الذي قدمت به، ولا أذكر أني جلست إليه قط –على كثرة مجالستي له– إلا شعرت بسعادة وقرب منه وشغف بحديثه، فقد كانت له –رحمه الله تعالى– طريقة متفردة في الحديث بحيث يصبح معه ماتعاً لطيفاً شهياً إلى النفس تستلذه وتطلب منه المزيد.

وكان إذا انثالت ذاكرته استحال ما خرج منها بحراً هادراً يأخذ بعضه بحجز بعض، ودع عنك أنه إذا استطرد أمتع وصار لحديثه أثر انفع وأوقع.

وكان لعيشه سنوات في المشرق: في لبنان ومصر أثر في تكوين شخصيته الجامعة بين المغرب والمشرق وخصائص كل منهما.

وكنت أرغب في التردد إليه والجلوس بين يديه لسؤاله عن أمور تفرد بها بين أهل عصره ومصره، ومنها قربه الشديد لأمير الريف المجاهد البطل عبدالكريم الخطابي لما كان بمصر، ومعرفته به كما لا أظن أن أحداً من دعاة العصر يعرفه.

ومنها قربه من أهل الدعوة في لبنان ومنهم عمر الداعوق.

ومنها قربه من إخوان مصر واتصاله بهم في مراحل مهمة من تاريخ الدعوة المعاصر.

ومنها صلته بعدد كبير من أهل العلم والفضل من المشارقة.

أما المغرب فهو خزانته، والمطلع على أسراره، والعارف برجاله، والمستذكر لتاريخه.

وقد زاد على كثير من دعاة العصر بإتقانه للإسبانية واتصاله بالإسبان مسلمهم وكافرهم، ووقوفه على أحوالهم.

هذا وهو الأديب الأريب، والمحقق المجيد، الذي حقق عدداً من كتب العربية المهمة، وألف كذلك كتباً لها وزنها وقدرها.

كل ذلك كان يدفعني إلى زيارته، والجلوس بين يديه كلما نزلت فاس المحروسة، فلا تسأل عن سعادتي بلقائه، وسروري ببشره، واطمئناني بتواضعه لمثلي وأنا في عداد أولاده سناً، وإكرامه لي كلما جئته بالطعام المغربي اللذيذ، فما أحسن الجلوس إليه، والكلام معه.

وكان لا يأنف أن يشيد بما أكتبه أو أتكلم به في كل مرة يطلع فيها على أثر لي، بل يتكلم به في عموده في جريدة المحجة المحروسة، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل على جودة معدِنه، وجمال خلقه، وكمال نفسه، فإن من أشد شَيء على العالم الإشادة بعمل غيره وإبرازه وإظهاره فما بالكم إذا كانت الإشادة بمثلي على صغر سني نسبياً وقصور قامتي عن مثله، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وكنت قد نقلت من لسانه أحداثاً سجلتها وسأبرزها في كتاب ذكرياتي، إن شاء الله تعالى.

ثم هو له الريادة في فاس في العمل الدعوي فقد أسس مبكراً جماعة الدعوة الإسلامية فيها، وكان له جملة طلاب أصبحوا نجوماً في سماء المغرب وأركاناً للدعوة فيها، فمنهم الشيخ العالم الشاهد البوشيخي الذي عرفته وجالسته طويلاً، حفظه الله تعالى، ولعمر الحق لا أدري هل الفخر للشيخ بالطالب أو الفخر للطالب بالشيخ، فهما نجما فاس، وفارساها، ومنشئا دعوتها، وراعيا صحوتها، وعالماها، وملجأ أهلها بعد الله تعالى، ولله الحمد والمنة.

ولما كان الشيخ مغربياً فقد جهله أكثر المشارقة فلم يعرفوا ذلك الكنز المرصود، والجوهر المخبوء، وتلك شكاية قديمة تحدث فيها ابن حزم شعرا فقال:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي أن مطلعَي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع
لجدّ عليّ ما ضاع من ذكري النهب

وتحدث كذلك فيها العلامة ابن خلدون في مقدمته، وبين أن أحوال أهل المغرب تخفى على المشارقة.

ولو كان مشرقياً لاشتهر ولبان للعالم فضله، وظهر للناس أحواله ونبله، فيا ليت أهل المغرب ينشئون قناة فضائية جادة تعمد إلى تعريف الناس بفضل علماء المغرب ودعاته وصالحيه ومثقفيه.

وادعوا إخوانه من الأساتذة والمثقفين أن يعمدوا إلى ما كتبه الأستاذ تأليفاً وتحقيقاً فيجمعوه في ما يعرف اليوم بالأعمال الكاملة، فهذا من حقه على إخوانه، وهو مما تحفظ به التآليف.

اللهم اغفر لعبدك عبدالسلام، وأدخله دار السلام، واخلف على أهله بخير، واجعل ما قدمه في صحائف أعماله.

عبد السلام الهراس أستاذ الأجيال ومكون الرجال

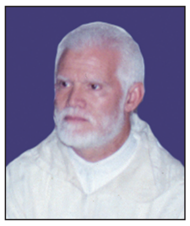

د. رضوان ابن شقرون

أن يشتغل المرء بالتدريس أمر شريف مفيد، يجدي المتعلم المتلقي تكويناً لشخصيته وتزويدا له بالمعرفة وقيمها وسبل اكتسابها وتوظيفها في حياته فكرا وعملا ومنهجا، وينفع المدرس الباث للمعرفة الناشر للعلم يمتد أثره الطيب أجراً وثواباً إلى ما بعد وفاته، كما يدل عليه حديث المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[أخرجه الإمام مسلم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]؛ فكيف إذا كان التدريس والتعليم في خدمة هدف سام رباني بمنهج العمق والإخلاص والصدق والحكمة والتوجيه البناء ومعالجة النقائص والانزلاقات البشرية والتوجهات الانحرافية، غيرة على الإنسان وسلوكه، والأمة ومسارها، والقيم وترسيخها!!.

كان طلبة أستاذ الأجيال شيخنا عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى يرون فيه تجليات تلك المنطلقات وحضور تلك الأهداف شاخصة في المدرجات خلال المحاضرات، وفي القاعات عند الدروس، وفي الجلسات التربوية في إطار التكوين الدعوي، وفي اللقاءات الجمعوية على مستوى العمل الاجتماعي والثقافي، وكل تلك الجوانب والمجالات عرفت الأستاذ عبد السلام صداحا بالخير سباقا إلى المكارم مسراعا إلى النفع والإفادة.

الدكتور عبد السلام الهراس ود. محمد الكتاني ومعهما الأستاذ رضوان بن شقرون يقدم هدية خلال ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم –كلية الآداب فاس سنة 1988م

فعلى مستوى المحاضرة عرفته مدرجات الكليات والجامعات في بلاد كثيرة، متكلما في مجالات الفكر والثقافة والأدب والدعوة، موظفا معارفه العميقة في ذلك كله وعلاقاته الواسعة وتجاربه العريضة في المغرب والمشرق، مما أكسبه شهرة لدى العلماء والدعاة على امتداد الشمال الإفريقي وكثير من البلاد الإسلامية.

وعلى مستوى الدروس كنت واحدا من كثير من الطلبة الذين أخذوا عنه الأدب الأندلسي في كليات الآداب واستفادوا من معرفته الواسعة انطلاقا من رأيه الإيجابي الصريح الموثق في قصة خطبة طارق بن زياد، وامتدادا مع دراساته وتحقيقاته لآثار من هذا الأدب الذي يؤرخ لأدبنا ويصوره، ويعبر عن حضارتنا وأنظمتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية والفنية، ويعطي الآداب العالمية صورة عن أدب الطبيعة الزاهية الذي نبت في حضن الإسلام ورجاله ومنهجه في الحكم والريادة وركز في التعامل مع الطبيعة على التفاعل الإيجابي، ونما في ظل القرآن ولغته وبيانه وأثره في الآداب والنفوس، قبل أن ينحرف الناس عن طريقه وجادته، ويزيغوا عن نهجه وهديه، وينحدروا في مهاوي التباهي والاختلاف والتخاذل والخيانة، ويغرقوا في أوحال التشرذم والضعف والذل والهوان، فينسلخوا من وعد الله الذي لا يخلف لمن تشبثوا بقوة الإيمان وعملوا في الأرض الصالحات واهتدوا بالهدي الرباني أن يستخلفهم في الأرض ويمكن لهم ويؤمنهم.

وإلى ذلك أشرف الأستاذ عبد السلام على كثير من الرسائل والأطاريح الجامعية أو ناقشها عبر مسيرته المهنية مدرسا بالجامعات مؤطرا للطلبة الباحثين مشجعا على البحث العلمي الجاد، وليس من العسير أن يطلع الباحث على عدد الرسائل التي أطرها أو أشرف عليها أو ناقشها وأفاد الباحثين بعلمه ومنهجه في البحث والتحقيق.

وعلى مستوى التربية الدعوية عرفته حلقات العمل الدعوي والمنهج التربوي ذا نشاط وحيوية وغيرة وتحفيز على إصلاح النفوس بالتزكية، وتكوين الشخصيات الإيمانية القوية، والإقناع بممارسة التدين برسالية، وبناء الرسالة على تعمير الأرض بالخير ومعايشة الناس بالمعروف، وهذه الصفات كانت نابعة فيه رحمه الله من قناعة وممارسة يعرفها فيه كل من لقيه عبر البلدان التي زارها دراسة وتعلّما أو تدريسا ومحاضرة أو تناديا وتحاورا، في المغرب ومصر وسوريا وأكثر دول الخليج وغيرها.

وعلى مستوى العمل الاجتماعي كان الأستاذ رحمه الله سباقا إليه بارعا فيه إن عن طريق تأسيس الجمعيات المهتمة والمتخصصة، أو عن طريق تحفيز الموسرين والمحسنين على إشراك الآخرين في أرزاقهم، أو بالتدخل الشخصي المباشر للمساعدة ولا سيما في مجال العلاقات، والأخذ بأيدي أصحاب الحقوق لنيل حقوقهم أو إدراك مآربهم ما كانت مشروعة مستحقة؛ ولقد عرف كثير من الناس في الأستاذ الهراس رجل ثقة وأمانة وحرص وإخلاص فكان رحمه الله تعالى محل ثقتهم ومحبتهم، فإذا أؤتمن أدى، وإذا تدخل أجدى، وإذا دعا أجيب، وإذا اقترح لُبّي.

فتغمد الله أستاذنا الدكتور عبد السلام برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح الجنات، وتقبله وأكرم مثواه إنه سميع مجيب.

الشيخ المربي الحكيم عبد السلام الهراس شارح الإسلام لأهل الغرب

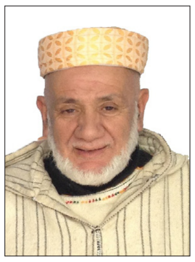

ذ. علي بن أحمد الريسوني

أستاذنا عبد السلام الهراس رحمه الله له سجل حافل في التعريف بالإسلام لدى الأوروبيين والأمريكان؛ هذا السجل يعد مفخرة لفقيدنا الغالي. إنه ينبغي أن يكتب بمداد من ذهب لو أمكن ذلك، له الأجر الغزير والثواب الكثير من رب العالمين على الجهود التي قام بها في إيصال كلمة الإسلام للعجم. منذ أن عرفناه وهو مولع بالدفاع عن الإسلام. عرفناه ونحن صبيان قبل أن يرحل إلى القاهرة ولم نكن نفقه شيئا فيما يتعلق بالدعوة إلى الله لأننا كنا دون بلوغ؛ لكنه بعد العودة من المشرق وانخراطه في التدريس بمدينة شفشاون ثم بتطوان ثم بفاس وانخراطه بجد ونشاط في الدعوة إلى الله، منذئذ ونحن نتأكد أن مترجمنا يعد شعلة وقادة من الحيوية التي اتصف بها إلى أن لقي الله تعالى. كان يكره الكسل وكان لا يحب أن يستكين الإنسان إلى الكسل والخمول. علم الأجيال التي اتصلت به في المدرسة والثانوية والجامعة وخارجها أن تكون أجيال عمل وسعي وكد وفعل وتأثير وسلوك لا أن تكون اتكالية وأن تكون متصفة بالانهيار النفسي هذه هي الصفة التي عرفناه بها.

وعلى هذا الأساس؛ نسجل في هذه المقالة بإيجاز شديد سلسلة من الأعمال التي قام بها في ميدان تعريف الغرب بديننا الحنيف وذلك عبر منهاجه في الوسطية والاعتدال والحكمة وبعد النظر والتركيز على الثوابت والأمهات والقواعد الجامعة وترك الخلاف الذي هو ليس في الجوهر جانبا حتى لا نشوش على الغربيين في اقترابه على الملة السمحاء. كان مذهبه الذي عرفناه عليه هو تعريف الغرب بالإسلام المنزل في القرآن والسنة وعبر سيرة النبي العطرة عليه الصلاة والسلام وعبر سيرة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وعبر تراجم التابعين والسلف الصالح والخلف الصالح من دون أن الدخول في الخلافات والجزئيات والفروع التي يمكن أن تشوش على الرؤية الواضحة لأولئك القوم الذين فقدوا الاستقرار الروحي وفقدوا الأمن الروحي وعاشوا ونسأل الله العافية في ذلك الفراغ الذي هو اليأس بل عين اليأس؛ كان يعتقد أن إيصال الرسالة الإسلامية إلى الأقوام الغربيين يجب أن يتم عبر البساطة، البساطة بمعناها العميق دون التعقيدات دون الألفاظ الموهمة دون تلك المصطلحات التي تدخل القارئ والمستمع والمتلقي في دوامة من الحيرة والارتباك؛ كان يرى أن دين الله واضح كل الوضوح يلائم الفطرة ويلائم العقل ويلائم طبيعة البشر وأن هذا الدين أتى لتهذيب النفس وليس لإلغائها. أتى لتطوير قدرات الإنسان وتهذيب سلوكه وتربية ملكاته وتقويم سيرته وإعطائه دفعة نحو الأحسن والأفضل لاجتناب الأسوأ والسيئات و اجتناب السلبيات لكي يكمل في الإنسان الجوانب الإيجابية و نبتعد به عن السقوط في الرذيلة الفكرية و رذيلة الفجور العملية؛ كان في شرحه للإسلام الشرح الكتابي أو الشرح الشفوي أو من خلال نموذج المعاشرة كان يلح على هذه البساطة أن الله تعالى واحد أحد فرد صمد ليس له وزير ولا نظير خالق الكون والكون كله مخلوق من الله وأن الله تعالى خلق هذا الإنسان ليعبد الله وأن الغاية من العبادة هي الوصول إلى الرضوان الإلهي؛ وكان يشرح العقيدة بهذه البساطة؛ أن الله واحد وأن عيسى عبد من عباد الله وجميع الملائكة وغيرهم من المرسلين من التقاة والأنبياء هم عباد كسائر العباد من الناحية البشرية لكن الله تعالى اصطفاهم بالوحي؛ و كان يدعم حفظ القرآن الكريم خاصة السور القصيرة وكان يعتني باللغة العربية في منهجه التربوي والتعليمي لكون هذه اللغة الأداة التي وصل بها الوحي؛ كما كان يأخذ بالتدرج في التعليم والتثقيف للعقول والأدمغة الغربية ؛ التدرج بمعنى أن لا نعطي الحقائق دفعة واحدة ولكن أن ننزل هذه الحقائق والمعلومات دفعة دفعة جرعة جرعة حتى يتمكن الدواء من الولوج إلى العروق على قطرات وحسب ما يحتاجه الإنسان دون أن يدخل إلى الإنسان دفعة واحدة، فلا تتحمله الطاقة هذا هو المنهج الرباني الذي كان عليه في البرامج التي ترأسها منذ سنة 2000؛ تلك البرامج المشرقة الربانية أبرمها مع جمعية الدعوة الإسلامية بمدينة شفشاون حيث كنا نعتبره أنه هو المرجع العملي القريب والنموذج القريب في الإشراف على تلك الدورات التكوينية التي استهدفت تقديم صيغ رائعة من التعايش ما بين الوافدين وما بين المستقبلين وخلال هذه الفترات من الضيافة كنا تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس نقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وإلقاء المحاضرات وبعض الأنشطة الأخرى كالسفريات.

بدأت هذه الأعمال والمساعي الحميدة في سنة 2000 في فصل الربيع بمدينة شفشاون. نظمت جمعية الدعوة الإسلامية الدورة التكوينية الأولى للتعريف بالحضارة الإسلامية لصالح مجموعة من الأوروبيين خاصة الإسبان والكطلان؛ الكطلونيون الذين لهم لغة وتقاليد خاصة والإسبانيون الآخرون من الرجال والنساء. وأقبل الناس على هذه الدورة إقبالا كبيرا وكانت فاتحة خير، ومازلنا نذكر هذه الوجوه وقد مرت تحت إشراف أستاذنا حوالي 14 دورة وسأذكر هذه الدورات بالترتيب للذكريات وتسجيلا للوقائع واعترافا بالفضل لأهله وحتى تبقى هذه الدورات الوحيدة بالمغرب شاهدة على إخلاص وصدق وجهاد وبركة وتربية وتضحية الفقيد الغالي الدكتور عبد السلام الهراس.

إذن الدورة التكوينية الأولى للتعريف بالحضارة الإسلامية كانت في فصل الربيع من سنة 2000؛ الدورة الثانية كانت في الصيف في غشت سنة 2000 في السنة نفسها كل ذلك في مدينة شفشاون باسم جمعية الدعوة الإسلامية المؤسسة منذ سنة 1965 وهي أقدم جمعية إسلامية بالمعنى الحديث بمدينة شفشاون ومنذ أن أسست والاتصالات لم تكن تفتر مع الدكتور عبد السلام الهراس والرعين الذين عايشهم وعايشوه كالأستاذ محمد السفياني رحمة الله عليه وكطويل العمر الأستاذ عبد القادر العافية والأستاذ محمد شهبون رحمة الله عليه والأستاذ أحمد أفزاز ومازال على قيد الحياة وغيرهم من الأساتذة الكرام الذين عاشوا معنا وعشنا معهم ؛ الدورة الثالثة كانت في فصل الربيع سنة 2001؛ الدورة التكوينية الرابعة كانت في صيف 2001؛ الدورة التكوينية الخامسة كانت في فصل الربيع لسنة 2002؛ الدورة التكوينية السادسة نظمت في صيف 2002؛ والدورة السابعة في صيف 2003؛ الدورة الثامنة كانت في صيف 2004؛ الدورة التاسعة كانت في صيف 2005؛ الدورة العاشرة نظمت في صيف 2006؛ والحادية عشر في صيف 2007؛ والثانية عشر في صيف 2008؛ والثالثة عشر نظمت في صيف 2009؛ و الرابعة عشر نظمت في صيف 2010. هذه الدورات حضرها المئات إذا جمعنا الإسبان بصفة خاصة والأجناس الأخرى سنجد المئات ربما يقارب المشاركون الألف ما بين نظاميين ومستمعين والجنسيات التي حضرت في التعريف بالإسلام والتي أسفرت عن اعتناق الكثير منهم للإسلام وأسفرت عن زواج بعضهم وأسفرت عن حفظ بعضهم لسور من القرآن الكريم وتعلم بعضهم للغة العربية، حضرتها شخصيات من بنات وشباب رجال ونساء بجنسيات متعددة أوروبية و أمريكية أذكر منها على سبيل المثال: إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وألمانيا، وكذلك دول في أمريكا كالولايات المتحدة الأمريكية، أضف إلى ذلك قبرص وتركيا و الدول الإسكندنافية وكذلك من الهند وباكستان وبعض العجم الذين كانوا في البلدان العربية.

لقد كان القصد إيصال رسالة إلى هؤلاء بأن الإسلام دين سلام ودين حضارة؛ كنا نتغيى من وراء هذا العمل تعريف الناس بالإسلام كما هو إسلام مسالم إسلام العقل والعلم والعمل: الحنان، الرحمة، الأخوة، الحكمة، القرب إلى الله، تزكية النفس، القضاء على المشاكل أو التقليل منها، إيجاد الحلول، تخفيف الأزمات، تقريب الشعوب، معرفة أسرار الشريعة، تحقيق قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ترابط الآدمية بعضها مع بعض؛ عالم الغيب، حاجة البشر بعضهم إلى بعض. وكنا نأتي -والدكتور عبد السلام الهراس هو المشرف والموجه- بأساتذة جامعيين من المغرب وبعضهم من المملكة العربية السعودية ومصريين كما أشركنا موريتانيين وغيرهم من الشرق العربي ومن اسبانيا نفسها ومراكز وجمعيات إسلامية في الدروس التي ألقيناها ونظمناها.

على كل حال هذا النشاط الذي بدأه الدكتور عبد السلام الهراس سنة 2000 على شكل دورات لم يأت فجأة إذ واكبنا الأستاذ الهراس منذ 1975 في غير دورات بحيث أن عملنا بالدعوة مع الأجانب بدأ منذ موت فرانكو في نونبر 1975 الى الآن لم ينقطع هذا العمل؛ الدعوة الى الله مع الأوروبيين بصفة عامة ومع المتكلمين باللغة الاسبانية بصفة خاصة؛ ومن الجنسيات التي حضرت المكسيك على سبيل المثال.

إذن هذه النماذج الطيبة التي قدمت أولئك والإجابة على تساؤلاتهم وحل مشاكلهم وتقريب النظر إليهم عبر ضرب الأمثلة وتوزيع الكتب والحث على المطالعة والمقارنة وكنا نفتح باب النقاش وباب الأسئلة ويتسع الصدر بمعرفة كثير من الاستفهامات مع الالتزام بالصلاة في أوقاتها. ومن الأنشطة التي كنا نقوم بها توزيع المصاحف وتوزيع الكتب والجوائز على المشاركين وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وبعض الحفلات الفنية وبعض الحفلات الاجتماعية بالإضافة إلى تنظيم رحلات إلى الشواطئ أو الجبال، وكنا أحيانا ننظم رحلات إلى مقر الأستاذ الهراس في قرية اسطيحة في الصيف.

فرحمة الله على هذا الطود الشامخ وعلى هذا القلب النابض بالإيمان وعلى هذا الرجل الشهم الذي لم ينس مدينته بالنسبة لهذه المنارة التي شيدها ونحن معه فكانت مدينة شفشاون هي الوحيدة في المغرب التي شهدت انتظام هذه الدورات وامتدادها في صمت دون ضجيج إذ منهاجنا هو العمل في صمت دون إحداث الضجيج ودون إرادة الشهرة ودون لفت النظر لأن العمل إذا كان لله لا يحتاج إلى إشهار ولا إلى كثير من قرع الطبول يكفي أن الله تعالى يرى وأن ملائكته تسجل وأن النية خالصة. لقد كنا نعمل هذه الأعمال الجيدة وشفشاون باحتضانها هذه الملتقيات المباركة وهذه التجمعات الربانية أتاحت لأولئك الغربيين أن يطلعوا على الإسلام وعلى المغرب كذلك فعرفوا من خلال هذه الدورات عظمة هذه البلاد وعرفناهم بنظامنا السياسي المبني على الملكية والمبني على إمارة المؤمنين والمبني على التوافق وعرفناهم تاريخ الوطن وقيمة أهل البيت وعرفناهم أن الملك محمد السادس قائد الأمة بدون منازع وأن المغرب يحبه وأنه يحب المغرب وأنه لا مجال هنا بالمغرب للجدال السياسي وأن قضايانا عادلة كقضية الصحراء وأننا نبتغي العيش بسلام داخل وطننا ومع جيراننا. وكنا نوصيهم أن يبلغوا هذه المعاني لقومهم فكانوا إذا عادوا إلى بلادهم يبلغون مظاهر الحفاوة التي كنا نحفهم بها كما كانوا يبلغون أن المغاربة يعيشون في أمن وأمان وطمأنينة و سلام وأن المغرب دولة قائمة على الحقوق والواجبات وأن دين الإسلام لم يزد المغرب إلا جمالا وإلا بهجة وأنه بالنسبة للمغرب هو الرابطة التي تربط الناس بعضها إلى بعض فعرفوا قيمة هذه البلاد وتاريخها المجيد وحضارتها و مدنيتها وشهامتها وعزتها ولذلك كنا نضرب عصفورين بحجر واحد: نشر الإسلام وتقريبه للأفهام وحث الناس على اعتناقه أو على الأقل على فهمه ومحبته وعدم معاداته. كما كنا من جهة أخرى نقرب إليهم بالمعايشة والمعاينة الصورة الحقيقية لوطننا المغرب حتى لا تشوه بالخارج لأن الكثير من وسائل الإعلام الأوروبية و الغربية يشوهون عن قصد أو عن جهل صورة المغرب إذ يصفونها بالتخلف ويصفونها بعض الأحيان بالهمجية و أنها متأخرة منحطة، فكنا نعطي لهم عبر الحديث والمذاكرة اليومية والمجالسة، البراهين على أن بلدنا بلد متحضر ولله الحمد كل دورة كانت تجمع ما بين 40 إلى 60 نفر وكل دورة كانت تمتد من أسبوع إلى أسبوعين. وبالإضافة إلى المسجلين الرسميين كان يحضر معنا إلى هذه الدورات اسبانيون آخرون يعيشون بالمغرب أو يعيشون بمدينة سبتة أو بعض السائحين الذين يمرون من هنا؛ فإذا جمعنا مجموع من استفاد نصل إلى المئات حوالي 700 أو 800 نفر أو أقل أو أكثر والله على ما نقول وكيل؛ رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح الجنات وأعلى مقامه ولا يمكن أن ننسى رجالا آخرين ساهموا في الدعوة الإسلامية بالمغرب كالمرحوم الكبير الأستاذ العزيز صديقنا الشهم مولاي علي بن سيدي محمد المنتصر بن مولاي الزمزمي بن شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني رحمة الله عليه، فله اليد الطولى في نشر الإسلام في الأندلس وإن لم يقم بتنظيم هذه الدورات، وكذلك لاننسى الأستاذ محمد الحلو وزميله في العمل الإسلامي وقد عاش حياته ممدا للدعوة الإسلامية في الأندلس جزاه الله خيرا؛ أذكر هاذين المثالين عن الرجال الذين عرفناهم وهناك آخرون عملوا في حقل الدعوة إلى الله عز وجل وأريد أن أنبه قبل الختام إلى أن هذه الأعمال كانت بعيدة كل البعد عن الشبهات السياسية لم يقع استغلال هذه الدورات لأي مكسب سياسي ولم تكن عرضة للانتهازية ولا الارتزاق ولم تكن فيها أية مطاعن خلقية بل امتازت بالوضوح والشفافية والإخلاص والمنهجية الربانية والاستقامة وأقيمت على التقوى من الله فبرأت من اللوثات وبرئنا من اللوثات معها والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين.

د. عبد المجيد بنمسعود

الأستاذ عبد السلام الهراس: الرائد الذي لا يكذب أهله

إن رزء الأمة بفقدان مثل هذا الرجل العظيم رزء كبير، لأنه يحدث ثلمة بينة في جبهة من يتولون حراسة الأمة والذود عن حماها ضد كل من يريد بها سوءا ويبغي بها شرا. لقد كان الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله داعية قوي الشكيمة قاطع الحجة ناصع البيان، صادق اللهجة، تطالعك صفة الصدق فيه بلا رتوش، تلمسها لديه ناصعة جلية في كلامه، سواء كان منطوقا أو مسجلا مكتوبا على القرطاس، تلمحها عبر مظهري العفوية والتلقائية الخالصتين من أي شائبة من شوائب التكلف والافتعال، إنه صدق يترجم عنه بكل جلاء، حمله لهم أمته الذي ظل مسكونا به طيلة حياته، يعبر عنه حيثما حل وارتحل، ويتعهده بكل حب وحدب، وبكامل الحرص واليقظة، ومهما تعددت أوجه ذلك الهم، فإنها تظل ملتفة حول جوهر واحد، هو أن لا تبرح الأمة المسلمة معقلها الذي اقتضت منها الإرادة الربانية أن تلزمه، وتنطلق منه لصناعة مجدها وجدارتها بالحياة، في ظل الإيمان والابتلاء بمهمة الشهود على الناس، هو أن لا تصاب الأمة في مقتل من مقاتلها، والحال أنه يدرك بحسه الصادق، وعلمه بشراسة العدو ما يحاك ضده من مؤامرات، ويدرك قبل ذلك وبعده أن أعظم مقتل تنفذ منه السهام لجسد الأمة، إنما هو تفريطها وغفلتها عن المعقل الذي وجدت للمرابطة فيه، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿أو كلما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾.

لقد كان الأستاذ عبد السلام الهراس مثالا لترسم منهج الوسطية والاعتدال، الذي من خصائصه الأخذ بمبدأ التدرج وعدم استعجال الثمرة، واعتماد الجهد التربوي الرصين، المتسلح بالصبر وطول النفس، والذي يحدوه اليقين في بلوغ الأمل والمراد، مما يجعله يستمرئ الصعاب، فلا يمل من طرق جميع الأبواب. لقد كان الفقيد رحمه الله يؤمن بما تصنعه قوة الفكر في معترك الصراع ضد المناوئين للحق المتحزبين للباطل، لقد ذكر لنا حين زيارته في بيته منذ سنوات، وفي سياق الحديث عن مراحل التدافع بين الفكرة الإسلامية وبين الفكر اليساري، عندما كان هذا في أوج صولته ومده، أن الدكتور المهدي بنعبود رحمه الله، كان يأتي إلى فاس بين الفينة والأخرى ليلقي محاضرة يعرض فيها لأحقية الإسلام وجدارته، ويتصدى لأباطيل الفكر اليساري وتهافته، فيظل مفعول تلك المحاضرة ساريا لمدة ستة أشهر، ويظل إشعاعها منتشرا في الآفاق، يشد من عزم الدعاة، ويصد جراثيم المذاهب الضالة، والأفكار الفاسدة.

إن من عوامل نجاح الأستاذ عبد السلام الهراس، بلاشك، جمعه بين العلم الرصين والخلق القويم، وفي الصدارة منه التواضع الذي يكسر جميع الحواجز، وينسف كل العوائق التي يمكن أن تحول بينه وبين الناس، على اختلاف فئاتهم، فقد كان الأستاذ تغمده الله برحمته يحلق عاليا بفضل توفر جناحي العلم والخلق، وما أكثر ما يقع الفشل والإخفاق، حينما يتوفر عنصر العلم ويختفي عنصر الأخلاق. وهذا من المعلوم عند العقلاء بالضرورة.

ومن أسرار تفرد شخصية الأستاذ الهراس رحمه الله، أن خلق الرفق فيه لم يكن يحول بينه وبين الجهر بالحق، بكل قوة وثبات، فأنت تلحظ هذا في كلامه ومداخلاته المباشرة، كما تلحظه في مقالاته المنشورة.

فإذا طالعت مقالاته التي كان ينشرها رحمه الله في عموده الخاص بجريدة المحجة الغراء، التي تصدر بفاس، تحت اسم " بارقة" ألفيت الرجل يجمع بين اللين تارة، والصرامة تارة أخرى، بل إنك كثيرا ما تحس نار الغضب تتلظى بين سطور تلك المقالات، أو تشم غبار معركة حامية الوطيس، وتسمع فيها فرقعة عظام الباطل وهي تكسر على يد فارس لا تأخذه في الله لومة لائم.

ولعل من خصائص أسلوب الأستاذ الهراس في " البوارق" ، التي ما أكثر ما تتحول إلى صواعق، أسلوب السخرية الهادفة التي تنبع من الإحساس بالمرارة إزاء واقع منكس منحوس، اسمع إليه على سبيل المثال وهو يحدث عن تفاقم أحوال الفساد في المجتمع، في بارقة تحت عنوان" الله يرحم النباشين السابقين" الله يرحم النباشين السابقين فقد كانوا على إجرامهم في نبش القبور وسرقة الأكفان يقومون بدفن الجثث وسترها، أما هؤلاء النباشون الجُدد فأضافوا إلى إجرام سرقة الأكفان فظاظة وصلافة وقسوة وسوء أدب وانعدام الرحمة والشفقة. (وذلك بتركهم الجثث في العراء تتعرض للتعفن ولمغبة افتراس الكلاب)

ويعبر الأستاذ رحمه الله عن ألمه وإشفاقه على أمته التي تفرط في أبنائها الأمناء الأقوياء، ليستفيد منهم الآخر وراء البحار، وذلك في بارقة تحت عنوان:" جناية الأنظمة الاستبدادية على وحدة الأمة الإسلامية"يقول:" كم سعدت وفرحت بمكالمة بعض الأحباب الصالحين الذين هاجروا بلدهم الذي لم يقدر علمهم وأخلاقهم بل كانوا في كل وقت مُعرّضين للأخطار لأنهم ليسوا من الصنف الذي ينافق ويصفق وينفذ التعليمات الظالمة وهؤلاء وأمثالهم مطلوبون كثيراً في الخارج حيث يتقاضون أجوراً عالية لكنّهم يعيشون في قلق لأنهم يريدون خدمة بلادهم التي هي في أمسّ الحاجة إليهم دون أن يجدوا الأجواء المناسبة لذلك، فالمسئولون كان يهمهم إذلال الأشراف، وإبراز الأرذال، وإسناد الأمر إلى غير أهله".

ويعبر الأستاذ الداعية عن مرارته بسبب إصرار المسئولين على الاستمرار في عدم توقير يوم الجمعة، وذلك في بارقة بعنوان: " مساكين أهل الجمعة" إن أهل السبت ينعمون بسبتهم وأهل الأحد ينعمون بأحدهم أما أهل الجمعة فحظهم سيئ وغاية ما تكرموا به عليهم السماح للموظفين وأشباههم بالخروج من العمل على الساعة الحادية عشرة والنصف واستئناف العمل على الساعة الثالثة ما عدا التعليم من الابتدائي إلى العالي، فهناك من رجال التعليم والتلاميذ من لا يستطيع إدراك صلاة الجمعة لامتداد الدراسة إلى الساعة الثانية عشرة وربما إلى الساعة الواحدة. وهكذا لا يستطيع كثير من أبنائنا التلاميذ والطلاب والأساتذة صلاة الجمعة، ولا سيما إبَّان قصر النهار إذ تكون الصلاة ابتداءً من حلول الزوال إلى الثانية عشرة ظهراً".

وفي بارقة تحت عنوان " جمع التكسير وتكسير الجمع" ينعي الأستاذ رحمه الله الموازين التي تعرضت لاختلال فظيع ومشين، يقول:" أما لحن القول ولحن النحو ولحن الفكر فهذا ما تعودناه في عصر أصبح فيه الشهيد إرهابيا والعاقل أخرس والمؤمن متطرفا والمستقيم مغفلا والأمين منغلقا والقنوع (زكروماً) صدئا والبريء متهماً والعالم الصالح شاذاً ومتخلفاً، وراجت عملة التزلف والنفاق والشره والحربائية.

ويتحسر فضيلة الشيخ الداعية الأستاذ عبد السلام بسبب واقع التحجر والجمود في عالم عمي عن الحقائق الناصعة، وعجز عن إدراك قيمة العظمة والعظماء، مستغربا كيف لم تستطع الإنسانية أن ترقى إلى جعل ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ذكرى للإنسانية كلها ؟ يقول: " فالهجرة في الحقيقة ليست ذكرى خاصة بالمسلمين ولكنها ذكرى العالم كله بجميع أديانه وملَله ونِحَله، فمنذ الهجرة والإنسان يترقى في مدارج العلوم والفنون والاختراعات والكرامة الإنسانية.. فلولا الهجرة لظلت الإنسانية حبيسة حكومات مُتعفنة وحضارات وثنية آسنة ومجتمعات منْحلة منحرفة".

لقد كان الأستاذ الهراس رحمه الله ذا عين ناقدة فاحصة، تسلط ضوءها النقدي الكاشف على الداء الاجتماعي أو الفكري، فتشخصه بدقة العالم وتصف له العلاج بروح الطبيب الخبير، ولو استعرضت ما كتبه بقلمه القوي النفاذ، لوجدت نفسك أمام مثال رفيع للرائد الذي لا يكذب أهله، والقائد المخلص الذي لا يغفل أمام المكايد والمخططات المعادية للأمة والوطن، فهو لم يدخر وسعا في النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فاللهم تغمده برحمتك الواسعة واجعله في عليين مع النبيين والشهداء والصادقين وحسن أولئك رفيقا.

الأستاذ المربي

د. محمد الشركِي

أراد الله عز وجل أن يجعل هذا الرجل الصالح -كما نظنه ولا نزكيه على الله- من خيار الناس الذين تعلموا العلم وعلموه، وهم الفئة التي رفعها الله عز وجل في محكم التنزيل رفعة أهل الإيمان، وانتدبها لوراثة أنبيائه صلواته وسلامه عليهم أجمعين، وهي أثمن وراثة تورث إذ يفنى كل موروث، وتبقى خالدة لا تموت. وورثة الأنبياء من أهل العلم كما ورثوا عنهم العلم، ورثوا أيضا الذكر الخالد الذي لا يزول. و خلاف معظم الخلق الذي يغادر الدنيا بلا ذكر يستمر أهل العلم أحياء بعلمهم ينفعون الأحياء ما تراخي الزمن، وهم أصحاب عمرين: عمر فان و آخر مخلد، وعليهم ينطبق قول الشاعر:

"عمر الفتى الفاني   وعمر مخلد ببيان".

ها قد رحل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس بعمره الفاني، وبقي عمره المخلد بالبيان.

عبد السلام الهراس أستاذا:

عرفت فضيلته يوم ولجت طالبا كلية الآداب بجامعة فاس أستاذا محاضرا في الأدبين المغربي والأندلسي يجول بين حدائق شعر غرب الوطن الإسلامي، وهو أدب رقيق وإنساني، علم الإنسانية معاني الرقية ومكارم الأخلاق، وهذب سلوكها وذوقها، وعلمها كيف تتأمل هبة الطبيعة التي أبدع الخالق سبحانه وتعالى صنعها، ولا تزال الأشعار في كل الدنيا لم تبلغ شأو الشعرين الأندلسي والمغربي في وصف الطبيعة الغناء ذات السحر والبهجة . ولقد كان فضيلة الأستاذ أصيل النشأة أصيل التربية، أصيل التعلم فاختار أن يكون أصيل التعليم يهذب أذواق طلابه، وهو يجول بهم في رياض الشعر المغربي الأندلسي. وحين كان الأدب المشرقي في كلية الآداب بجامعة فاس يستأثر بمعظم وقت طلبة شعبة الآداب، ويحوز نصيب الأسد اختار الأستاذ الهراس رحمه الله أن يرابط على ثغور الأدب المغربي الأندلسي إلى جانب ثلة من زملائه نذكر منهم الأستاذ عبد القادر زمامة. ولقد كان فضيلة الأستاذ الهراس موسوعي الثقافة والفكر، يجول في مختلف الآفاق الفكرية جولة دليل خبير يدل الراغبين في السياحة بها، أو جولة قطب يدل السالكين إلى حضرتها. وكانت لغته مغربية أندلسية خالصة لم تؤثر فيها اللغة المشرقية بالرغم من كثرة تجواله في طول وعرض بلاد المشرق العربي. وكان يطرز لغته العربية الفصحى بوشي جميل من عامية جميلة بلهجة أهل شمال المغرب، وكان طليق اللسان بالإسبانية. وكان فضيلته يختار من النصوص الشعرية المغربية الأندلسية تلك الطافحة بالفكر الإسلامي الإنساني. ولم تغب أبدا عن فضيلته روح الوطنية والجهاد التي تشربها، وكان ينطلق من تلك النصوص الشعرية ليلقن طلابه دروس الوطنية والجهاد من أجل أسمى الغايات. ولم تكن تفوت فضيلته فرصة دون استغلالها للدعوة إلى الله عز وجل بالتي هي أحسن وأجمل. وكانت محاضراته عبارة عن أطباق شهية من المعارف المختلفة من أدب وشعر وفكر وتاريخ وأمثال وعبر وحكايات وطرائف وعلم وفقه... لأنه كان رحمه الله موسوعي التكوين. ولا تمر محاضرة من محاضراته دون فترات استراحة واستجمام بما كان يرويه من مستملحات تنشط الطلاب وتدفع عنهم السأم. وكان فضيلته دائما طلق المحيى بشوشا يتصدق بابتساماته العريضة على طلابه، ولا يضيق ذرعا بالمشاكسين منهم، بل كان يسلك معهم سلوك أب رحيم مع أبنائه. ولقد كان رحمه الله وقورا مهيبا أنيقا بزيه التقليدي والعصري على حد سواء. وكان رحمه الله لرقة قلبه مقصد وملجأ الطلاب يقصدونه إذا ضاقت بهم ضائقة مادية أو معنوية. وكان كريما جوادا سخيا، بيته فساح عظيم الرماد لا يكاد يخلو من زوار طلبة أوغيرهم، وتكاد موائده لا تخلو من أقداح اللبن والشاي وأطباق التمر والفطائر والحلوى، ولا تكاد تخبو له نار مرجل أو يصمت له أزيز.

عبد السلام الهراس إعلاميا:

وعرفته بعد مغادرتي كلية الآداب كاتبا طريف القلم في عمود من أعمدة جريدة المحجة لسنوات يتحف قراءها بالطرائف الممتعة المفيدة، ويربيهم تربية داعية إلى الله عز وجل على بصيرة بالموعظة الحسنة. وكانت مقالاته عبارة عن نقد هادف يروم إصلاح ما فسد أو انحرف عن المحجة ويربط الأمة بعقيدتها السمحة. وكانت مقالاته تعكس حضوره الدائم في المجتمع ومتابعته ومواكبته لما يجري فيه من أحداث، وكان بذلك حارسا أمينا من حراس العقيدة والقيم الأخلاقية. فهذه شهادتي في فضيلته رحمه الله، وما أنا بالذي يوفي عالما جليلا حقه، ولا أستطيع سرد مناقبه التي إنما تطلب عند خاصته لأن حالي كحال من نظر إلى طود عظيم من سم خياط فما أدرك حقيقة قدره. فعلى فضيلته رحمات أرحم الراحمين الذي نسأله ضارعين أن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يسكنه الفردوس الأعلى بجوار من كان يعشقه عشق الولهان سيدنا محمد سيد ولد عدنان ﷺ. والعزاء والصبر الجميل لأهله وذويه وكل محبيه.

الدكتور عبد السلام الهراس الأب المصلح

د.ة. سعاد الناصر

من عناية الحكمة الإلهية مولد أستاذنا، رحمة الله عليه، عبد السلام الهراس في مدينة صغيرة بحجم الفيروز المنبثق عن عيون الجمال. مدينة تمتد خصوبتها في عمق التاريخ وأصالة الفكر، في شفشاون، فكان أن اغترف من معينها وهج التأمل وأبجدية الثبات وجرأة التفرد. وعايش ملاحم الجهاد ضد المستعمر فيها، وأنبت من رحيقها عشب المواجهة ضد الهيمنة الفكرية، لم يفتأ يرويه عبر مراحل حياته، بوسائل هادئة، يغلب عليها العقل والرزانة.

وكغيره من الشباب المتوثب للعلم والتحصيل والمعرفة، كان أمله أن يولي وجهه شطر المشرق، بعد أن ضيّق المستعمر عليه منافذ التعليم في فاس العالمة. وبعد معاناة وكفاح استطاع أستاذنا التوجه نحوه، لتنفتح أمامه طاقات التزود العلمي من خلال معبرين: كلية الشريعة ببيروت، ثم مجالسة الأتقياء والصالحين من خيرة شباب الأمة في القاهرة أمثال، عبد الصبور شاهين ومالك بن نبي وسعيد العريان والبشير الإبراهيمي وغيرهم كثير، بالإضافة إلى ملازمته للمجاهد المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي. وهذا التزود سعى إليه سعيا من خلال إيمانه بأن "الله إذا أراد شيئا هيأ له الأسباب، وإذا أتيته مشيا أتاك هرولة ويفتح لك الأبواب، المهم أن تبدأ بمنهج صحيح ونية صادقة، أما إذا وقفت فلا تنتظر شيئا، فلا يكفي المنهج الصحيح بل لا بد من الانطلاق والفعل والأمل، كما هو الحال في الزواج فلا يكفي أن تتزوج بل لا بد من التفكير والعمل والتربية للرقي بهذا الزواج، نحو الأفضل".

كان طلب العلم عنده من أجل العلم والعمل لأجله، لذا غاص في بحاره، واستنطق أسراره. قال مسترجعا هذه الفترة الحيوية من حياته: " كنا نطلب العلم للعلم لنصبح علماء أدباء كتابا خطباء شعراء، شيئا ذا قيمة لوطننا حتى أنه عندما أتيحت لنا الفرصة لنلتحق معلمين بالمدارس الابتدائية بالمنطقة السلطانية بأجرة مغرية لم نستجب لهذا الإغراء بل آثرنا مكابدة طلب العلم مع شظف العيش على أن نلتحق بوظيفة معلم بأجرة تصل إلى 200 درهم تقريبا وهي أجرة تكفل لنا العيش في رفاهية وتساعدنا على الزواج ومساعدة الأسرة"

ولم يفارقه الإيمان بالعلم والعمل بعد رجوعه إلى المغرب، وبعد نيل شهادة الدكتوراة من جامعة مدريد بإسبانيا، ثم انتسابه إلى جامعة محمد بن عبد الله بفاس. وفي ظلال هذه الجامعة، تعرفت على أستاذي الدكتور عبد السلام الهراس، خلال دراستي للدروس المعمقة في كلية الآداب هناك. ومنذ اللقاء العلمي الأول، اكتشفت أبوته لجل الطلبة قبل أستاذيته، واكتشفت شعاع إنسانيته التي تغريك بالتقرب منه، والنهل من سماحة نفسه، ومن بصيرة فكره القابض على جمر القيم والوسطية. وتزودت منه بعديد من المبادئ والمواقف، وازددت إيمانا معه بأن البشرية فعلا، "في حاجة إلى الدعوة الإسلامية التي مِن أُسسها، ومقوماتها، وركائزها، حَسن الخلق، وجمال القدوة، وحلاوة المنطق، ووضوح الفكرة، وفعالية التأثير، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر". وكان هو رحمه الله، يتصف بهذه الصفات، ويتحلى، بالإضافة إلى ذلك بالتدرج في إصلاح الإنسان وتوجيهه الوجهة الصحيحة. لذا كان يحث على بناء الإنسان "على أساس بناء العقيدة ومتانتها وفعاليتها، وعلى أساس الأخلاق الكريمة والخلال الحميدة البناءة، وعلى أساس التكوين العلمي والمهني والتكنولوجي المرتبط بالحاجات الضرورية للتنمية، وربط المدرسة والجامعة بالجهاز الصناعي والإداري والاجتماعي وتعزيز ذلك بإعلام راشد وإدارة واعية فعالة ومجتمع مدني يقظ ونشيط، ونهضة اجتماعية شاملة تتغذى من محيطها، وكل ذلك يجب أن يكون محاطا بسياج قوي وصلب وواع ومسؤول للحماية والصيانة والتأمين". وهذا الهاجس الإصلاحي كان مدعما عنده بطاقة التنوير العلمي. فلم يكن الدكتور عبد السلام الهراس يتحرك أو يبحث عن معالم للطريق بدون تأكيده على التكوين العلمي، ودوره في تشكيل المنظومة المعرفية والعقدية لصاحبها، وما يتبعه من عمل يترجم آفاقه وضفافه. ومن أبرز ما يدل على هذا الوهج العلمي عنده، تأسيسه لجمعية الدعوة بفاس، حيث قامت على "ثلاثة أهداف، أولها الجانب العلمي، فنحن نسعى إلى تربية أعضائنا بالعلم، وعلى العلم، وثانيا نهتم بالجانب الخيري، ونجتهد في الاجتماعي، وأخيرا نركز على شق البحث الجامعي والأكاديمي". وفعلا كانت الجمعية مدرسة تربوية متميزة، سعت لبناء الإنسان الرسالي، بمنهج علمي واضح، بعيدا عن أي تعصب حزبي أو انغلاق طائفي، أو تجاذبات سياسية. وهذا الوعي، كان يؤطر مشروعه العام الذي صاحبه، منذ أن نذر نفسه للعلم وللإصلاح، سواء في مجال التدريس أو البحث العلمي أو الدعوة، ويحثه على التركيز على الوحدة، يقول: "إننا لم نغلب لأن أعداءنا أقوياء، لكننا نغلب ونفشل وننهزم لأن صفنا منشق وتطاحننا مُحْتَدٌّ وخلافاتنا مستشرية وتدابرنا متزايدٌ مع أننا من أهل السنة والجماعة والتوحيد، لكن أين نحن من السنة والجماعة؟". كما كان يحث على التشبث بوطنيته وخصوصيات مغربيته، والتحصين ضد دعوات التطرف والغلو.

> كان يرى أن المجتمع الإسلامي الصحيح لا يقوم إلا بإعداد المرأة، وتكوينها تكوينا علميا يؤهلها للتربية واتخاذ القرار، من خلال فتح جمعيات نسائية، وإنشاء دور القرآن الكريم خاصة بالمرأة،لأن مكان المرأة في الدعوة إلى الله أصبح ذا أهمية كبرى، إذ الصلاح من المرأة، والفساد من المرأة؛ لذلك اهتمت أساليب إفساد المجتمع الإسلامي بالمرأة المسلمة". ولعل هذا الاهتمام وهذه النصرة، استمدها من مكانة المرأة في الإسلام أولا، ومن والدته رحمها الله، السيدة الفاضلة التي وهبته لله وقالت له: "نحن وهبناك لله لا للمال، فعندنا الكفاف والحمد لله.. اذهب يا ولدي حيثما رأيت الفائدة فأنت في سبيل الله"

ومن أبرز ما كان يشد انتباهي هو اهتمام أستاذنا رحمه الله، بالمرأة، فقد كان يرى أن المجتمع الإسلامي الصحيح لا يقوم إلا بإعداد المرأة، وتكوينها تكوينا علميا يؤهلها للتربية واتخاذ القرار، من خلال فتح جمعيات نسائية، وإنشاء دور القرآن الكريم خاصة بالمرأة، "لأن مكان المرأة في الدعوة إلى الله أصبح ذا أهمية كبرى، إذ الصلاح من المرأة، والفساد من المرأة؛ لذلك اهتمت أساليب إفساد المجتمع الإسلامي بالمرأة المسلمة". ولعل هذا الاهتمام وهذه النصرة، استمدها من مكانة المرأة في الإسلام أولا، ومن والدته رحمها الله، السيدة الفاضلة التي وهبته لله وقالت له: "نحن وهبناك لله لا للمال، فعندنا الكفاف والحمد لله..اذهب يا ولدي حيثما رأيت الفائدة فأنت في سبيل الله"، ثم من وقوف زوجته الفاضلة إلى جانبه، ودورها في إعداد الفضاء المناسب له ولأنجاله حفظهم الله. وفي هذا المجال لا بد من ذكر جانب من هذا الاهتمام والمتابعة، بل المهاتفة وتقصّد الاطلاع على المنجز العلمي والإبداعي، تلقيتُ منه الكثير، وأمدني بحافز الاستمرارية وعدم الاستسلام لأي معوقات مهما كانت. ولعل هذا يفسر تلك العلاقة الإنسانية العميقة التي كانت تجمعه بعدد كبير من الفضلاء والمصلحين، أمثال عبد الله بن الطيب ومحمود شاكر ويوسف القرضاوي وغيرهم. رحم الله فقيد العلم والدعوة د.عبد السلام الهراس، وأسكنه فسيح جناته، وجعل أبناءه خير خلف لخير سلف، وألحقنا به تائبين طائعين، والحمد لله رب العالمين.

. ذكرياتي مع مالك بن نبي، د.عبد السلام الهراس
. المحجة، ع:329، ص:16
. المحجة، ع:25، س، 2006
. حوار مع: د. الهراس، المحجة، ع:164، ص:15.
. المحجة، عدد 395،2013
. المرجع السابق، عدد 314.

الدكتور عبد السلام الهراس
رجل في عصر عز فيه الرجال

د. امحمد العمراوي

ما ترددت في موضوع أنا كاتبه ترددي في الكتابة عن الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله، ذلك أنه كان رجلا في عصر عز فيه الرجال، كبيرا في زمن تحكّم فيه الصغار.

كان كبيرا في علمه، كبيرا في أخلاقه، كبيرا في جهاده، كبيرا في مبادئه ومواقفه.

أما كونه كبيرا في علمه فيدلك على ذلك إحكام لغته، وبلاغة أسلوبه، وكثرة استحضاره، وقوة حجته، وعمق تحليله، وتنوع مجال خطابه، كان رحمه الله يحاضر ويكتب ويتحدث في الفقه والحديث والتفسير والفكر والأدب والتاريخ والسياسة وغيرها، ولا عجب في ذلك، فهو ابن جامع القرويين، الذي اغترف من علومه، ونهل من معارفه، ثم رحل إلى دول المشرق، فأخذ عن علمائها، وكرع من حياضها، فجمع الله له الحسنين.. وأهله ذلك ليتحدث في ميادين كثيرة ومجالات متعددة.

أما كونه كبيرا في أخلاقه فأمر لا أحتاج أن أقيم عليه دليلا، أو أذكر له حجة أو تعليلا، فكل من عرف الرجل يعرف أنه صاحب أخلاق فاضلة، فهو كريم متواضع، خدوم وفيّ، نصوح تقي، أذكر أني لما أسست –مع بعض الأحبة– زمن الطلب بجامع القرويين العامر مجلة رسالة المعاهد، وأجريت حوارا في عددها الأول مع شيخنا سيدي عبد الرحمن اربيحة رحمه الله، ثارت ثائرة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية حينها عبد الكبير العلوي المدغري، وحسب أن حزبا سياسيا وراء مشروع المجلة، وكاد أن يفصلنا عن الدراسة نهائيا، فهرعت إلى الدكتور الهراس رحمه الله، وحكيت له الأمر، وطلبت مساعدته، فغمرني بعطفه، وأخجلني بتواضعه، وتولى ملف الدفاع عنا عند الوزير، وفتح لي قلبه وبيته، وشجعني على مواصلة المسير، وأمدني بقصيدة عن جامع القرويين نشرتها في العدد الثاني.

ومن وفائه رحمه الله أنه كان مُعظما لشيوخه، دائم الذكر لهم، كثير الثناء عليهم،

كما كان محبا لأصدقائه ورفاق دربه من طلبة العلم في المشرق والمغرب، لا يفتر عن ذكر محاسنهم، ولا يتردد في التنويه بهم والدعاء لهم.

وأما كونه كبيرا في جهاده فلأنه رحمه الله عاش مجاهدا بماله ينفقه في أوجه البر المختلفة، وعلى رأسها تأسيس العمل الدعوي، ومجاهدا بلسانه يقول كلمة الحق في دروسه التي كان يلقيها على طلبته بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس يوم كان الإلحاد مسيطرا ، ولم يكن يقدر على الجهر بالإنكار والرد وإبطال شبهات اليسار أحد... وكان يفعل ذلك في محاضراته التي كان يجوب الشرق والغرب من أجل إلقائها.

مجاهدا بقلمه، فقد كان صاحب قلم سيال يدافع عن قضايا الأمة المختلفة بالتأليف والبحث والمقالة والقصيدة.. وهو في كل ذلك يدحض الشبهة، ويدفع الباطل، ويستنهض الهمم، ويقوي العزائم...

وأما كونه كبيرا في مواقفه ومبادئه، فلأنه رحمه الله عاش صلبا في الحق، يقوله ويكتبه ويدعو إليه، ولا يخاف في ذلك لومة لائم، وقد حدثني العدل الرضى أن الهراس رحمه الله كان يؤدي الصلاة وحده في ساحة كلية الآداب وهي يومئذ قلعة من قلاع الإلحاد، ومحمية من محميات الملحدين، ويومها كان الصالحون من أساتذتها وطلبتها لا يجرؤون على مجرد قول باسم الله أو الحمد لله أو السلام عليكم، فضلا عن إقامة الصلاة علانية وفي ساحة الكلية.. حتى قيل إنه الوحيد الذي كان قادرا على إشهار إيمانه، وإظهار إسلامه، وأداء صلاته، ثم بدأ ينضم إليه بعض الأساتذة .. حتى كثر عددهم، وقوي صفهم.

رحم الله الدكتور عبد السلام الهراس.. ابن جامع القرويين.. الذي عاش بالإسلام وللإسلام.. عاش داعيا إلى ربه، محاولا الإصلاح ما استطاع، باذلا النصح والتوجيه.. قوالا للحق.. صابرا محتسبا.. فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه وأصفيائه.

مقدمات في وظائف الدعوة والداعية من خلال كتابات الدكتور عبد السلام الهراس

عبد الرحمن الغربي

لا جرم أن الحديث عن إسهامات الدكتور عبد السلام الهراس في المجال الفكري والثقافي تعترضه صعوبات، وتكتنفه مشقات، وتحف به مخاطرات، ليس أقلها حجم التهيب الذي ينتاب المرء وهو يقترف الكتابة عن هذا الرجل... ويسطر الكلمات في حق هذا العلم...

لقد وهب الله عز وجل الفقيد الكبير قريحة وقادة، وذهنا خصبا، وذوقا سليما، ومخيلة قوية لها قدرة فائقة على جمع شوارد الأشياء والتأليف بين متنافراتها، فرسم في مقالاته بوارق سؤددا، ونحى في موضوعاته طرائق عددا، ودعا للحق بالحق زمنا ممتدا.

إن الناظر إلى كتابات الدكتور عبد السلام الهراس، ليجد فيها ما كان يعتور الفقيد من حرقة، وما كان يكابده من ألم على مآل الأمة، وما كان يعتصره من حزن حول آمالها ومستقبلها، فكان يسطر بمداد من ذهب، رسائل وتحليلات، وكلمات وتوجيهات، يحضر فيها عطف الأب، وحكمة الشيخ، وصرامة الأستاذ.

ونظرا لتنوع كتابات الفقيد وتعدد مجالات اهتماماته، سيتم حصر الكلام هنا في مجال بعينه، شكل بؤرة اهتمامه، وهدف مقالاته، إنه فقه الدعوة، الذي سيبث من خلاله عصارة تجربته، وحصيلة جولاته، في مجال التأسيس لعمل إسلامي راشد، ليس داخل المغرب فحسب، بل كذلك في تجارب تأسيسية في المشرق أيضا، وفي إفريقيا، وبعض دول آسيا...

وعلى هذا يمكن حصر فقه الدعوة في مشروع الدكتور عبد السلام الهراس في ثلاث مقدمات: الأولى تتعلق بأن الدعوة لا تكون إلا لله، فيما تتعلق المقدمة الثانية بضرورة إيجاد القيادة الراشدة التي تقود العمل الدعوي نحو تحقيق أهدافه المرجوة، أما المقدمة الثالثة فتحدد وظيفة الداعية والدعاة في التمكين للدين في النفس وفي واقع الحياة.

المقدمة الأولى : الدعوة الإسلامية أساسها الدعوة إلى الله:

لقد كان حرص الفقيد – رحمه الله – شديدا على ربط العمل الإسلامي بهدفه الأسمى وغايته الفضلى، الدعوة إلى الله عز وجل اقتداء بسيد الدعاة وإمام المبلغين محمد ﷺ، الذي حصر دعوته في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، انطلاقا من قوله تعالى :﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾.

ذلك أنه كان يرى – رحمه الله– أن "الظاهرة التي أصبح يشعر بها كل واحد منا، هي أننا نعيش في فراغ روحي خطير، وأن مستوى الأخلاق يتداعى شيئا فشيئا"(1). لذلك لا مناص من الرجوع إلى فضائل الأخلاق الإسلامية، والقيم المبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

فقاعدة الدعوة إلى الله تعالى قاعدة أصيلة، منها المنطلق وإليها المآل، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ (فصلت : 33). وقوله عز من قائل : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف : 108).

ف "الدعوة إلى الله أساسها أن تكون خالصة له، لا يتجلى معها إبراز فلان أو علان أو جماعة"(2). والفقيد –رحمه الله– حين يؤكد على هذا المبدأ، فهو ينطلق من مشاهداته على أرض الواقع للآفات التي يخلفها التحزب، والتشرذم الذي يفضي إليه. إذ كتب رحمه الله في إحدى بوارقه: "ولقد شاهدت في المشرق والمغرب عواقب هذه الآفة، آفة الأخوة في الله المشوبة بالحزبية الضيقة والعصبية المقيتة..." (3).

وفي هذا الصدد يؤكد – رحمه الله – على أهمية التربية " على التقوى وتجنب الأساليب البالية التي تزف الوعود وتمني بالحقوق، وتخاطب الشهوات وتشتري الضمائر، وتتعلق بالمظاهر، وتكتفي بالكم دون الكيف، وبالتكديس دون البناء."(4).

على أن غاية التربية الدعوية هي بناء الرجال، وصناعة الدعاة الذين يحملون هم الدعوة ورسالة التبليغ، الذين تخرجوا من مدرسة القرآن، حيث كان أول ما ابتدئ به في بعثة النبي ﷺ نزول آيات من القرآن، والذي كان أداته ﷺ في الدعوة إلى الله، وكان المادة الأساس في تربية الجيل المؤسس الذي سيقود الدعوة الإسلامية.

المقدمة الثانية : أهمية القيادة الدعوية الرشيدة:

في هذه المقدمة كان الدكتور عبد السلام الهراس يؤكد على أهمية ترشيد الدعوة إلى الله، بتجديد أساليبها وتجويد مناهجها، وهو ما لا يتحقق "إلا بوجود قيادات رشيدة، وتصورات للنهضة سديدة، وتخطيطات شاملة ودقيقة، وتطبيقات وإنجازات متقنة وسريعة، في جو من الحرية المسؤولة، ومن الحفاظ على كرامة المسلم، ومن التجاوب الصادق، والوعي السليم، والحماس المتعقل، والثقة التامة بين القمة والقاعدة."(5).

إذ " أن من طبيعة الجماهير أن تنقاد وأن تبحث عن قيادة تسير وراءها، تلك سنة الله في خلقه، وقيمة الأمة في قيادتها الفكرية." (6)

على أن قاعدة هذا الأساس هي تكوين الفرد ليكون قادرا على تمثل المفاهيم الشرعية الإسلامية من مصادرها الأصلية، ولا يقدر على هذا إلا العلماء العاملون، والربانيون المخلصون. وهو المنهج الذي خطه النبي ﷺ في تأسيس المعالم الأولى للدعوة الإسلامية، تربية وسلوكا، وتصورات وأخلاقا.

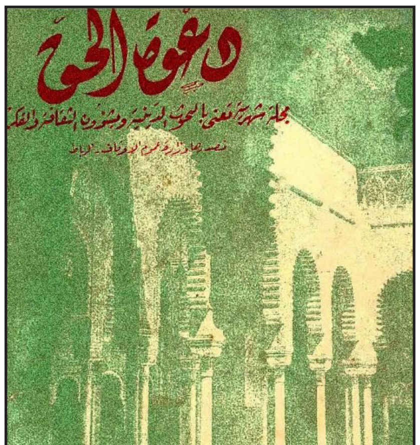

صورة للعدد الأول من مجلة دعوة الحق التي بدا يكتب فيها الأستاذ الهراس في أواخر الخمسينات

ذلك أن "الأولى بالقيادة، علماء الإسلام الذين سيلقون تجاوبا من الشعب، وبذلك يحقق الله لهذه الأمة أعز ما تصبو إليه : سيادة الإسلام: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ (7).

ما أفسد خطط المصلحين، وبطأ سيرهم، وشق صف وحدة دعوتهم، مثل حماس دون تفكير، وعاطفة دون عقل، وطموح دون تخطيط، وإقدام أو إحجام دون استشارة دوي التجربة والحكمة

بيد أن هذه القيادة الدعوية ينبغي أن تتصف – كذلك – بالحكمة وبعد النظر، لأن "أخطر ما يخشى على الدعوة إلى الله التسرع والوقوع في متاهات لا يستبعد أن يكون وراءها تلبيس إبليس وشهوات خفية مع النوايا الحسنة"(8).

هذا مع مراعاة حسن التخطيط، لأن "ما أفسد خطط المصلحين، وبطأ سيرهم، وشق صف وحدة دعوتهم، مثل حماس دون تفكير، وعاطفة دون عقل، وطموح دون تخطيط، وإقدام أو إحجام دون استشارة دوي التجربة والحكمة." (9).

وتتجلى أهمية القيادة الرشيدة في الدعوة إلى الله تعالى، في أن "أي حركة تفتقر إلى الفكر السديد، والإخلاص الشديد، تتلاشى إثر سكونها، والمؤلم أن الأسواق مليئة بهذا النوع من الجعجعة، التي لا تكف أريحيتها عن الدوران حول نفسها، دون أن تنتج شيئا، رغم ما تستهلكه من طاقة وتضيعه من وقت: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض﴾." (10).

المقدمة الثالثة : الوظيفة الأساسية للدعاة التمكين للدين :

منطلق هذه القاعدة أن الشغل الشاغل للداعية هو دعوة الناس إلى عبادة الله عز وجل، وتحكيم شرعه في النفس والحياة، ذلك " أننا مطالبون قبل كل شيء بالدعوة إلى الفكرة بجميع الوسائل الممكنة أما النتيجة فعلى الله."(11).

فوظيفة الداعية إذن التبليغ عن الله وبكتاب الله، وتبيان ذلك سنة رسول الله، وسيرته ﷺ، والتي تمثل منهجا متكاملا لتنزيل فقه الدعوة، والتمكين للرسالة الإسلامية في القلوب أولا، لتتجسد في السلوك ثانيا.

على أن حصر وظيفة الداعية في الدعوة إلى الله عز وجل، يحصن الدعوة من "التحزبات والملل والنحل والذي ليس هو الطريق إلى رضى الله الذي لا يتحقق إلا في ظل الأخوة فيه وله وإليه، ﴿إنما المومنون إخوة﴾."(12).

وقيام الدعاة إلى الله عز وجل بالتبليغ والإرشاد يمليه واقع المسلمين اليوم، "فالمجتمعات الإسلامية في أشد الحاجة لمن يأخذ بيدها في جميع المجالات، لكن المسلم اليوم في غفلة عن واجباته المطلوبة شرعا إزاء أمته ومجتمعه، بل إن بعض هؤلاء غافل حتى عن أقرب الناس إليه، إلا فيما يتصل بمعيشته ودراسته وحياته المادية، فهو لا يعنى به في تربيته الدينية لإعداده كي يكون عضوا عاملا نافعا في مجتمعه الإسلامي، مثل ما يبذله معه في حياته البدنية والدراسية والمهنية."(13).

ثم إن قيام الداعية بواجب التبليغ، هو دفاع عن الدين، وذود عن حياض الشريعة، ذلك " أن اغتنام هذه الفرصة واجب على كل مسلم ومسلمة، دفاعا عن الإسلام وعقيدته، وانتصارا للقرآن الكريم ورسالته، فأعداء هذا الدين الذين تجاوزا الحدود، وأعلنوها حربا شعواء عليه، وعلى سيدنا محمد ﷺ وعلى صحابته الكرام." (14).

إن حتمية الصراع بين الحق والباطل، مذ خلق الله السموات والأرض، تجعل من طبيعة المواجهة مع الأعداء ذات طبيعة مزمنة، لكن جزءا من أسلوب مجابهته، القيام بالوظيفة الدعوية على أكمل وجه، ذلك أن "حياتنا المعاصرة ليست سوى حلقة من ذلك الصراع الخطير بين الحق والباطل، والنور والظلام، والفكرة والصنمية، وإن كانت الظروف العالمية الحاضرة قد أدخلت على ميدان الصراع الفكري والحضاري عوامل جديدة وسريعة، من وسائل النشر والإذاعة، والتقارب الزمني والمكاني، لدرجة جعلت أجزاء الكرة الأرضية أكثر التصاقا واتصالا ببعضها مما مضى." (15).

وهذا مما يؤكد قيمة الدعوة ووظيفة الداعية وأهمية المنهج القرآني في التبليغ.

وعلى سبيل الختم، فما هذه الكلمات إلا شذرات وومضات ولمحات عن التصور الذي أطر اجتهادات الفقيد في مجال التنظير للعمل الدعوي المنظم، والذي يعتمد المنهج القرآني، والبيان النبوي في بناء التصور، وفي تصحيح السلوك، والذي يعد الفقيد أحد كبار مؤسسيه البارزين في سبعينات القرن الماضي.

---

1 – مجلة دعوة الحق ع4 – س5 – ص20 – 1962
2 – جريدة المحجة ع 339 ص16
3 – نفسه
4 – دعوة الحق ع4 –س5 – ص21 – 1962
5 – المحجة ع 307 ص16
6 – دعوة الحق ع4 س6 ص 18 – 1963
7 – دعوة الحق ع 8 س3 ص 12 – 1960
8 – المحجة ع 304 ص 16
9 – المحجة ع 304 ص 16
10 – المحجة ع 302 ص 16
11 – دعوة الحق ع2 س2 ص 18 – 1958
12 – المحجة ع 339 ص 16
13 – المحجة ع 334 ص 16
14 – المحجة ع 332 ص 16

المحجة
الأخيرة
بارقة
مساكين أهل الجمعة
أ.د. عبد السلام الهراس
عودة الابن الضالّ
أ. د. عماد الدين خليل
حتى إذا فرحوا بما أوتوا....
عبد الحميد الرازي
مراسيم لم تكتمل !!!

صورة للصفحة الأخيرة من جريدة المحجة حيث كان الأستاذ الهراس يكتب عموده الرسمي الموسوم «بارقة»

سيدي عبد السلام الهراس الإشراف العلمي في أبهى تجلياته

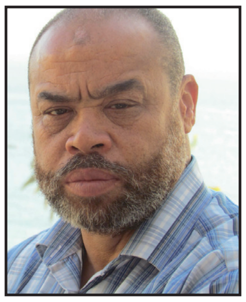

د. الحسن محب

أصعب شيء في كل شيء بدايته، والشيء الذي يجعل البداية صعبة هو الاختيار وأصعب ما في الاختيار، ألا تعرف ما تختار أو لا تجد المتعدد للاختيار، والاختيار مسار ومصير، فلذلك غالبا ما نسلك مسارا مكرهين على اختياره، لأن الضرورة تقتضي ذلك، ولكننا نقنع أنفسنا بذلك المسار، ونحاول أن نبرر دواعي اختياره.

لقد وجدنا أنفسنا في سياقات يتحكم فيها الإكراه منذ البداية، ولا تسمح إلا بهامش ضيق جدا من الاختيار، و لذلك كان اختيارنا مقامرة ومغامرة، لأنه اختيار مجهول المصير، لغياب ضمانات ذاتية و موضوعية.

فالإنسان مقامر مدمن، لأن الحياة رهان مستمر، فخطها البياني ليس خطا مستقيما، وإنما هو خط منكسر متذبذب بين الصعود والنزول.

واختيار المسار العلمي لا يختلف عن باقي المسارات الأخرى في الحياة، فكم من مسارات اختارت أصحابها، كضربة برد أو شمس، لم تكن لهم في الحسبان..

بعد الإجازة وجدت نفسي كحي بن يقظان، في عالم غريب لا يتكلم لغتي، لكن الكل كان مستعدا ليتبناني، ليعلمني لغته، لا ليحافظ على هويتي، لأني أصلا لم تكن لي هوية واضحة المعالم، أو لم تتحدد معالمها بعد، وإنما هي في طريق التشكل.

وكم كنت في حاجة إلى من يتبناني، لينقذني على الأقل من التشرد، ومن التيه، ومن الاغتصاب الفكري والنفسي، لقد تخرجت أو أخرجت بتعبير أصح من الجامعة وأنا خديج دون أن يكتمل نموي المعرفي أو الفكري.

أمام هذا الاحتراب الفكري والإديولوجي، والذي لم يخل من فائدة، كنا نعيش صراعا داخليا، وفكريا، ولاسيما عندما تجد نفسك مرغما على اختيار شعبة التخصص، هل تختار الأدب القديم بتشعباته، أو الأدب الحديث بتلوناته، وقس على ذلك، وهذا الاختيار هو الذي سيحدد مسارك العلمي مستقبلا.

فتخرجنا بعد الإجازة يتم بعد أن تكون جيناتنا العلمية قد تحددت صبغياتها سلفا، فقد تم اختيار المشروع جينيا، أو بتعبير الفلاسفة بالقوة، ويحتاج إلى الفعل لتحققه على أرض الواقع لكن إحساسي بهذا المشروع الجنيني كان ضعيفا، فقد كنت في بداية البحث عن الذات، أو تكوينها

وما أصعب البحث في لجة من فوقها سحاب، إذا أبحرت لا تكاد ترسو على سواء، لقد ابيضت عيناي من البحث، لكن الله قيض لي، من كساني بعطفه فارتددت بصيرا، وقلت يا بشراي هذا مرشدي، ودليلي، فقد جاءني أستاذي سيدي عبد السلام الهراس، بخفض جناحه، وسعة صدره، وكريم خصاله، فكان كما قال الشاعر :

ملأى السنابل تنحني تواضعا
والفارغات رؤوسهن شوامخ

فكنت تجدنا نحن الطلبة نلتف حوله كما يلتف النحل بالورد، فيعطي كلا سؤله ولا يرد أحدا خائبا، مما أغرى الكثير منا، بالطمع في الإشراف عليه فيما يأتي من البحوث.

لأستاذي و شيخي سيدي عبد السلام الهراس أفضال كثيرة، على أجيال عديدة من الطلبة، ولا سيما علي، كما قال الشاعر :

له أياد علي كثيرة أعد منها ولا أعددها فأنا قطرة من فيض، فقد كان لي قارب نجاة، لما احترقت كل سفني، وتداعت علي المحن كما تداعى الأكلة على قصعتها، فمنذ وجدت نفسي منجذبا إلى الأدب المغربي والأندلسي، في دبلوم الدراسات العليا، لاعتبارات متعددة، ذاتية وموضوعية، تكمن أساسا في جاذبية أستاذي سيدي عبد السلام، وأنا يؤرقني اختيار موضوع البحث، وتفرقت بي السبل عن سبيله، فما إن طرقت بابه، حتى أغدق علي لبابه، وأفسح لي رحابه، فإذا العسير صار يسيرا، والعكر صار نميرا، وبسط لي لحافه، ولم يحزني إلى غيره طرفة عين، فبعد أن دلني على الطريق، وكساني جبة التحقيق، ورضيني مريدا، لم يلقني في اليم وحيدا، بل كان لي عونا و مددا، فإذا ما عثرت أقال عثرتي، وإذا ما وهنت شد عزمتي.

فلما ضاقت بي الأرض. وبلغ بي اليأس مداه، وتعسر علي الحصول على مخطوط مسالك الأبصار للعمري، وشكوت ذاك لأستاذي، قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، حينها رأيت عين اليقين، أن الله فتح له الفتح المبين، وكتب له القبول في الأرض، فجاءني به دون عناء، وكذلك كان الأمر بالنسبة لكتاب الإحاطة لابن الخطيب، الذي أرهقني صعودا، ولولا شيخي ما اسطعت إليه سبيلا، ولو جئت بالجن والإنس قبيلا، وتلك حكاية أخرى، فقد وهن العزم، واشتعل القلب عيا، وكادت أطروحتي أن تصير نسيا منسيا، فهز شيخي بجذع عزيمتي، فتساقطت رطبا جنيا،

كنت آتيه على استحياء، وقد هدني العياء، و مزادتي من التحصيل خواء، فيهش ويبش، فيذهب الروع عن روعي، ويجزل لي العطاء، ما أدهشني في أستاذي سيدي عبد السلام أنه كان كريما جوادا، فلا نفترق عنه إلا عن ذواق، فكنا ننعم عنده بالفوائد والموائد، حيث كانت مكتبته العامرة، نلفي فيها مرادنا، فكنا نرتع فيها، ما شاء الله، حتى إذا بلغ منا الجهد، وآن الوقت، وجدتنا حزانى من الفراق، كنا نود لو يطول الوقت، لنزداد ارتواء من سلسبيل أستاذنا رحمه الله، فكنا لا نمل، لكريم خصاله، وعذوبة حديثه، فقد كان صاحب طرفة وملحة، وحكمة، وكان لا يبخل علينا بالنصيحة والتوجيه، فقد كنت أجد فيه الأب قبل الأستاذ، فقد آتاه الله علما لَدُنيًّا يسبر به غور الإنسان، فقد كان يوجهنا وينصحنا، دون أن يكشف عن عيوبنا،

كانت زيارتنا إياه منفعة، وممتعة، فكنا نروح خماصا، ونغدوا بطانا، والأبهى والأجمل في أستاذي رحمه الله، أنه كان يتعهد طلبته ويرعاهم حتى بعد المناقشة، إذ إن كثيرا من الطلبة نجاهم الله من جحيم البطالة بغيثه، ولذلك لا تكاد تخلو جامعة مغربية من أحد طلبته، بل شمل نفعه العلمي كثيرا من بلدان العالم الإسلامي.

رحم الله أستاذي سيدي عبد السلام الهراس، وأسكنه فسيح جنانه، وبارك اللهم في زوجه وأبنائه، الذين كانوا يعاملوننا كأفراد منهم، فقد كنا ندخل البيت كأننا ندخل بيوتنا، وهذا من شيم هذه الأسرة الكريمة، التي نسأل الله تعالى أن يأجرهم في مصيبتهم هاته، ويرزقهم الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكنت تجدنا نحن الطلبة نلتف حوله كما يلتف النحل بالورد، فيعطي كلا سؤله ولا يرد أحدا خائبا، مما أغرى الكثير منا، بالطمع في الإشراف عليه فيما يأتي من البحوث.

الأخ محمد الغماد في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله ورحمته أخونا محمد الغماد وذلك يوم الأحد 22 جمادى الأولى 1436هـ الموافق 30 مارس 2015م.

وقد كان الفقيد من أهل الخير والفضل ولا نزكي على الله أحدا، وقد شهد جنازته جم غفير من أهله ومحبيه.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق التعازي لأسرة الفقيد، سائلين الله تعالى أن يمتعه بغفرانه ويدخله فسيح جنانه، ويرزق أهله الصبر والاحتساب.

فلله ما أعطى ولله ما أخذ و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

والدة أخينا عبد العزيز شاكر في ذمة الله

انتقلت إلى عفو الله ورحمته والدة أخينا عبد العزيز شاكر وذلك يوم الاثنين 16 جمادى الثانية 1436هـ الموافق 6 أبريل 2015م.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق التعازي لابنها عبد العزيز ولسائر أفراد الأسرة، سائلين الله تعالى أن يمتعها بغفرانه ويدخلها فسيح جنانه، ويرزق أهلها الصبر والاحتساب.

فلله ما أعطى ولله ما أخذ و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

مراثي شعرية

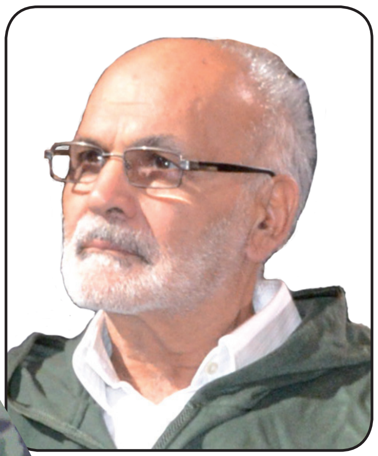

كَيْفَ أَرْثي مَنْ على عَرْشِ التُّقى قَدْ
صانَ في حِضْنِ الهُدى عَهْدَ الوِئام؟
أَنْتَ ما زِلْتَ الشَّهيدَ الحَيَّ فينا؛
إنَّما المَوْتى بِحَقٍّ هُمْ حُطامٌ
كَيْفَ أَرْثي الحَيَّ و الحَيُّ أَمامي؟
دائِماً يَحْيا على حُبِّ الحُطامِ

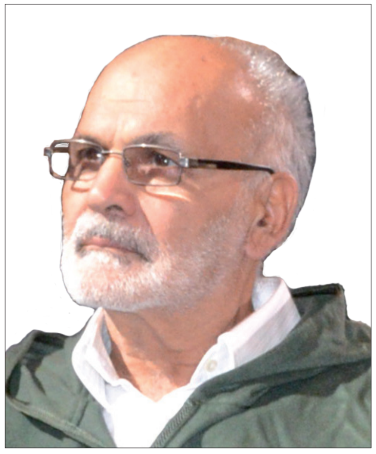

لو غيَّروا أحوالهم لتغيروا

أ.د عبد العلي حجيج

في القلب قد سكنت وفي الوجدان ... أرض العلوم وبهجة البلدان
وجمال طلعتها بهي رائق ... لم يختلف في وصفها اِثنان
إن قلت فردوس نعتَّ جنانها ... أو قلت ليلى فالهوى روحاني
قد ضمها الفتح المبين بطارق ... يزجي سفين البحر بالشجعان
هذا العدو أمامكم ووراءكم ... بحر عميق الغور والشطآن
نيل الشهادة ليس فخرا هينا ... حتى تلاقوا عابدي الصلبان
يا عابدا لله يرجو هديه ... نشر الهدى بالنشر للقرآن
غرد مع الكروان يصدح في ربا ... غرناطة تغريده في البان
وعروسها الحمراء ترقص نشوة ... فيها الأسود تعوم كالحيتان
شمس بقرطبةٍ زهت بجمالها ... ولاّدةٌ أربت على النسوان
طابت فنون الشعر في تخييلها ... هي لابن زيدونٍ شدا ألحان
في النفس من أضحى التنائي فرحة ... ببديعيات الفن والفنان
وحدائقٌ راقت بعين خفاجة ... ورد وعطر الفن ممتزجان
الشعر في أنغامها متألق ... والفكر في العلماء ذو أفنان
ومساجد غطت جموع ديارها ... هي منتهى الطاعات والإذعان
فيها منابر للعلوم ودرسها ... قد أثمرت صرحا من الإتقان
وخرلدة بين المآذن قدها ... يعلو علوا شامخ البنيان
تلك المآثر قد بدت أعلامها ... خفاقة تربو على الأزمان
الناس قد بُهِروا بسر جمالها ... من سائحين سعوا إلى عمران
هراسُ عشق في وصالك صادق ... مذ كنت سباقا مع الولدان
أحببت أندلسا وهمت بحسنها ... وجعلتها من أحسن الأوطان
قربت ديارك من ديار أحبة ... فقربت من أعلامها الأعيان
يعلوك فخر كلما ذكر اسمها ... والحزن يغشى النفس من أحزان
إن كان أهل العلم قد برعوا بها ... فالنقص آت من ذوي التيجان
إن البلاد إذا طغى حكامها ... انحل عقد كمالها بكمان
الضعف يسري في مفاصل جسمها ... سير الهزال يسير في الأبدان
عقد فريد قد أظلك نوره ... ليست بضاعته بذات هوان
هو منهج في الفكر والتحليل لم ... يخطر ببال قبله وبيان
قد عشت في كنف العلوم وحضنها ... ومن اللذيذ شربت من ألبان
هي نعمة أوتيتها من خالق ... يضع الأمور بموضع الإتقان
سر يا نسيم فبلغن أحفادهم ... أن السبيل سبيل ذا القرآن
إن ينصروا فبدينهم وبربهم ... أو يهزموا فبطاعة الشيطان
سعد ونحس قد أصاب ديارهم ... نصر وقهر في يد الإنسان
لو غيروا أحوالهم لتغيروا ... لكن مشوا بالظلم والبهتان
هراسُ تكسر كل ظلم بالنهى ... والعدل تحمي صفه بتفان
كم شاهد لك بالتقى قد عاش في ... كنف الرعاية منك والإحسان
بالسلم نفسك سالمت وتبسمت ... في وجه كل معارض فتان
وظلام ليلك شاهد لك بالسجو ... د وبالدعا وتلاوة القرآن
وصفاء وجهك بسمة علوية ... هي من صفاء القلب والوجدان
من يلتقط منك الجواهر ناصحا ... كانت له حصنا من العصيان
كل يرى فيك الفضائل حلة ... العلم أولُ والحياء الثاني
هراسُ من للعلم يرفع شأنه ... في منبر أو ساحة الميدان
أقطاب علم قد ظفرت بصحبهم ... في الشام في مصرٍ وفي لبنان
من مالك بن نبي أخذت طريقة ... في الفكر والتحليل للقرآن
وثراء علمك ما يزال له صدى ... في القلب موقعه وفي الآذان
وبلاغة الفصحى بلغت بيانها ... تختار منها أعذب الألحان
هراس من للدين يحمل مشعلا ... يعلو به ويطوف في البلدان
سلم عَلاك وفي الخطاب مسالم ... هونا تسير إلى رضا الرحمان
وسموت للعلياء تركب متنها ... بالنعمة الكبرى وحلو لسان
هي نعمة ليست يُحدّ نطاقها ... دين وعلم فيه يمتزجان
قاومت الاستعمار تأبى قيده ... ليعيش مغربنا أعز زمان
بلد العروبة تستباح بها دما ... ء نسائها وشيوخها الأعيان
وترى المزابل في الطلول مليئة ... يرتادها جوعى من الولدان
أما البنات فهن أسوأ حالة ... أعراضهن بالاغتصاب تعاني
أيطيب عيش للكريم وقلبه ... دام ويجري الدمع في الأجفان
هذي وفود قد أتتك كعهدها ... تجد الكرامة منك في الإتيان
شوق عزيز منك للرحمان ... ها قد وصلت إليه باطمئنان
فاذكر حبيبك ساجدا متضرعا ... القبر روض واسع الأركان
إن كان سقيك من رحيق جنان ... فالطعم طعم العاشق الولهان
يا ذاكرا لله في جوف الدجى ... ابيضّ وجهك في أمان جنان
وترى بعينك أنعما قد هُيئت ... لم تجر في خلد ولا حسبان
فافتح ذراعك لاحتضان جنانها ... واشرب شراب الروح من منان
ادخل جنانا كم رجوت دخولها ... فرجاء مثلك في أعز مكان
قد نلتها بالفيض من خلاقها ... هو ذا العطاء برحمة الرحمان

د. عبد السلام وسط مجموعة من الأساتذة المشاركين في ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم -كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سنة 1988م

رثاء الشيخ عبد السلام الهراس

فقيد الأدب

د: محمد الروكي

عبس القريض فتاهَ في الأنفـاس   والحزنُ خيَّم في وجوه الناس
وطغى الوجومُ فما ترى من شاخص   إلا وفي عينيه دمعةُ مـاس
جاء النعـيُّ وقد علت كلماتـه: مات الذي قد كان زهرة فاس
لهفي على عبد السلام أديبهـا   وَارَوْهُ بين صفائح الأرمـاس
لهفي على تلك المعارف قد طوت   أوراقها عن أعين الجـلاس
لهفي على تلك الشمائل قد خَبَـتْ   أنوارها من ذاكُمُ النـبراس
لهفي على الآداب تعثر في الأَسـى   حَزَناً على أستاذها الهراس
لهفي على عربيةٍ مُضَرِيَّـة   قد دُبِّجَتْ في وجنة القرطـاس
لهفي على آرائه وقد انجلـتْ   وضاءةً في حُلكـة الإدلاس
لهفي على التحقيق ينبع صافيا   من بحره في جدول الكُـراس
لهفي على تربيةٍ نبويـةٍ   تُسقى بماء الرفق والإيـناس
لهفي على تلك المكارم والتقـى   لهفي على ذاك الندى والبـاس
لهفي على ذاك الحكيم يمدنـا   بالرأي ينبع من طبيـب آس
لهفي على الأستاذ نور دربنـا   بحديثه المغني من الإفـلاس
مات الحبيبُ وودعت صلواتُـه   في مسجد القدس الذي في فاس
لكنه إن مات ما ماتت لـــهُ   تلك المآثر تحتفي بغـراس
مات الأديب ولم تمت آدابُـه   فهي التي نحيا بها في الـناس
مات اللبيب ولم تمت كلماتُـه   فَدَبِيُبهَا يسري مع الأنفـاس
فإلى اللقاء حكيمنا وأديبنـا   ولبيبنا يا خيرة الأكيـاس
في جنة الفردوس موعدنا غـداً   فاهنأ برمسك جذوة الأرمـاس

في رثاء «مجنون الدين»: الأستاذ عبد السلام الهراس رحمه الله

ذ. عبد الرحمان عبد الوافي الفكّيكّي

معلمنا الـهوى القدسي ويحا   فقد انبئت أنك قد رحلـت
بذا أنبئت وا أحزان ديـن   عليه عمرك الغالي وقفت
ففي ميدانه كم ذا تبـدى   جهاد زنته باللين صلـتا
وفي بستانه كم ذا تبـدت   يداك وضيئتين بما زرعت
حباك الله قلبا صحت فيـه: بحب الدين أخفق ما خفقت
وقد والاك فانظره تجـده   بدين الله علق ما حييـت
سبى ألبابنا «مجنون ليلى»   ضلال! إنما المجنون أنت؟
وكيف يقاس مجنون بأنثى   بمن بالدين جن كما جننت!
سلكت سبيله النوري دهرا   بحب مجتبى منه جبلـت
ولم يصرفك عنه ذات يـوم   سراب فانتهيت كما ابتدأت
ليهنك ما بذلت لخير دين   وما كلت يداك ولا مللـت
وما ربيت من فتيان صدق   بهم تبدو كأنك ما رحلـت
فيا عبد السلام جزاك ربي   بجنته بما فيه بذلـت
وصبرا خافقي في ساح موت   فنحن – كما ترى – أبناء موتي

جلول دكداك
شاعر السلام الإسلامي

عَبدُ السّلام

قصيدة في رثاء العالم الأديب الفذ الجليل الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس الشهيد الحي، مهداة إلى روحه الطيبة من محبه في الله جلول دكداك

نَمْ قَريرَ العَيْنِ في حضْنِ السَّلامِ   دارُكَ الفِرْدَوْسُ، يا عَبْدَ السَّلام.
أنتَ حَيٌّ دائماً في القَلْبِ، فَاهْنَأْ   لَمْ يَمُتْ مَنْ كانَ في أسمى مَقام.
خَصَّكَ اللهُ بذكرٍ لَيْسَ يَفْنى؛   سَوْفَ يَبْقى دائما فَوْقَ السَّنامَ.
في ثَنايا مَوْتِكَ اليَوْمَ اسْتَحالَتْ   بَهْجَةُ الأَحْزانِ عُرْساً للإمامَ،
و بها صَوْبُ الغَمامِ انْهالَ غَيْثاً   يَرْتَوي مِنْ فَيْضِه رَوْضُ الْتئامَ.
زُفَّتِ الفِرْدَوْسُ في فُسْتانِ عُرْسٍ   وَ هْيَ تَلَقى مَنْ أَتاها بابْتسامَ.
أَنْتَ قَدْ بُوِّئْتَ عَرْشاً قَبلَها مِنْ   قَبْلِ أَنْ تَرْقى إلى ذاكَ المُقامَ.
شَهِدَتْ بالحَقِ في هذا جُموعٌ   شَيَّعَتْ فيك الهُدى، يا ابْنَ الكِرامَ.
لَمْ أَجِدْ مِنْ بَيْنِها فيها مَكاناً   حَيْثُ أُلْقي الخَطْوَ مِنْ فَرْطِ الزِّحامَ.
مَنْ يَكُنْ بَدْراً مُنيراً في دُجانا،   قائداً بالحُبِّ أَسْرابَ الحَمامَ،
فَهْوَ أَنّى سارَ سارَتْ خَلْفَهُ في   مَوْكِبِ الأَشْواقِ عُشّاقُ السَّلامَ.
لَمْ يَخَفْ في الحَقِ لَوْماً، بَلْ تَسامى   شامِخاً كَالطَّوْدِ مَشْدودَ الحِزامَ؛
يُخْصِبُ القَلْبَ الذي يَشْكو جَفافا،   كَيْ يَرى الإسلامَ نوراً في الظَّلامَ.
عِلْمُهُ غَيْثٌ مِنَ الإيمانِ رَحْبٌ   فيه نَخْلُ الحُبِّ يَنْمو كُلَّ عامَ.
لَمْ يَكُنْ يَهْوى لِكُلِّ النّاسِ شَيْئاً   غَيْرَ أَمْنٍ شامِلٍ كُلَّ الأَنامَ.
مَنْ يُحِبُّ اللهَ حَقّاً، قَلْبُهُ لا   يَحْتَفي في الحُبِّ إلا بالسّلامَ.
إنَّما الهَرّاسُ كَالبَدْرِ اخْتَفى في   نورِه الوَهّاجِ ما بَيْنَ الغَمامَ.
فاسْأَلوا عَنْهُ مُعاذاً، كَيْفَ أَرْسى   سُفُنَ التَّوْحيدَ في بَحْرِ انْسجامَ؛
حَيْثُما يَمْضي، بِحُبِّ اللهِ تَمْضي،   و الهُدى يَهْدي خُطاها لِلأَمامَ.
قالَ في الإِسْلامِ قَوْلاً لا يُضاهى،   عِنْدَما أَزْرى بِه بَعْضُ اللِّئامَ:
"دينُ رَبّي أَعْيُنٌ بالحُبِّ تَجْري،   دائماً تَجْري بِحَزْمٍ و انْتظامَ؛
فاصْنَعوا ما شِئْتُمُ الإسْلامُ بَحْرٌ   زاخِرٌ بالحُبِّ، طولَ الدَّهْرِ طامَ!"
قَطَراتُ الحُبِّ يَوْمَ الدَّفْنِ فاضَتْ   أَدْمُعاً تَجْري على خَدِّ الظَّلامَ؛
فاخْتَفى الحُزْنُ الذي يَحْتَلُّ قَلْبي   إذ رَأَيْتُ النّورَ يَسْري في عظامي!
حَرَّكَ الدَّمْعُ شِراعاً في فُؤادي؛   ثُمَّ أَبْحَرْتُ على مَتْنِ الكَلامَ؛
لَمْ أَجِدْ في الشِّعْرِ بَحْراً غَيْرَ بَحْرٍ   أَغْرَقَ الوِجْدانَ في بَحْرِ الهُيامَ!
لَسْتُ أَبْكي.. لَسْتُ أَرْثي في مَراياً   أَحْرُفي حَرْفاً بِه الإسلامُ سامَ.
إنَّ دَمْعي أَنْجُمٌ في لَيْلِ هَمٍّ   نازِفٍ حُزْناً كَحَدِّ السَّيْفِ دامَ.
مِنْهُ نَبْضُ القَلْبِ أَضْحى جَذْوَةً لا   تَنْطَفي بالدَّمْعِ مِنْ فَرْطِ اضْطِرامَ.
مَنْ، تُرى، أَرْثي سِوى قَوْمٍ تَفانَوْا   في هَوى الدُّنْيا على حُبِّ الحَرامَ؟
مَنْ، تُرى، أَرْثي سِوى نَفْسيَ إذا ما   غَرَّرَتْ بي في مَتاهاتِ انْفصامَ؟
كُلَّما راوَدْتُها عَنْ نَفْسِها لَمْ   تَحْتَمِلْ عَنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا فِطامي؟
مَنْ، تُرى، أَرْثي سِوى قَلْبٍ مَريضٍ   كَفَّنَ الإيمانَ في ثَوْبِ الغَرامِ؟
مَنْ، تُرى، أَرْثي سِوى المَغْرورِ فينا   يَبْتَغي حُكْماً عَلى حَدِّ الحُسامَ؟
يَحْسَبُ الدُّنْيا عُروشاً تَحْتَهُ مِنْ   فَوْقِها يَسْطو عَلى سِرِّ الدَّوامَ؛
بَعْدَما أَدّى يَميناً، خانَ عَهْداً   لَمْ يَعُدْ إلا كرُؤْيا في المَنامَ؟
جاءَ يَرْثي نَفْسَهُ في يَوْمِ عُرْسٍ   فاستَحالَ القَوْلُ بُرْكانَ انْهِزامَ!
قُلْ لَهُ، يا ابْنَ الكِرامِ، احْذَرْ مَصيرًا   لَيْسَ يُجْدي فيهِ تَلْفيقُ الكَلامَ.
أَنتَ أَيْضاً سَوْفَ تَمْضي حَيْثُ أَمْضي   عاطِلاً مِنْ كُلِ حَلْيٍ أَوْ وِسامَ؛
فَقِطارُ المَوْتِ جَبّارٌ سَريعٌ   دائِماً يَجْري على حَبْلِ اقْتحامَ!

×   ×   ×   ×   ×   ×

كَيْفَ أَرْثي مَنْ على عَرْشِ التُّقى قَدْ   صانَ في حِضْنِ الهُدى عَهْدَ الوِئامَ؟
أَنْتَ ما زِلْتَ الشَّهيدَ الحَيَّ فينا؛   إنَّما المَوْتى بِحَقٍّ هُمْ حُطامٌ
كَيْفَ أَرْثي الحَيَّ و الحَيُّ أَمامي؟   دائماً يَحْيا عَلى حُبِّ الحُطامِ.
خالِدٌ أَنتَ بِقَلْبي مِثْلَ نَبْضي،   تَحْرُسُ الحُبَّ الذي في القَلْبِ نامَ.
أَنْتَ أَمْنُ الأَمْنِ قَدْ عَلَّمْتَنا ما   في تَمامِ الأَمْنِ مِنْ خَيْرِ التَّمامَ.
إنْ نَمُتْ فالمَوْتُ حَقٌّ و انْتِقالٌ   مِنْ دُنى فَوْضى إلى دُنْيا النِظامَ.
هَهُنا نَحْيا وُحوشاً ضارِياتٍ   لَيْسَ يُغْويها سِوى حُبِّ الخِصامَ.
بَعْضُنا يَبْغي على بَعْضٍ كَأَنّا   في حُروبٍ شَنَّها جَيْشُ انْتِقامَ.
قُلْ لِمَنْ يَهْوى دَوامَ الحُكْمِ: "مَهْلاً   عُمْرُكَ المَحْدودُ رَهْنٌ بانْصِرامَ.
فاخْتَرِ الدارَ التي فيها تُجازى،   قَبْلَ أَنْ تُرْمى ذَليلاً في الرَّغامَ."

×   ×   ×   ×   ×   ×

يا شَهيدَ العِلْمِ و التَّقْوى، سَلاماً   غامِراً مِنْ قَلْبِ هذا المُسْتَهامِ.
كُنْتَ قَلْبي، كُنْتَ حُبّي، يا حَبيبي؛   كُنْتُ أَهْوى فيكَ عَزْمي و التِزامي.
كَمْ تَمَنَّيْتُ و في دَرْبي شُموعٌ   ضَوْؤُها يُغْري بِتَحْقيقِ المَرامِ!
غِبْتَ عَني بَعْدَما ازْدادَ التَّمَنّي،   بَعْدَما مُلِّكْتُ في الدُّنْيا زِمامي.
فَعَزائي فيكَ أَنّي سَوْفَ أَبْقى   بِسَلامِ الحُبِّ عَبْداً لِلسَّلامِ.

عبد السلام لك الرضى من ربنا

ذ. أحمد البورقادي

قال الله تعالى : ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقال سبحانه : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وقال جل من قائل : ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

هذه كليات ثلاث، وكلها تؤدي إلى كلية واحدة وهي الموت والهلاك والفناء بعد الحياة المؤقتة، ولا باقي إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وهو الحي الباقي ولا خلود لسواه.

والموت مصيبة لا مفر منها ولا محيد عنها، وقد سماها الله مصيبة في القرآن فقال سبحانه :﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾.

والمصيبة دواؤها الصبر عليها، قال الله تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ ولا حدود لجزاء الصبر عند الله: قال تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾

وقد تألمنا كثيرا لموت أخينا الدكتور الجليل سيدي عبد السلام الهراس الذي كان قدوة للجميع في ميدان المحبة والصفاء والعلم والإخلاص والتقوى والعمل الصالح والنفس الطيبة المطمئنة والمعاملة الحسنة، والقدوة المثلى في الأخلاق وصدق المعاملة والإيثار والمحبة الصادقة لله، وللمسلمين جميعا، فنرجو من الله الكريم أن يجازيه خير الجزاء، ويدخله جنة الفردوس مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ويكرمه برضاه، ذلك الفضل من الله، ويرزق أهله وذويه الصبر عليه، وعزاؤنا الصادق لأهله وأبنائه وإخوانه ومحبيه.

وهذه قصيدة في رثاء المرحوم برحمة الله السيد عبد السلام الهراس :

سبحان من كتب الفناء لخلقه ... سبحان من هو في الوجود بلا عدم
سبحانه سبحانه سبحانه ... لا شيء مثله في الصفات وفي الكرم
وتقدست منك الصفات وأشرقت ... أنوار حسنك في الضياء وفي الظلم
عبد السلام لك الرضى من ربنا ... فاهنأ بما أعطاك ربك من كرم
أنت التقي المستنير بنوره ... طوبى لكم وبما رزقته من نعم
كنت العليم الحق ترنو للهدى ... ورست بشاطئك المعارف والحكم
أصبحت شهما يقتدى في همة ... والشهم أولى من تقاد به الهمم
حققت للأجيال ما تهفو له ... من حكمة ترضى ومن كل القيم
كنت الأصيل الفذ في نصح الورى ... والفذ من بذل النصائح والشيم
أخلصت في تدريس علمك للورى ... والشهم من أعطى وأخلص للقلم
قد كنت في صف الدعاة لربنا ... فجزاك ربك بالفضائل والنعم
وحباك من فيض النعيم قرابة ... يهفو الحبيب لها ولا يخشى الندم
كنت العطوف الحق لا ترضي الهوى ... فاهنأ بما أوتيت من فضل الشيم
وإذا ذكرت مع الرفاق تهامسوا ... هذا الرفيق المجتبى والمحترم
فاهنأ بما يرضيك حقا واحتسب ... لله ما أولاك من طيب النعم
كنا شهودا في حياتك كلها ... أنت التقي الفذ أوثق من علم
الله يرحمكم ويكرم سعيكم ... حتى تفوزوا بالجنان وبالنعم
والله يرزق أهلكم صبرا به ... يرضون ما قسم الإله من السأم
فحياتنا لا نرتجي من عيشها ... إلا الهداية والنجاة من الألم
فاعمل أخي للبر والتقوى وكن ... عبدا شكورا للإله بكل فم

السيد عبد العزيز بناني في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله ورحمته أخونا عبد العزيز بناني بعد مرض وذلك يوم الأربعاء 3 جمادى الثانية 1436هـ الموافق 25 مارس 2015م.

وقد كان الفقيد من أهل الخير والفضل ولا نزكي على الله أحدا، وقد شهد جنازته جم غفير من أهله ومحبيه

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق التعازي لأسرة الفقيد ، سائلين الله تعالى أن يمتع الفقيد بغفرانه ويدخله فسيح جنانه، ويرزق أهله الصبر والاحتساب.

فلله ما أعطى ولله ما أخذ

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

فـقـيـد الـبـارقـة

أ.د. عبد الرحيم الرحموني

"بـارقـة": كـانت عنوان العمود الـذي كان ينشر في هذا المكان من هذه الجريدة الغراء لسنوات عديدة.

"بـارقـة": كانت حِضْناً لفكر متنور بروح الإسلام، متشبع بقيمه الحضارية، مرتوٍ بسُمُو أخلاقه وفضائله.

"بـارقـة": كانت معلمة بـارزة لجريدة "المحجة"، أنارت جَنَباتها بما كان لها من تميز شكلا ومضمونا ومنهجا.

"بارقة": كانت جزءاً مما سطرته أنامل فقيد الأدب والفكر والعلم والدعوة إلى الله الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس الذي لبَّى نداء ربه يوم الجمعة فاتح جمادى الأولى 1436هـ الموافق 20 فبراير 2015م، عن سنٍّ ناهز خمسا وثمانين سنة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعل ما قدمه من أعمال صدقة جارية له.

لقد حملت "بـارقـة" -على امـتـداد أعـداد "المحجة" التي كانت تنشر عمودها- العديدَ من القضايا والمعلومات التي نَثَرها الفقيد رحمه الله دُرراً، التقطها تلامذته ومُحبّوه ومريدوه، والباحثون عن الحقيقة، وقراءُ الجريدة عموما، حتى صـارت مرجعا غنيًا بما تضمنته من شهادات حية عاشها الفقيد هنا أو هناك داخل الوطن وخارجه، بالإضافة إلى ما بَثّه فيها من خلجات دعوية وفكرية وعلمية ومنهجية ترتبط بما عايشه وما شاهده وما عَلِق بذاكرته من انطباعات من خـلال لـقـاءاته مع كبار الدعاة والـعـلـمـاء والأدبــاء والمفكـريـن والمصلحـين والسَّاسة في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

لقد ترجمت "بارقة" ما كان يَحمله الفقيد من هَمّ تجاه بلده وأمّته استشعارا منه بعظم المسؤولية الملقاة على أمثاله من الدُّعاة والعلماء والمفكرين، عملا منه بما ورد في الأثر : "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

تحدث رحمه في صفحات هذا العمود عن وحدة الأمة وأهمية بناء صرح هذه الوحدة، وعن خطورة الانقسام والتشتُّت، تحدث عن ضرورة عودة الأمة إلى دينها إذ أنه لا فلاح لها ولا مستقبل لها إلا بهذه العودة، وتحدَّث عن العلماء والدُّعاة الذين بذلوا ما بذلوه في سبيل بناء هذه الوحدة، وعن ضرورة بذل المزيد في سبيل ذلك، كما تحدث عن ضرورة النقد الذاتي، لأن كل كلام يؤخذ منه ويرد، إلا كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، لكن طبعا مع ضرورة استحضار ضوابط هذا النقد التي لا ينبغي أن تخرجه من إطاره الموضوعي والمنهجي.

وكان مما قاله رحمه الله في الموضوع: "فالمجتمعات الإسلامية في أشد الحاجة لمن يأخذ بيدها في جميع المجالات، والعنصرُ المسلم المؤهَّل لخدمة مجتمعه كثيرٌ، ولكن هذا الكثير معظمُه في غفلة عن واجباته المطلوبة منهم شرعا إزاء أمته ومجتمعه، بل إن بعض هؤلاء غافل حتى عن أقرب الناس إليه، إلا فيما يتصل بمعيشته ودراسته وحياته المادية، فَهُوَ لا يُعنَى به في تربيته الدينية لإعداده كي يكون عضوا عاملا نافعا في مجتمعه الإسلامي، مثل ما يبذله معه في حياته البدنية والدراسية والمهنية... إن طاقات عظيمة ومتنوعة خاملة في المجتمعات الإسلامية لا تقدم لأمتها واجبها من النصح، فهي كما يقول لسان حال بعضهم كالمتقاعدين وأمثالهم: "نأكل القوت وننتظر الموت".

وبالتأكيد فإن أمر بناء الأمة كان هَمّا شغل بال أستاذنا رحمه الله منذ عصر مبكر، فممّا ورد في إحدى مقالاته الأولى المنشورة بمجلة "دعوة الحق" المغربية، في بداية الستينات من القرن الميلادي الماضي:

"إن الأمة التي تريد أن تبني كيانها يجب أن تقيم من نفسها رقيبا على سلوكها وتصرفاتها وناقدا لأساليبها في الحياة ووسائلها، والنتائج التي انتهت إليها، إذ بدون نقد ذاتي لا تستطيع أن تبتر عوامل التعويق لنهضتها، وتعويضها بعوامل دافعة وفعالة لحركتها وتسديدها نحو الأهداف بكل دقة وإتقان وسرعة".

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه، وجمعنا به يوم القيامة في الفردوس الأعلى.

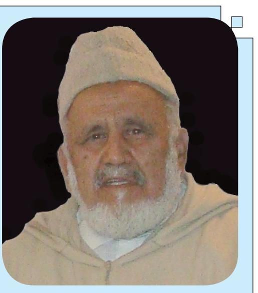

وفاة شيخ الجماعة.. وأستاذ الجيل.. وحافظ المذهب : العلامة محمد التاويل

بقلوب حزينة، وعيون باكية، ودعت فاس عصر الاثنين 16 جمادى الثانية 1436هـ الموافق 6 أبريل 2015م -ومعها المغرب والعالم الإسلامي- علما من أعلامها الكبار، وفقيها من فقهائها الأخيار، وعالما من علمائها الأبرار، إنه الشيخ الإمام، العلامة الهمام، سيدي محمد بن محمد بن قاسم التاويل، ودعته فاس في جو مهيب، وموقف رهيب، سالت فيه الدموع، وسُكبت فيه العَبَرات، وانحبست الأنفاس وغابت العبارات،

لقد ودعت فاس بتوديعه جامعة بكل تخصصاتها.

ودعت فاس فقه مالك بن أنس أصولا وفروعا.

ودعت فاس أصول الفقه على مذهب المتكلمين والفقهاء

ودعت فاس التحقيق والتدقيق.

ودعته فاس ووُدِّعت معه

ودعت فاس كل ذلك وأكثر في جنازة جمعت طلبته من دول مختلفة، ومحبيه من بلدان عديدة، ظلوا جميعا يلهجون بالدعاء، ويستغيثون بالله أن يعوض الأمة خيرا في مصابها، وهم يرون أن الشيخ الفقيد نفحة من نفحات الله، وعطية من عطائه، فلعل الله أن يمن على الأمة بمثله أو أفضل منه.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق التعازي لأسرة الفقيد، ولعامة المسلمين ومحبيه، سائلين الله تعالى أن يمتع الفقيد بغفرانه ويدخله فسيح جنانه، ويرزق أهله الصبر والاحتساب.

فلله ما أعطى ولله ما أخذ

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾